جمهورية السودان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعــة أم درمــان الإسلامية

كليــة الدراسات العليــا

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء

في الفتـرة من (600 هـ - 1164 هـ)

(1203 إلى 1750م)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة :　　　　　　　　　　إشراف

الدكتور :

فاطمة علي إمحمد أحويلات　　　　　　　　　　عبد الفتاح محمد الكباشي

1437هـ - 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيـــة القرآنية

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَاقَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾

صدق الله العظيم

سورة يس الآية ، **12** .

بسم الله الرحمن الرحيم

نمـوذج صفحـة لجنــة المحكميـن

استناداً على لوائح الدراسات العليا، انعقدت لجنة الممتحنين لتقييم وإجازة الرسالة المقدمة من الطالبة/ فاطمة علي أمحمد أحويلات لنيل درجة **الدكتوراه** في **التاريخ الإسلامي** وعنوان الرسالة: (تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء في الفترة (600هـ - 1164م/ 1203هـ - 1750م) .

وتتكون اللجنة من:

الاسـم: عبد الفتاح محمد الكباشي البشير مشرفاً

العنـوان: جامعة أم درمان الإسلامية

الدرجة العلمية: أ. مشارك

الاسـم: السر سيد أحمد العراقي ممتحناً داخلياً

العنـوان: جامعة أم درمان الإسلامية

الدرجة العلمية: بروفيسور

الاسـم: خوجلي أحمد الصديق ممتحناً خارجياً

العنـوان: جامعة الجزيرة

الدرجة العلمية: أ. مشارك

الإهـــــداء

إلى أخي الساعدي وأسرته الذين بذلوا جهدهم لأجلي و لولا مساعدتهم ومرافقتهم لي لما استطعت استكمال هذه الدراسة.

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ النمل: ١٩.

يسعدني ويسرني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لجامعة أم درمان الإسلامية – كلية الآداب – قسم التاريخ - كلية الدراسات العليا – التي استضافتني لإكمال دراساتي العليا ، كما أتقدم بوافر التقدير للدكتور **عبد الفتاح محمد الكباشي** الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة وعلى ملاحظاته وآرائه السديدة التي ساهمت في إخراج البحث في صورته الحالية.

كما أخص بالشكر د/ الحافظ عبد الكريم سليمان على ما بذله من جهد في تقديم المساعدة وكان لإرشاده الدور الكبير في تصويب البحث كي يظهر بصورته اللائقة.

كما أتوجه بالشكر إلى أساتذة قسم التاريخ بجامعة أم درمان الإسلامية على مساهماتهم المعنوية وأخص بالذكر الدكتورة منيرة .

وخاتمة شكري إلى كل من شجعني أو ساعدني وقدم لي العون فلهم مني جميعاً فائق الشكر والتقدير .

والله ولي التوفيق

فهـرس المحتـــويات

مستخلص البحــث

هذه الدراسـة تحـت عنـوان: **(تجـارة القوافـل بـين طـرابلس والمراكـز التجاريـة جنــوب الصــحراء)**، تعكـس السـلع التجاريـة، ومجـالس الأسـواق ووسـائل المقايضـة المختلفة، والمرونـة فـي انتقال السلع بين الشمال والجنوب والغرب، وأيضـا لتوضـيح بعض الفنون الهامـة الخفية من تاريخ طرابلس وعلاقتها مع مراكز جنوب الصـحراء في الفترة بين (1203 –1750م) لقد جاءت هذه الدراسـة لسد النقص فـي البيانـات والمعلومـات المرتبطـة بولايـة طـرابلس والعلاقـات الاقتصـادية خـلال حقبـة العصـور الوسطى.

وتهدف إلـى إلقاء الضـوء علـى غموض العملية التجاريـة بين ولايـة طرابلس والدول المجـاورة لهـا وكذلك إظهـار دور ولايـة طـرابلس والأمـاكن الداخليـة التـي تجمـع دائـرة الاتصـال بـين دول سـاحل البحـر المتوسـط والصـحراء والـدول العربيـة الغربيـة. هنـاك أسباب كثيرة متقاسمة لتحقيق الجانب التجاري بين طرابلس ومراكز جنوب الصـحراء وخاصـة الطرق وتنوع السلع وكذلك احتياجات الطرفين.

النتـائج الهامـة لهذه الدراسـة توضـح الحركـة الداخليـة للتجـارة مـع تـأثير كـل الأطـراف ونتـائج حركـة التجـار. بـين المنـاطق المختلفـة، بالإضـافة إلـى العـادات الاقتصـادية والثقافية التي تتبع حركة التداول وأثرها في نشر الإسلام في تلك المناطق.

لتحقيق ذلك تنقسم الدراسة على النحو التالي:

الفصل التمهيد جاء بعنوان: لمحة جغرافية وتاريخية لتجارة القوافل بطرابلس .

الباب الأول بعنوان : القوافل التجارية الداخلية.

1- الطرق الداخلية التي تربط ولاية طرابلس بالمدن الأخرى.

2- التجارة بين طرابلس والمدن المجاورة.

الباب الثاني: بعنوان : القوافل التجارية الخارجية .

1-الطرق الخارجية.

2- التجارة بين طرابلس والدول المجاورة .

الباب الثالث : تحت عنوان : تأثير تجارة القوافل في الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في طرابلس وجنوب الصحراء .

وتوصلت الدراسة إلى بعض اهم النتائج وهي :

1- ظهرت طرابلس كمدينة اقتصادية هامة في منطقة الشمال الأفريقي من الأرض الليبية حيث أنها تتمتع بموقع جغرافي واستراتيجي هام، ساعدها على أن تلعب دوراً بارزاً في تجارة الصحراء.

2- أوضحت الدراسة: أن للعرب علاقة بمناطق جنوب الصحراء قبل الإسلام فقد جذبت هذه المناطق التي تتمتع بثروات طبيعية مجموعات عربية من التجار والبدو منذ وقت مبكر من الشمال إلى الصحراء التي لم تكن في أي وقت منطقة طرد بل كانت منطقة جذب وإنتاج . كما توصلت الدراسة إلى بعض التوصيات الهامة منها:

1- تحتاج طرابلس لمزيد من الدراسة خاصة في الفترة الوسيطة والحديثة وعليه يتوجب على دارسي تاريخ هذه المنطقة التركيز على هذه الفترة.

2- إن أغلب الدراسات أغفلت الجانب الاقتصادي وكان تركيزها أكثر على الجوانب السياسية والاجتماعية وعليه توصي الباحثة المهتمين بدراسة هذه المنطقة أن يولوا هذه المنطقة جانباً كبيراً من اهتماماتهم وذلك لكشف كثير من البيانات التي تغطي العديد من الثغرات في هذا الصدد. كما تضمنت هذه الدراسة بعض الملاحق.

Abstract

This study which entitled : (The Caravan trade between Tripoli and the centers trade in center South of Sahara), reflected the trade commodities, markets council, the variety of exchange means and the commodity flexibility between south, north and west. Also to clarify some important hidden arts of Tripoli history and its relationship with southern center of Sahara in the period from (1203 to 1750).

This study came to fill the gap which has shortage of data and information that have close related with Tripoli district and its economical relation in the medieval period. Also aims shed light on commercial process between Tripoli and the neighbor countries explaining the role of Tripoli state and the interior places that resemble the connection between the costal Mediterranean countries, the desert strip and the Western Arab countries. Many reasons sharing together to achieve the trade aspects between Tripoli and Southern Sahara centers especially the routes and the diversity commodity as well as the needs of both sides.

The important result of this study is to show the interior traffic trade and the impacts of all aspects, the results of merchants tragic between different places and the different habits that follow the current traffic with its impact in separating Islam in the place .To achieve that, the study division is coming as the following :

introductory chapter under the title: - Geographical and Historical Gesture to the Caravan Trade to Tripoli.

Chapter one under title: [The Interior Caravan Trade] .

1- The Interior Roads which connect Tripoli state with other cities .

2- The trade between Tripoli and other cities .

The second chapter [The Foreign Caravan Trade].

1- The Foreign Road's .

2- The rude between Tripoli and neighboring countries .

The third chapter is on: The Caravan Trade Impact to the Economic, Politic, Social and Cultural life in Tripoli and South Sahara .

The main results that the study reached :

1- Tripoli appeared as an important economical city in north area .

2- There is a relationship to the Arab with southern Sahara before Islam. That attract the Arabian immigration from nomads and merchants. Also the study reached some important recommendation:

1- Tripoli needs additional concentrated especially in the medieval and modern period.

2- Most studies neglected the economical side. Besides concentrated on social and political so the researcher advice those who study in the same place to concentrate their attention to this area.

المقدمــــة

أهميـة البحـث:

ترجع أهمية هذا البحث إلى كونـه أحد مواضيع التاريخ الاقتصادي منذ بداية القرن الثالث عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي الذي يتعلق بتجارة القوافل في ولاية طرابلس، وذلك لأنها كانت تشكل حلقة وصل تجارية دولية بين شمال إفريقيا والصحراء ومنطقة السودان الغربي، كما كانت القوافل التجارية تمر بها من الشرق إلى الغرب، من مصر والحجاز والشام إلى بلاد المغرب والأندلس مما جعلها منطقة إشعاع حضاري كبير في شمال إفريقيا ونسبة للأهمية التاريخية لهذه الفترة فهى لا تزال تحتاج إلى إجراء المزيد من البحث لتزداد حقائقها وضوحاً في الحقب التاريخية المختلفة.

أهداف البحـث :

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على واحدة من أهم المراكز التجارية بالشمال الإفريقي والتي كان لها دور هام وبارز في الحركة التجارية في الاتصال والتواصل بين المشرق والشمال وماوراء الصحراء والتي أسهم بعض الباحثين والجغرافيين والرحالة في كشف بعض جوانبها، إلا أنها ما زالت تتطلب مزيداً من التحقيق والدراسة وإعادة النظر في كثير ما يستجد من أدلة تسفر عن بحوث ودراسات لتوضح دور هذه المنطقة وعلاقاتها بجنوب الصحراء، خاصة وإن فترة الدراسة هذه شهدت فيها المدن الأوروبية المطلة على البحر الأبيض المتوسط أو حتى ما وراء الصحراء والحزام الصحراوي أو الشمال "الأوروبي" شهدت تطوراً ملحوظاً في التجارة والصناعة، وعليه فقد وجدت الكثير من منتجات هذه الدول طريقها للتعامل التجاري مع مناطق الحزام الصحراوي عبر طرابلس وفي الاتجاه المعاكس كانت تأخذ خامات هذه الدول والأيدي العاملة "العبيد" إليها .

أسباب اختيار الموضوع :

ثمة أسباب عديدة جعلت الباحثة تختار هذا الموضوع أهمها:

1- إن مدينة طرابلس كغيرها من المدن الليبية التي تحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث بحيث يمكن الحصول على بيانات وافية عن هذه المنطقة والتي كانت أغلب بياناتها متناثرة في مختلف المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحالة.

2- قلة البيانات والمعلومات عن ولاية طرابلس التي تعد من أهم الولايات العربية والتي كان لها دور بارز في مناطق الشمال الإفريقي وجنوب الصحراء بالرغم مما تعرضت له هذه المنطقة الهامة من صراعات وحروب طيلة الحقب التاريخية.

3- إن طرابلس والمدن الداخلية كان لها دور بارز في نشر الإسلام والثقافة العربية في مناطق جنوب الصحراء والتي كان لها صلة وعلاقة تجارية منذ القدم الأمر الذي كان له أثر على كافة الأصعدة ديمغرافيا واقتصادياً وثقافياً ودينياً وإلا لما توجهت حملات الفتح من برقة إلى طرابلس وفزان معاً.

4- ركزت أغلب الكتابات عن مدينة طرابلس في الجوانب التاريخية والسياسية في حين أن الجوانب الاقتصادية وبينها تجارة القوافل لم تحظ بنفس الاهتمام وإن وجدت كانت عن مدن أخرى مثل غات، ومرزق، وغدامس وفي فترة متأخرة عن هذه الدراسة ولم توجد دراسة تتضمن تجارة القوافل وأثرها على النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والثقافية في مناطق ماوراء الحزام الصحراوي والسودان الغربي والأوسط والشرقي، لذا وقع اختيار الباحثة على موضوع تجارة القوافل التجارية بين طرابلس ومراكز جنوب الصحراء .

5- شح الكتابات التاريخية حول علاقة طرابلس بدول جنوب الصحراء الكبرى مما يحتم علينا إبراز دورها التاريخي والإسلامي العريق.

6- إعادة إحياء وتجديد أهمية مدينة طرابلس كمدينة تجارية تاريخية خاصة في علاقاتها مع جنوب الصحراء (السودان الغربي والأوسط والشرقي).

حدود البحث :

حدود البحث المكانية:

مدينة طرابلس شمالاً وعلاقاتها التجارية بدول جنوب الصحراء (السودان الغربي والأوسط والشرقي) .

حدود البحث الزمانية :

فهي في الفترة الممتدة من 600- 1164هـ/ الموافق 1203- 1750م.

منهجية البحث:

اما المنهج الكتابي اتبعت الباحثة المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي والإستقرائي الاستنتاجي لإنجاز هذا البحث .

منهج البحث:

هذا وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب يشمل كل منها عدة فصول وخاتمة . في تمهيد للدراسة أوضحت فيه الباحثة أسم طرابلس وأهميتها الجغرافية التي اكتسبتها من خلال موقعها الاستراتيجي الذي كان له تأثير على كافة الأصعدة وكذلك السكان الأصليين والوافدين بالإضافة إلى لمحة تاريخية عن مدينة طرابلس بينت الحقب التاريخية التي مرت بها .

الباب الأول : شمل ثلاثة فصول تحدث عن القوافل التجارية الداخلية .

الفصل الأول: تعد من الطرق الداخلية والتي تربط طرابلس بالمدن والواحات الليبية .

الفصل الثاني: تناول دراسة التجارة بين طرابلس والمدن الداخلية ووسائل تنظيم القافلة.

الفصل الثالث: تضمن أهم السلع المتداولة بين طرابلس والمدن الداخلية.

الباب الثاني : **القوافل التجارية الخارجية ويشمل:**

الفصل الأول: تناول دراسة الطرق الخارجية التي تربط بين طرابلس ومراكز الصحراء ثم التحدث عن أهم المراكز التجارية بها .

الفصل الثاني: تناول التجارة بين طرابلس ومدن السودان الغربي والأوسط .

الفصل الثالث: تحدث عن التجارة بين طرابلس ودارفور.

الفصل الرابع: تضمن التجارة بين طرابلس وجزر البحر الأبيض المتوسط وأثرها على مركز جنوب الصحراء .

الفصل الخامس: تناول التجارة بين طرابلس ومصر .

الباب الثالث : تناول أثر القوافل التجارية على الحياة الاقتصادية والسياسية والإجتماعية والدينية والثقافية في طرابلس وجنوب الصحراء .

الفصل الأول: أثر التجارة على الحياة الاقتصادية في طرابلس وجنوب الصحراء.

الفصل الثاني: تناول أثر التجارة على الحياة السياسية في طرابلس وجنوب الصحراء .

الفصل الثالث : تحدث عن أثر التجارة على الحياة الإجتماعية في طرابلس وجنوب الصحراء .

الفصل الرابع : تناول أثر انتشار الإسلام والثقافة العربية في طرابلس وجنوب الصحراء إلى جانب الخاتمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع .

مشكلة البحـث :

1. علـى الـرغم مـن أن طـرابلس كانـت حلقـة وصـل ورابـط بـين المشـرق والمغـرب والشمال والجنوب ودورها التاريخي والإسلامي فإنها تحتاج إلى المزيد من الإيضاح عن هذه الحقبة التي لا تزال غامضة وإن وجدت بيانات عنها فهي عبارة عن إشارات وتلميحات عن تاريخ العلاقات الإقتصادية بين طرابلس وجنوب الصحراء والتي كان لها دور لا يستهان به في تلك الفترة .

2. لقد كانت هنالك علاقات وصلات تجارية بين ولاية طرابلس ومدنها مع جنوب الصحراء الكبرى منذ القدم، غير أنـه لم يحاول كل من الطرفين تنميتها وتحسين وزيادة مواردها، بل أخذ كل من الطرفين سواء في الشمال أو الجنوب الدخول في حروب وصراعات من أجل بناء كيانات صغيرة وتحقيق مصالح ذاتية غير قادرة على صد الاطماع الخارجية أو حتى بناء علاقات اقتصادية وسياسية متكاملة ولعل أبرز مثال على ذلك الحروب وغارات قرقوش وصراع أبناء البيت الحفصي للإستيلاء على الحكم وسيطرة الأسبان والأتراك والقرمانليين على الحكم كذلك كل تلك الحروب والنزاعات لم يستفد منها العرب المسلمون بل كان الصليبيون هم الذين استغلوا تلك الفرص أحسن استغلال فطردوا العرب من الأندلس واستولوا على العديد من المدن الأفريقية في الشمال وجنوب الصحراء.

3. إن قلة التواصل والارتباط بين مناطق القارة الواحدة سواء في الشمال أو في الجنوب في بعض المراحل التاريخية كان له الأثر السلبي في الجانب الحضاري والإسلامي فضاع الكثير من المعلومات والبيانات الحضارية والسياسية والثقافية والاجتماعية كما أدى إلى اختفاء كثير من المصادر العلمية بسبب عدم انتشارها وذلك بفقدانها وضياعها.

4. ابراز قيمة وأهمية العلاقات التجارية بين مناطق الشمال الأفريقي وجنوب الصحراء في كافة الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مع توضيح أهم المتغيرات التي نتجت عن تلك الاتصالات والتي كان فيها للعرب تأثير كبير على الممالك السودانية .

تساؤلات البحث:

1. ما أهمية مدينة طرابلس من الناحية الجغرافية ؟ وهل كان له أثر على تطور الأوضاع الاقتصادية والسياسية ؟

2. هل كان للسلع التجارية دور هام في حركة التجارة بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء ببلاد السودان ؟

3. هل كان لطرق وحركة القوافل الصحراوية دور في ربط وتواصل الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الأفريقية ؟ وهل كان لها تأثير على الطرفين خاصة فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي ؟

4. ما أثر العامل البشري والاجتماعي على اقتصاد المدينة ومناطق جنوب الصحراء؟

أهـم المصادر والمراجـع :

من أهم المصادر والمراجع التي استعانت بها الباحثة هي كتابات المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب وكذلك الأجانب وهي كما يلي :

1. ابن عبد الحكم (ت 257هـ) فتوح مصر وأخبارها والذي قدم من خلال الروايات بيانات قيمة عن الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا والمغرب العربي بصفة عامة وطرابلس وفزان بصفة خاصة وهذه المعلومات أفادت الدراسة في الفصل التمهيدي وتناولت بدايات الفتح العربي لطرابلس وفزان وأوضاع المنطقة قبل مجيء الإسلام إليها إضافة إلى ذلك تناولت الجوانب الاقتصادية والسياسية والإجتماعية والطرق المؤدية إليها .

2. كتاب اليعقوبي: (ت 284هـ) البلدان يعد من أهم المصادر التي لها تأثير في سير هذه الدراسة فإن معلوماته المتعلقة بالجوانب السكانية والقبائل البربرية والعربية والإفريقية وكذلك الأوضاع الاقتصادية في إقليم طرابلس فهي هامة وبذلك أمدت الدراسة بيانات قيمة في بلورة وضعية السكان وصياغة ذلك التنوع السكاني في كل جهة .

3. ابن خرداذبة (ت 300هـ) كتابه المسالك والممالك، وهو من ضمن الجغرافيين والرحالة العرب حيث تناول كتابه الطرق والمسالك التي تربط بين طرابلس وواحاتها الداخلية بالأماكن المحيطة بها وقد امدت الدراسة ببيانات قيمة عن المسالك والطرق التي ربطت بين مناطق الشمال عبر فزان وأماكن التعامل التجاري إضافة إلى الطرق التي تربط هذه الأماكن بمراكز المشرق العربي سواء كان في التعامل التجاري في جوانب التجارة أو الحج.

4. الإدريسي: (ت 558 هــ) في كتابه (نزهة المشتاق في أختراق الأفاق) قدم معلومات عن الحياة الأقتصادية والتجارية والثقافية عن المدن والسواحل و أيضاً طرابلس وفزان وكذلك معلومات عن بلاد السودان وخاصة الغربي .

5. البكري: (ت 1094هـ) الذي يعد كتابه (المسالك) ذا أهمية لكافة شمال وغرب وشرق وجنوب إفريقيا حيث زودنا بملومات عن المراكز الحضارية الليبية كطرابلس وفزان وعلاقتها بالمراكز الحضارية جنوب الصحراء في السودان الغربي والأوسط. وقد أفادت الدراسة في أغلب فصولها خاصة في الفصل الأول من الباب الأول.

6. ابن بطوطة: في كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) والذي عاش في القرن الرابع عشر فقد قدم بيانات قيمة استفادت منها الدراسة في تاريخ السودان الغربي كما قدم معلومات عن علاقة طرابلس وفزان بمناطق جنوب الصحراء والممالك السودانية خاصة في فترة الدراسة .

7. ابن خلدون والذي يعد من أهم مؤرخي عصره كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) قد أمد الدراسة ببيانات قيمة فيما يخص مناطق الشمال وجنوب الصحراء والسودان الغربي والأوسط .

8. الحسن الوزان (ليو الأفريقي) في كتابه وصف أفريقيا بجزئيه الأول والثاني الذي قام بتأليفه عام 933هـ/ 1526م ، وقد زار ليبيا سنة 918هـ/ 1512م قبل الانتهاء من تأليفه لهذا الكتاب ويعد هذا الكتاب من الكتب التاريخية والجغرافية الهامة لمنطقة الصحراء (ليبيا). كما أشتهر بسعة وثوق البيانات الواردة فيه خاصة فيما يخص الحياة الأقتصادية والتجارية. وقد زوّد الدراسة بخلفية عامة من البيانات التاريخية استفادت الدراسة منها في أغلب أبوابها.

تمهـــيد

لمحــة جغرافيــة وتاريخيــة عن القوافـل التجاريـة لمديـنة طرابلـس

اســم ولايــة طرابلس[*] :

اختلفت الروايات في تحديد معنى اسم طرابلس فقد أطلق الكتاب اسم طرابلس على المنطقة الواقعة بين أقصى الشرق من منطقة سرت الغربية (خليج جدير) وبداية منطقة سرت الكبرى (خليج السدرة) وبين المنطقة الممتدة جنوباً (فزان) [*)1] والمنطقة الساحلية من سرت الكبرى، هذه المنطقة هي التي عرفت باسم القطر الطرابلسي[1].

ويعتقد أن اسم أويا Oya جاء من أصل ليبي وهو آيات وجدت النقود البونيقية التي عثر عليها في طرابلس واشتقت من كلمة آويات[*)2] هو اسم لأحد القبائل الليبية القديمة التي اندثرت مع مرور الوقت[2] . فمنهم من يرى طرابلس أنها كلمة يونانية تتكون من مقطعين Tri بمعنى ثلاثة Polis (بوليس) بمعنى مدينة أي أن كلمة طرابلس في الأصل تعني المدن الثلاث تريبوليس[3].

إذ كانت توجد ثلاث مدن رئيسية في منطقة طرابلس هي لبدة[*) 3] الكبرى تقع على بعد 125كلم شرقي طرابلس ومدينة أويا تقع مكان مدينة طرابلس القديمة، ثم مدينة صبراته[*)4] تقع على بعد 70 كلم غربي مدينة طرابلس .

ويبدو أن مدينة لبدة كانت أكبر المدن الثلاث وأعظمها خاصة في عهد الإمبراطور دقلديانوس[*]. غير أن التدهور التدريجي الذي أصابها أدّى إلى انتقال

(*) تعتبر طرابلس مدينة فنيقية أو قرطاجية قديمة وفي سنة 795 ق.م كانت تحت سيطرة النفوذ القرطاجي لمنطقة ما بين خليج قابس وخليج سرت، والذين أسسوا المدن التجارية الثلاثة (صبراته وأويا ولبتس) وربطت هذه المنطقة مع إفريقية بطرق القوافل، وكانت تسمى (أويا) وقد ذكر بعض المؤرخين أن أسمها (أويات) ويبدو أنه اسم بربري حَرفة الروم إلى (آوا) وبنيت على أنقاضها مدينة طرابلس الآن . الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط4، 2004م، طرابلس، ليبيا، ص 49 .

(*)1 فزان : أن لفظ فزان اقترن عند بعض المورخين والجغرافيين بجرمة والاراضي الواقعة الى الجنوب من جرمه وهي المناطق التى تقع بين غات وجرمه والتى تتضمن مناطق تساوه وبرجوج ومكنوسه والى الغرب منها حتى تخوم اغدامس . حتى وان سلمنا بانهم يعنون بذلك فزانيا phazzania ، فان هذه الاخيرة قد شملت مدينة غدامس (سيدامي – كيدامي - سيداموس) وغات وتاسلي فضلاً عن جرمة القديمة التى تشمل نفوذها معظم وادي الحياة ، الحافظ عبد الكريم سليمان : الدور السياسي والحضاري لفزان في القرن الثاني الهجرى واثره في دول الجوار ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ص22 .

(1) فيصل علي أسعد العربي: الفينيقيون في ليبيا من 1100 ق.م حتى القرن الثاني الميلادي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، طرابلس، ط1، 1996م، ص 44 .

(*)2 آويات، آويا: كلمة كنعانية الأصل استعملها الفنيقيون في لغتهم للتعبير عن المآوي أو المرفئ، سالم السلامي، معالم المدينة البيضاء، مدينة طرابلس القديمة، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ص 10 .

(2) محمود الصديق أبو حامد، محمود عبد العزيز النمسي: مدينة طرابلس منذ الاستيطان الفنيقي حتى العهد البيزنطي، مصلحة الآثار، أمانة التعليم، ليبيا، 1978م، ص 8 .

(3) صلاح أحمد الجهينسي: طرابلس الغرب، دراسة في التراث المعماري والفني، ط1، دار الأفاق العربية ، القاهرة، 2004م، ص 11 .

(*)3 لبدة : مدينة قديمة بناحية طرابلس كانت عظيمة الشان ، وتدل اثارها الباقية على انها دار ومملكة عظمى ، الحميري : الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق د.حسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط 1975 ، ص 508 .

(*)4 صبراته : فهي ثالث المدن التي أسسها الفينيقيون على الساحل الغربي لليبيا ويميل الباحثون إلى الاعتقاد بأن هذا الاسم يعني سوق القمح، فيصل علي أسعد: الفينيقيون في ليبيا، المرجع السابق، ص 72 .

القيادة إلى مدينة آويا التي بدأت منذ ذلك الوقت تأخذ اسم طرابلس . وقد أصبحت مدينة طرابلس إحدى المدن الثلاث التي أسسها الفينيقيون سنة 795 ق.م عندما جاءوا من صور وصيدا من بلاد الشام وأطلق عليها الإغريق تربولي أي المدن التجارية الثلاثة، غير أن هذا الاسم لم يظهر إلا على يد الكتاب الرومان الذين عاشوا في القرن الرابع الميلادي[1].

إن أوضح ذكر عربي لاسم طرابلس فقد جاء في خطاب كتبه عمرو ابن العاص رضي الله عنه إلى الخليفة عمر بن الخطاب يقول:" إن الله فتح علينا طرابلس وليس بيننا وبين إفريقية[(*)1] إلا تسعة أيام"، ولا شك أن كتاب عمرو بن العاص يبين أن إسمها (اطرابلس) بزيادة ألف في البداية وضم اللام[2].

وقد ورد اسم مدينة طرابلس عند الجغرافيين العرب حيث ذكرها اليعقوبي في القرن الثالث الهجري عندما قال :"طرابلس مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر عامرة آهلة، أهلها اخلاط من الناس، وافتتحها عمرو بن العاص سنة 22هـ -642 م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب"[3].

طرابلس بفتح أولها وبعد الالف باء مضمومة ولام أيضاً مضمومة وسين مهملة ويقال آطرابلس وذكرها البكري: "طرابلس بالرومية والإغريقية ثلاث مدن وسماها اليونان عند ذلك طرابليطة أي ثلاث مدن معناها ثلاثة وبليطية مدينة.[1]

(*) دقلد يانوس : تولى الامبراطور دقلد يانوس العرش سنة 284 ميلادي وهو أول الاباطره المصلحين الذين عملوا على انقاد الامبراوطرية في القرن الثالث ميلادي اتبع سياسية التسامح الدينى مع المسحيين ثم تحولت سياسته ضد المسحيين في اواخر حكمه. سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت،لبنان ،د-ت ، ص 18

(1) أ . ل همز ، : أثار طرابلس الغرب ، ترجمة عديلة حسن مياس ، الناشر ، مصلحة الاثار والسياحة (د-ت) ص30 .

(*)1 إفريقية : هي الاسم القديم لتونس أطلقه عليها الفنيقيون لما نزحوا اليها واستقروا بها ، وقد حافظ الرومان على هذه التسمية فسموا بها الاقليم الذي استولوا عليه بعد تخريبهم لقرطاج . لما جاء العرب حافظوا على هذه التسمية ايضا مع اختلاف في تعيين حدودها وكانوا يسمون سكان تلك الناحية (افارقة) ثم تطورت هذه التسمية حتى اطلق على القارة كلها ، ويرى جماعة من المؤرخين ان الرومان هم الذين اطلقو على تونس اسم افريقيا بعد سقوط قرطاج في الحرب البونية الثالثة 146 ق . م. نسبة الى قبيلة محلية في تونس كما كانت تعرف باسم (اوريقيا) (افريقيا) . مصطفى عبد العزيز الطرابلسي : درنة الزاهرة قديما وحديثاً ، ط 1999 ، بنغازي ليبيا ، ص 27 .

(2) ابن عبد الحكم : فتوح إفريقية والاندلس، ترجمة البير جاتو 1947م الجزائر، ص 33 . البلاذري فتوح البلدان: تحقيق عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع، مؤسسة المصارف، بيروت لبنان، 1987م، ص 316 ، 317 .

(3) اليعقوبي : كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية بالنجف، ط3، 1957م، ص 103 .

(1) البكري: أبو عبيد الله ابن عبد العزيز : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك، الممالك، نشر مكتبة المدني، بغداد، العراق، ص 6- 7 .

كما وصفها الدجاني في رحلته في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، بشده بياضـها حيث قال: "ولما توجهنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كاد بياضـها مع شعاع الشمس يغشي الأبصار" [1].

وذكرها القلقشندي في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي "بأنها مدنية واقعة في الإقليم الثالث وأن مركزها مهم للمسافرين شرقاً كما وصفها بالاتساع والخصب.[2]

وكذلك العياشي وصفها في رحلته عند دخوله إليها "بأنها مدينة مساحتها صغيرة، وخيراتها كثيرة ونكايتها للعدو شهيرة" [3].

مما سبق عرضه يتضح إن اسم طرابلس كان سائداً قبل الفترة الميلادية أي منذ عهد الفنيقيين والإغريق عندما كانوا يبسطون سيطرتهم على المناطق الساحلية من الأرض الليبية سواء في برقة في الشرق أو طرابلس في الغرب وخاصة أن هذه المدينة تحتوي على العديد من المراسي مما يدل على استقرارها في تلك الفترة وقوة نشاطها الاقتصادي، حيث أن موقع مدينة طرابلس على ساحل البحر المتوسط وأهميتها الاستراتيجية جعلها كثيراً ما تتعرض للحروب من قبل الأعداء طمعاً في خيراتها وتهديداً لموقعها على شاطئ البحر المتوسط .

---

(1) التجاني : رحلة التجاني : تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، المطبعة العربية، 1958م، ص 237.

(2) أحمد القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، دار الكتب الخديوية، دار الكتب السلطانية، ج5، 1919م، ص 100.

(3) العياش :عبد الله بن محمد : الرحلة العياشية، 1661- 1663 ترجمة سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، منشورات، دار الويدي المتحدة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية، ص 35 .

جغرافيــة ولايــة طرابلــس :

تعتبر طرابلس من أهم المناطق الشمالية والساحلية من ليبيا، وذكرت في العديد من كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والرحالة الأوروبيين. غير أن هذه الكتابات كانت عبارة عن إشارات وتلميحات عابرة وتعد ولاية طرابلس من ناحية جغرافية واحدة من أقسام ليبيا الثلاثة الرئيسية وهي برقة في الشرق، وطرابلس في القسم الغربي، وفزان في القسم الجنوبي أو الجنوب الغربي[1]. فقد اكتسبت ولاية طرابلس أهمية جغرافية مميزة منحتها مكانة مهمة جعلتها حلقة وصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. ولعل أهمية هذا الموقع هو الذي دفع الرحالة الألماني غيرهارد رولفس (G.Rolfis) إلى القول إن من يريد إن يكون حاكماً على السودان (النيجر والتشاد) يجب عليه أن يستولي على طرابلس[2]. ولعل السبب في هذا أن طرابلس هي أقرب مكانة تلتقي فيها الصحراء الكبرى بالبحر المتوسط مما ساعد على إنعاش التجارة بين المناطق الإفريقية المختلفة وجزر البحر المتوسط .

الموقـــع :

تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال خط الاستواء عند خط العرض 56، 32 وعلى خط الطول 10، 13 شرقي خط غرينتش ويمتد على طول ساحلها شريط الواحات على طول الساحل من زوارة(*) في الغرب إلى مصراته(*)1 في الشرق. وجنوب هذا الشريط الساحلي يقع السهل الذي يعرف باسم سهل جفارة تحيط به حافة الهضبة التي تمتد من تونس إلى نالوت ثم تتجه نحو ساحل عند الخمس(*)2 ويطلق على هذه الهضبة الجبل ويعرف بجبل نفوسه وشرقه يوجد جبل

([1]) أحمد بك النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق الطاهر الزاوي: الجزء الثاني، القاهرة، 1961م، ص 30 .

([2]) غيرهارد رولفس : رحلة عبر أفريقيا مشاهدات الرحالة الألماني في ليبيا وبرنو وخليج غينيا 1865م، 1867- ترجمة عماد الدين غانم، مركز الجهاد الليبي، طرابلس، 1996م، ص 20 .

(*) زوارة : اسم مدينة من مدن طرابلس التى تقع بالقرب الحدود الغربية ، وتقع غرب طرابلس بنحو 109 كلم وجميع سكانها من البربر ويتكلمون اللغة البربرية وهى من الامكنه القليلة في طرابلس التى احتفظ فيها البربر بقوميتهم ولغتهم ولم يتاثروا بكثرة العرب . الطاهر احمد الزاوى ، معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 175 .

(*)1 مصراته : تقع شرقي طرابلس بنحو 215 كلم وقد اشتهرت منذ القدم بالنشاط التجاري عبر البحر المتوسط ، حيث مارس اهلها الدور الوسيط التجاري لنقل بضائع من كانم – برنو إلى طرابلس وكانوا ينقلونها الى الاسكندرية ومصر وبلاد الجريد بافريقية . الجندي الشيخ عثمان / تاريخ واصول سكان مره وكردفان وما جاورهما ، دار المعلم ، بيروت ، 1987 ، ص 40 .

(*)2 الخمس : مدينة صغيرة تجاور مدينة لبدة من الشمال وكان مكانها في عهد الروم ضاحية من ضواحي لبدة ، اسست مدينة الخمس في اواخر القرن التاسع عشر وهي واقعة على البحر مباشرة وهى جميلة عامرة بكل مقومات المدينة وتقع شرقي بنحو 120 كلم ، المرجع نفسه ، ص126 .

غريان وجبل ترهونة ثم جبل مصراته[1]. وبما أن ولاية طرابلس تقع في صميم مناخ البحر الأبيض المتوسط على رأسها سهل جفارة وتتميز بموقع جغرافي هام جعلها تكثر فيها المراكز التجارية (البحرية والبرية)[2] عادت هذه التجارة على أهل طرابلس بالأرباح الطائلة كما أوجدت فيهم روح المغامرة وتحمل المشاق . كما أن مدينة طرابلس نشأت في منطقة زراعية ينساب مجرى وادي كعام في منطقة طرابلس، وفي تلال مسلاته المعروفة بوادي (تفلات) الذي ينتهي في البحر. وخلف الجبل نحو الجنوب الغربي تنحدر الهضبة الصحراوية وتنتهي فيه المصاعب.

أما مناخ طرابلس يتأثر بالبحر المتوسط بينما تترك الصحراء تأثيرها على بقية البلاد فالرياح الجنوبية الجافة تسمى رياح القبلي تهب في أواخر الربيع وأوائل الصيف وتؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة في الشمال لتصل إلى 30°، 40° درجة مئوية خلال ساعات معدودة وتحجب الشمس وتضر بالمحاصيل الزراعية بما تثيره من غبار في كل مكان [3].

غير أن الشريط الساحلي لطرابلس يسوده مناخ البحر المتوسط مع بعض الأختلافات البسيطة، فهو حار رطب صيفاً وبارد وممطر شتاءً ويسقط الثلج أحياناً في بعض مناطق جبل نفوسه وتسقط الأمطار في منطقة طرابلس وتصل إلى 20 بوصة سنوياً في الفترة من نوفمبر إلى مارس أما في الجنوب فليست الأمطار بهذه الوفرة خاصة في إقليم فزان والمناطق الصحراوية وبما أن أعلى نسبة من الأمطار تسقط على مدينة طرابلس فإن الكثافة السكانية للإقليم تتركز على الساحل كما أن الزراعة في هذه المنطقة تعتمد على الأمطار وأهم المحاصيل الزراعية القمح والشعير والزيتون والفواكه مثل الخوخ والمشمش واللوز والبرتقال بالإضافة إلى العديد من أنواع الخضروات .

([1]) زرقانة إبراهيم أحمد: جغرافية الوطني العربي (ليبيا) مطبعة لجنة البيان العربي، الناشر دار النهضة العربية، القاهرة، 1964م، ص 22.

([2]) Hanes, D,EI, Antiguities of tripoltania, the trinity.Prees' the antiquites department of libya, 1959.P13

([3])Ibidum: PP. 13 - 14.

كما تعتمد المنطقة الجنوبية (فزان)[1] على الري من الآبار وأهم المحاصيل الزراعية التمور بالإضافة إلى الحبوب كالقمح والشعير والذرة لقد عرفت منطقة طرابلس بخصوبة أرضيها، ووفرة ميائها حيث ذكر هيرودوت[2] عند وصفه لمنطقة مسلاته ووادي كعام أنها كنت شديدة الخصوبة وكذلك منطقة رأس مصراته[3].

يتضح من خلال موقع مدينة طرابلس أن مؤسس هذه المدينة كان يدرك الأهمية في اختيار موقعها وذلك لتوفير سبل مقومات الحياة بمختلف أنواعها من حيث الموقع كحلقة وصل بين داخل البلاد الليبية أو خارجها وفرة المياه وخصوبة السهل التي تقع فيه ونقاء جوها وعذوبة ميائها .

مدينة طرابلس لها قلعة مربعة الشكل تواجه ميناءها الواسع ويفصلها عن المدينة خندق عريض وهي تحمي المدينة من البحر أو البر وتحيط بالمدينة من كل جانب أسوار قوية عالية بها أبواب مختلفة تعلوها أبراج تطل على البحر والبر ومن أهمها باب زناتة (باب الجديد)[4] .

يبدو أن طرابلس في بداية تأسيسها كانت مقيدة بالسور الذي يحوطها وبوفرة الوظائف. فقد عمتها موجات من الهجرة الداخلية والخارجية مما جعل التوسع في السكن خارج سور المدينة في أرض خضراء ما يعرف بالضواحي وأن هذه الضواحي كان لها دور في حركة النقل والاتصال بين الولاية والمناطق الأخرى.

إن مدينة طرابلس القديمة نشأت داخل سورها كانت مدينة فينيقية منذ القرن السابع والثامن قبل الميلاد كمحطة للتجارة الفينيقية. حيث أن المدينة تتمتع بوجود

---

(1) رزقانة إبراهيم أحمد : المرجع السابق، ص 31 .

(2) Hagnes, D.EI: Antiguities of tripolitania, The Trinity press, Published by The Antiquates Department of Libya, 1959. P. 14 .

(3)Herodotus, Trans Bg A.D Godley , P 196 .

(4) حسين مسعود بو مدينة : جغرافية طرابلس الغرب ، ط1 ، دار الشعب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصراته ، 2005 ، ص 88 .

ميناء طبيعي واسع (ساعد في وجوده سلسة من الصخور البارزة) التي تمتد في البحر وكذلك ساعدت ظروف مناخ البحر المتوسط في الحركة التجارية البحرية والبرية للفينيقيين مما أعطى المدينة أهمية متميزة كمنطقة عبور وحركة في التبادل التجاري بين طرابلس وما يقع في حوض البحر الأبيض المتوسط الشمالي وكذلك غرب أفريقيا وجنوب الصحراء [1].

لا شك أن وقوع ولاية طرابلس في وسط جنوب البحر الأبيض المتوسط وقربها من تونس وقربها النسبي من أوروبا الغربية ولإنتهاء طرق تجارة بلاد السودان عندها ولعدم وجود ميناء بحري يماثلها غرباً حتى تونس وشرقاً حتى الإسكندرية [2]. بهذا أصبح لها دور بارز في تجارة الموانئ التي حققت لها أرباحاً طائلة وذلك لما يتردد عليها من تجار من مختلف الجهات سواء كانوا عرباً أو أتراكاً أو أوروبيين.

لمحـــة تاريخيـة عن ولايـــة طرابلـس :

طرابلس مدينة قديمة عريقة، مرت بزخم من المراحل التاريخية الهامة منذ تأسيسها على أيدي الفنيقيين في القرن الثامن قبل الميلاد وإلى هذا العصر فقد عايشت طرابلس الكثير من أحداث البحر الأبيض المتوسط مثل الحضارات الفرعونية والفنيقيية واليونانية والرومانية والبيزنطية والإسلامية وساهمت فيها كما أنها كانت متأثرة بها ومؤثرة فيها[3].

فقد تركت تلك الحضارات أثراً في هذا الصدد ونجد أن ولاية طرابلس احتلت موقعاً جغرافياً هاماً بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، فقد كانت ولا تزال حلقة الوصل بين الشرق والغرب العربيين، وبين بلاد جنوب أوروبا وما وراء الصحراء . ولعل أهمية هذا الموقع – لفت أنظار الفينقيين عام 795 ق.م إلى أهمية هذا الإقليم

---

(1) حسين مسعود بو مدينة : جغرافية طرابلس الغرب ، المرجع السابق ، ص89 .

(2)عيسى رمضان التبلاوي، بدايات التخلف في الوطن العربي، أمثلة تطبيقية من ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، 2005م ص 164- 165 .

(3) مجموعة من الأساتذة والباحثين : معالم الحضارة الاسلامية في ليبيا ، إشراف اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم ، دار الكتب الوطنية ، القاهرة ، ط1 ، 2008 م ، ص11 .

وأقاموا عليه ثلاثة مراكز تجارية وهي "صبره" وتعرف اليوم بصبراته... و"آويات" . وتعرف اليوم بطرابلس، و" لبيتس الكبير" وتعرف اليوم بلبدة .ومع مرور الوقت نمت هذه المحطات والمراكز وأصبحت مدناً تجارية، وقد شهدت هذه المدن حركة تجارية ولكن مدينة طرابلس كان لها ازدهار كبير في عهد الفينيقيين حيث كانت سفنهم ترسو على شواطئها[1] . فمدينة طرابلس تعتبر مركزاً مهماً للمنتوجات المربحة في أواسط أفريقيا كالذهب والياقوت أو حجر اللازورد الذي عرف باسم الحجر القرطاجي والجلود والخشب الأبنوس، والعاج وحجر العقيق[2].

فقد تركز وجود الفينيقيين في مدينة طرابلس لجمع ما يمكن جمعه من البضائع الإفريقية عبر المراكز التجارية الليبية بالداخل "فزان".

والتي كانت معبراً وحلقة وصل بين مناطق الشمال وجنوب الصحراء[3].

قد نتساءل هل بدأت الحركة التجارية أو النشاط التجاري في مدينة طرابلس ومناطق ما وراء الصحراء منذ قدوم الفينيقيين أم قبل ذلك ؟

---

(1) أوليفر رولاند. جون فيج: مؤرخ تاريخ إفريقية، ت ، أحمد الصادق، مراجعة محمد سيد غلاب، الدار المصرية للتأليف، والترجمة (د.ت) ص ص 67، 68 .

(2) سعيد حامد مجلة التراث الشعبي ، مجلة متخصصة للتراث والمأثورات الشعبية والتجارة والاسواق في طرابلس عبر التاريخ ، العدد الرابع ، 1992 ، ص113

(3) عبد الرزاق مناع : الصحراء الليبية من أقدم الحضارات ، مكتبة بنغازي ، ليبيا 1969 م ، ص94 .

إذا حاولنا أن نحدد تاريخاً معيناً لبدء حركة النشاط التجاري في ولاية طرابلس الغرب نجدها قديمة ويصعب على الباحثين تحديد زمن بدايتها.[1]، فقد ذكر هيرودوت أن خمسة من الشبان من قبيلة النسامونيين(Nasamones) والذين كانوا يعيشون بالقرب من خليج سرت قد دفعهم حب الاستطلاع وروح المغامرة إلى التوغل في الصحراء وقد وصلوا إلى نهر النيجر . لعل القصد من هذه الرحلة هو الكشف عن المجهول اقتصادياً، والوصول إلى مصادر التجارة في بلاد ما وراء الصحراء ومعرفة نوعية السلع المتبادلة ويظهر أن هذه القبيلة كانت لها صلات تجارية مع الجرمنت سكان فزان القدماء. هذا ما دونه هيردوت في القرن الخامس قبل الميلاد. [2]

لا شك كذلك أن هنالك صلات تجارية بين المناطق الشرقية من ليبيا حتى وادي النيل والغرب والجنوب الغربي مع الجرمنت سكان فزان والذين يقودون القوافل التجارية ويسيطرون على طرق التجارة ويعرفون السبل الآمنة والقصيرة نسبياً، ولهم صلات حضارية مع الشعوب التي يتعاملون معهم كالمصريين والفينيقيين والرومان وكذلك شعوب جنوب الصحراء وينقلون كل ما هو جديد مفيد عنهم[3].

لقد أصبحت لتجارة القوافل في مدينة طرابلس أهمية كبيرة بفضل ما أبداه الفينيقيون من الاهتمام والعناية فقد خصصوا لهذه التجارة من يقوم بتنظيمها والقيام ببعض الرحلات الاستكشافية للساحل الغربي لإفريقيا، هذا في الوقت الذي قام العديد من أبناء ليبيا وخاصة التجار منهم في التوغل في الصحراء الكبرى لاكتشافها مما فتح المجال للتبادل التجاري مع بلدان إفريقيا جنوب الصحراء وأصبحت السلع تصل

---

(1) هيرودورت : تاريخ هيردودتس، الكتاب الرابع ت محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، (د.ت)، ص 123، 126 . – فريدريك هورنمان : رحلتان عبر الصحراء، طرابلس، دار الفرجاني، طرابلس، 1974م، ص 74 .

(2) المصدر نفسه ، ص26 .

(3) أم الهناء المدني : حضارة الجرمنت، بحث غير منشور، كلية الآداب، جامعة سبها، (د.ت)، ص 64

بكميات كبيرة إلى المدن الساحلية الليبية ومدينة قرطاجة وذلك عبر الطرق التي تربط مناطق الشمال بالجنوب من خلال المدن والواحات الليبية بالجنوب كزويلة وجرمة[*] وغدامس ومن ثم تواصل سيرها إلى أويا وصبراته ولبدة من بعدها قرطاجة في الشمال[1] .

ولقد كان لسكان المناطق الشمالية صلات تجارية ودية تربطهم بتجار فزان الجرمنت والذين كانوا وسطاء في الحركة التجارية والتبادل التجاري بين مناطق الشمال والشرق والجنوب [2]. ولعل هذا ما وثقته الرسوم الحجرية وكتابات المؤرخين والإغريق والرومان وما يشير إلى وجود تواصل بين الشمال والجنوب عبر الصحراء فالرسومات الصخرية توضح العربات التي تجرها الخيول الأربعة. هذا وقد لا توضح إمكانية عبور الصحراء لكن الجمل الذي تعكسه بعض الرسوم في قرزة [*1] وغيرها من المناطق يوحي بإمكانية عبور الصحراء[3].

لقد أصبحت مدينة طرابلس تابعة لنفوذ قرطاجة إلى قيام النوميدي(ماسينيا)[*2] بالإستيلاء عليها بعد إبرام معاهدة سلام مع القرطاجيين في عام 165 ق.م بتحريض وتأييد قوي من الإمبراطورية الرومانية، في عهد الإمبراطور الروماني يوليوس قصير بعد تزايد الخطر النوميدي قام الرومان بالاستيلاء على مدينة طرابلس سنة 57

(*) جرمه : هى مدينة تقع في وادي الحياة باقليم فزان كانت عاصمة للمملكة الجرمنتية ، سكان فزان القدماء ، ظلت عاصمة من القرن الاول الميلادي وحتى القرن السابع الميلادي أي عندما جاء الفتح الاسلامي الى فزان ، سنة (22 هـ - 642 م) . محمد سليمان ايوب : مختصر تاريخ فزان منذ اقدم العصور حتى 1811 ، المطبعة الليبية ، طرابلس الغرب ، 1967 م ، ص157 .

(1) الصادق النهيوم وآخرون: تاريخنا، ج2، دار التراث، جنيف، 1977م، ص 65 ، 66 .

(2) رجب نصير الأبيض: مدينة مرزق وتجارة القوافل خلال القرن التاسع عشر (دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي)، ليبيا، 1998م، ص 47 .

(*)1 قرزة : بلدة اثرية قديمة في الشمال الغربي من بو نجيم في اراضى اولاد ابي سيف وتقع في سفح وادي يقال له الأن وادي قرزة وكانت قرزة من مواطن البربر قبل الفتح الاسلامي بها صور منحوثة في الحجر آية في الابداع . الطاهر احمد الزاوي معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص290 .

(3) فلفيوسيكريسكو ينوس كود يبوسي: ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ترجمة محمد الطاهر الجراري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م، ص 359 – 389 .

(*)2 ماسينيا : هو من أشهر ملوك النوميدين ، يعتبر ماسينيا القرطاجي أهم الجنيرالات التاريخيين في معركة حنبعل قام بتأسيس دولة اميزيغيه في تونس الحالية 202 ق . م في عهده برزت نوميديا في ميادين عسكرية وثقافية كما جهز الاساطيل وشجع التجارة والزراعة ، المرجع نفسه ، ص389 .

ق.م[1]. وصاحب قدوم الرومان حدوث تغيرات في طبيعة الحياة في الصحراء حيث اختفت العربات التي تجرها الخيول أمام قدوم الجمل[2].

لا شك أن دخول الجمل سبب تطوراً كبيراً في حركة تجارة القوافل الصحراوية لأن حركة القوافل أصبحت أسهل بكثير من ذي قبل باعتبارها كانت في السابق بواسطة الحمير والخيل والثيران وهكذا أصبحت تجارة القوافل بين طرابلس وجنوب الصحراء في العهد الروماني أكثر نشاطاً وازدهاراً في نقل العديد من السلع والبضائع إلى عاصمتهم روما. والتي يبدو أنها كانت تعج بكل مظاهر الترف والبذخ وكانت أهم السلع العاج وريش النعام والعبيد والحيوانات المفترسة وكافة أنواع الطيور وكذلك الذهب من غرب إفريقيا (غانا) . ويظهر أن كل هذه السلع يحتاج إليها الرومان[3]. ويتم إستبدالها بسلع أخرى مثل الأقمشة والأواني والأسلحة والزجاج. إن هذه التجارة العابرة للصحراء ليست دائماً تسير في الأمان بل نجدها كثيراً ما تتعرض لقطاع الطرق من قبل سكان المناطق التي تمر بهم تلك القوافل التجارية لذلك قام الرومان بالعديد من الحملات العسكرية ومنها سنة 19ق.م بقيادة كورنوليوس بالبوس (*Cornelios.Balbos*) لوضع حد لنشاط قطاع الطرق[4]. كما قاموا بالسيطرة على المراكز التجارية كغدامس وغات وزويلة وجرمة فقد كانت لهم حاميات فيها وكان أغلب[5]، هؤلاء العساكر من السكان المحلين كما قاموا بتأمين الطرق فحفروا الآبار والصهاريج لحفظ مياه الإمطار في الأودية وبناء القلاع والحصون كتوفير الحراسة لتلك القوافل ومن هذه القلاع الرومانية المتواجدة إلى يومنا هذا كقلعة أبوانجيم

(1) محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أدهم، محمد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب 1970، ص 123.

(2) ريموند موني : طرق التجارة عبر الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، 1981م، مركز جهاد الليبيين، ص 122 .

(3) محمد سعيد الفيتوري: ليبيا وتجارة القوافل، الجمهورية العربة الليبية، وزرارة التعليم والتربة، الإدارة العامة للآثار ، 1972م، ص8.

(4) عبد اللطيف محمد البرغوتي: التاريخي الليبي القديم، منشورات الجامعة الليبية، ط1، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1971م، ص 160.

(5) رودلفو غريساني : إعادة الاحتلال فزان ترجمة عبدالسلام باستي إمام ،طرابلس، مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1993، ص3

والقريات وغيرها ويلاحظ من يعبر الطريق في إتجاه الشمال أو إلى مناطق الجنوب يجد العديد من المباني والقلاع على الطراز الروماني القديم.[1]

أصبحت طرابلس في القرن الرابع الميلادي تحت سيطرة الوندال[*]. غير أن هؤلاء كان هدفهم خلاف سابقيهم إذ خربوا ودمروا أكثر مما أصلحوا، وتعرض سكان طرابلس لمشاكل كثيرة من النهب والسلب، مما جعل هذه المدينة خلال فترة وجودهم لم تشهد نمواً أو زيادة في البناء[2] .

كما لم تشهد طرابلس تطوراً طيلة الفترة التي قضتها تحت حكم البيزنطيين منذ 533م بل أخذ البيزنطيون يعرضون الدين المسيحي على سكان البلاد واهتموا ببناء الكنائس وترميم الأسوار والاهتمام بأبراج المراقبة قصد حمايتهم[3]

لقد ظلت طرابلس تحت سيطرة البيزنطيين حتى الفتح العربي الإسلامي، فقد فتحت الجيوش العربية بقيادة الصحابي الجليل رضي الله عنه عمرو بن العاص كما أشرنا سابقاً برقة في عام22 هـ - 642م وتم الاستيلاء على طرابلس وفزان سنة 22، 23 هـ - 642 - 643م.

امتدت الفتوحات في مشارف بلاد السودان الأوسط وتوطد جذور الحكم العربي فيها بعد سنة 27 هـ - 647 م في ظل الخلفاء الراشدين وفي عام 41 هـ 661 م خلف الأمويون الراشدين[4]. غير أنه منذ القرن الأول الهجري حدثت منازعات وخلافات سياسية ودينية داخل الدولة العربية الإسلامية وظهر ما يعرف بالخوارج الذين انشقوا على الخلافة الأمر الذي جعل الخلفاء يفقدون السيطرة على مناطق شمال أفريقيا هذا وقد تعرضت طرابلس إلى الدمار من قبلهم سنة141 هـ - 758م،

---

(1) مصطفى عبدالله بعيو : دراسات في تاريخ اللوبي، مطبعة عابدين، الإسكندرية، 1953 ، ص 176 .

[*] الوندال : قبائل الهون المتبربره من اصل جرماني زحفوا من بلادهم بجوار بحر آزوف فعبروا المانيا ففرنسا ثم اسبانيا ومنها قدموا الى الشمال الافريقي سنة 429 م وقد جهزوا جيشا كبيراً واستولوا على طرابلس 455 م ، سعيد حامد : مجلة التراث الشعبي (مجلة متخصصة للتراث والمأثورات الشعبية) المرجع السابق ، ص 115 .

[2] محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 124

[3] جون رايت : تاريخ ليبيا من أقدم العصور ، ترجمة عبد الحفيظ الميار ، أحمد اليازوري ، دار الفرجاني ، طرابلس ليبيا ، 1972 ،ص40

[4] هنري حبيب: ليبيا بين الماضي والحاضر، ت شاكر إبراهيم، دار النشر والتوزيع، ط1، 1981م، طرابلس، ص 58 .

كما خضعت طرابلس وضواحيها وكذلك فزان إلى تعاليم الخوارج الأباضية[*] في جبل نفوسة[*1] بطرابلس[1].

ففي منتصف القرن الثاني للهجرة شن محمد بن الاشعث عامل أبي جعفر المنصور العباسي على مصر، حملة ضد الاباضيين الذين كانوا تحت سيطرة إمام الاباضية في إفريقيا، أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[2] . أحد الذين تعلموا في البصرة، وأدخلوا المذهب الأباضي في إفريقيا . وبعد أن التقى الجيشان في شرق طرابلس بمنطقة تاورغا[3] التي تبعد عنها حوالي أربعة وعشرون كلم، انهزمت قوات أبي الخطاب وقتل في المعركة عام 145 هـ/762 م . مما أضطرهم للنزوح إلى المناطق الداخلية (فزان)[4] .

وهذا وقد أصبح سكان فزان في نهاية القرن الثاني الهجري /الثامن ميلادي اباضية واعترفوا في البداية بسيادة الرستميين[*2] .

وبعد زوال الرستميون ظلت بعض أجزاء فزان تابعة للاباضية بجبل نفوسة، بينما استغلت أجزاء أخرى من فزان بشئونها[1].

(*) الاباضية : هي عبارة عن فرقة تنتسب الى عبد الله بن آباضي ، وأول من نقل مبادي المذهب الاباضي الى المغرب الأذني هو سلمة بن سعيد الذي آتخذ من المنطقة ميداناً لنشاطه ، وأكتسب أنصاراً لمذهبه في طرابلس وجبل نفوسه ، وذلك منذ القرن الثاني الهجري ، وأصبح جبل نفوسه مقراً للمذهب الأباضي في بلاد المغرب باكمله . انقسمت الأباضيه الى مجموعة من الفرق منها الأباضية والوهبية ، والنكارة والنفائية ، والخلفية والعمرية ، والحسينية والفرنية ، السكاكية ، عامر النجار : الأباضية ومدى صلتها بالخوارج ، القاهرة / دار المعارف ، جوادن ستار للطباعة ، ط 1 ، 1993 ، ص 95 .

(*)1 جبل نفوسة : هو سلسلة جبال صخرية تمتد من الغرب الى الشرق . وهو جزء من سلسلة جبال أطلس التى تبدىء من بحر الظلمات وتمر بمراكش والجزائر وتونس وطرابلس ويبتدئ جبل نفوسه من الغرب من غربي نالوت وينتهي بحدود غريان الشرقية ، وطول هذه المسافة حوالى 200 كلم ، وكان جبل نفوسه ، مازال الى الآن موطن البربر ومحل أقامتهم الدائمة ، وممتلكاتهم الخاصة . الطاهر أحمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق / ص 97 .

(1) إن نظرية الخوارج في الحكم في أكثر نظريات الحكم الإسلامية ميلاً لتطبيق مبدأ الشورى، فعلى خلاف السنة التي يقصر أحقية الإمامة أو الخلافة على قريش أما العلويين فجعلوها في على بن أبي طالب وأعقابه فيما نجد الأباضية قد أقروا مبدأ جواز أن يكون الإمام أو الخليفة من عامة المسلمين بشرط أن يكون ملماً بكتاب الله وسنته . الشهرستاني، الملل والنحل ، ص 135

(2) أحمد النائب الأنصاري: المنهل العذب في طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص 53 ، 54 – عبد الله بن يحيى الباروني النفوسي، رسالة سلم العامة المبتدئين إلى معرفة أئمة الدين 290 هـ - 867م . الطاهر أحمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي لليبيا ، المرجع السابق، ص 180 .

(3) عبد الله بن يحيى الباروني : النفوس، المرجع السابق، ص 91 .

(4) الطاهر أحمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار التراث العربي ، طرابلس – ليبيا ، ص 180 .

(*)2 الرستميين : الدولة الرستمية قامت في المغرب الأوسط مؤسسها عبد الرحمن بن رستم الذي يقال أنه من أصل فارسي وكانت عاصمة هذه الدولة مدينة تاهرت وقد أزدهرت هذه المدينة على عهد بني رستم حتى صارت مجمع للتجار والعلماء والطلبة من أنحاء العالم الاسلامي وقد تحالف الرستميون مع دولة بنى مدرار ولما توفى عبد الرحمن في (158 هـ - 747 م) ترك الامر في سبعة أشخاص من بينهم أبنه عبد الوهاب واستمرت الدولة الرستمية قائمة إلى أن قضى عليها الفاطميون سنة 296 هـ 909 م أبن عذاري : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ، ح / س كولان وأليفي بروفنسال ، دار الثقافة العربية ، بيروت لبنان ، ج 1 ، ص 239

في الوقت الذي كان فيه بعض سكان فزان الأباضين الذين إنضموا في بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع ميلادي إلى المنشق الاباضي خلف بن السمح الذي ثار على أئمة تاهرت الرستمين وبسط سيطرته على إقليم طرابلس، بإستثناء جبل نفوسة وظل سكانه يمارسون الشعائر الاباضية على ولائهم للرستمين[2] .

وهكذا أصبحت فزان منذ منتصف القرن الثالث هجري / التاسع ميلادي اباضية [3].

لقد أعطى جاك تيري[4]،إشارة مهمة لتوضح أن هنالك وجود مجموعتين من الاباضية الاولى بطرابلس وجبل نفوسة وقبائل الهوارة في سهول تاهرت.

أما الثانية من مزاته صحراء سرت الجفرة ويقول عنهم اليعقوبي: (أنهم اباضيون ولكنهم لا يفقهون شيئا في الامور الدينية لا يراعون أوامر الدين أو نواهيه)[5].

لا شك أن هذا الوصف ينطبق على القبائل البربرية لواته[*] هوارة[*]1

وقبائل لمطة[*] الذين كانوا مستقلين سياسياً عن تاهرت[2]، أما عن منطقة طرابلس فقد أصبحت منذ القرن الثامن ميلادي تحت سيطرة قبيلة الاغالبة[*]1 العربية

---

(1) الحافظ عبد الكريم سليمان : الدور السياسي والحضاري لفزان في القرن الثامن الهجري وأثره على دول الجوار ، جامعة أ م درمان الاسلامية – السودان 209 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ص 81 .

(2) المرجع نفسه ، ص 82 .

(3) تاريوزليفي تكيسي: دورا الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب في تاريخ إفريقيا العام اليونسكو لبنان مج افريقيا من القرن السابع إلى الحادي عشر ط1997،2م،ص322.

(4) جاك تيري : تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ترجمة جاد الله عزوز الطلحي ،دار النشر والتوزيع ليبيا ،2004م،ص221

(5) اليعقوبي : تاريخ البلدان، المصدر السابق ،ص395

(*) لواته : من القبائل البربرية الهامة تنقسم الى فرعين : أحدهم كان يقيم في برقة ويتقدم نحو طرابلس حتى لبدة والأخر باسم نفزاوه وكان يعيش جنوب قابس وقفصة . أبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، دار الكتاب لبناني ، بيروت ، ط 1 ، ج 6 ، 1968 ، ص 103 .

(*)1 هوارة : من أشهر القبائل البربرية وكان أول أرض هوارة منطقة تسمى ورداسة وتمتد منازلهم حتى مدينتي وطرابلس وهم من القبائل البربرية التى نزحت من الشمال واستوطنت فزان . ومنهم من رحل الى بلاد السودان . وكان قبلة الهوارة ذكر في الردة وكانوا متعصبين للخوارج ثم اعتنقوا ا مذهب الاباضية واستقروا عليه . حسن الوزان : وصف افريقيا ، ترجمة محمد مجى و محمد الأخضر ، ج 2 ، دار العربي الاسلامي بيروت ، 1983 ، ص 244 .

(*) لمطة : لقد ذكر لمطة المؤرخون والجغرافيون العرب منذ القرن (3هـ - 9 م) ويجعلهم البعقوبى حول زويلة فزان في انحاء اوجله وأجدابيا الى كاوار ، وهم أول من فروا أوام هجوم العرب ويقول أبن خلدون : إنهم أخوه لصنهاجة وجزولة وجدالة ، وابناء عمومة لهوارة من جدتهم المشتركة العرجاء ، وكان هذا الدرع يصنع جلد اللمط ، وهو ضبي صحراوي أبيض ، وهذا ... الدرع يجب أن ينقع فى الحليب لعام كامل ويرتد عنه السيف إذا ضرب / وإذا توغل فيه تعذر إخراج منه ، وان أحسن الدروع تصنع من جلود الأناث الكبيرة سناً ، وهذه الدروع لا توجد أحسن لوقاية المحارب ، المصدر نفسه ، ص 153 .

(2) جاك تيري : تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص221- 222 .

وذلك عندما عين الخليفة (هارون الرشيد) هذه القبيلة نائبة له في حكم تونس ومنطقة طرابلس، وذلك نتيجة العديد من الثورات التي ظهرت في هذه الاقاليم رغم تواجد الدولة الرستمية من المغرب الأقصى إلى جبل نفوسة والتي كانت تتحكم في طرق القوافل التجارية[(2)] .

غير أن الفاطميون[(*)2] أنهوا حكم هاتين الدولتين واستولوا على طرابلس سنة 298 هـ – 910 م كما سيطر الفاطميون على مصر وأسسوا القاهرة عاصمة جديدة لهم سنة 309 هـ – 969 م.

أما طرابلس لبعدها ظلت تحت سلطة إبن زيري الصنهاجية[(*)3] الحاكمة بينما استقلت كثير من المدن بشؤونها فقد قامت في مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي مملكة ابن الخطاب بزويلة وهي من ضمن دويلات المدن المستقلة التي تحكمها أسرة إباضية من قبيلة الهوارة والتي يذكر أن أول أمرائها عاملاً للمنصور بن بلكين[(*)] وكانت هذه المملكة تتبع الدولة الزيرية[(*)1] ومرتبطة من الناحية السياسية والادارية بطرابلس التي كانت هي الأخرى تابعة للدولة الزيرية في إفريقيا[(1)] .

[(*)1] قبيلة الاغالبة : تولوا الحكم في شمال أفريقية في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وكان نظام الحكم فيها فردياً وراثياً منحصر في بنى الأغلب وكانوا يحكمون باسم الخلافة العباسية وعاصمتهم الرسمية القيروان بينما كانت عاصمتهم الخاصة مدينة الرقادة جنوبي القيروان وكان الاغالبة يمتلكون قوة بحرية هائلة مكنتهم من غزو صقلية ومالطا والسواحل الجنوبية الايطالية ، وعلى الرغم من قوة نفوذ الاغالبة الا أن نفوذهم داخل افريقيا كان ضعيفا مما ساعدهم على نمو حركة ابي عبدالله الشيعي في الجبال الجنوبية من دولتهم وتمكن من الاستيلاء على بلادهم في اواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادى . الطاهر أحمد الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، المرجع السابق ، ص 162 .

[(2)] محمد بن جرير الطبري : تاريخ الامم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل أبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، 1968 ، ج(8) ، ص272 .

[(*)2] الفاطميون ينتسبون الى فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج علي بن ابى طالب ومن اسمها اتخدوا لقبهم فعرفت بالدولة الفاطمية الشيعية العلوية . وايضا الدولة العبيديه . نسبة الى اول خلفائهم عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر ، ولقد اختلف المؤرخون حول نسبه ، يقتصر البعض تسمية بالدولة العبيديه على فترتها بالمغرب . تحول مركز حكمهم الى مصر في 361 هـ - 971 م في عهد معد بن اسماعيل بن ابي القاسم بن عبيد الله ، كنيته أبو تميم ، ولقبه المعز لدين الله . ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، المصدر السابق ، ص 149 .

[(*)3] لما تم للفاطميين فتح مصر ونقل مقر خلافتهم إلى القاهرة لم يكن بد أن يستخلفوا صنهاجة التي وقفت إلى جانبهم في أحلك الاوقات فخلع المعز لدين الله الفاطمي على بلكين بن زيري وسماه يوسف وكناه أبو الفتوح سنة 361هـ - 972 م . واستمرت تبعية الزيرين للفاطميين حتى دك المعز بن على افريقيا يوم السبت سنة 406هـ - 1015 م ، وكانت افريقيا كلها على مذهب الشيعة فحرص أبو الرجال وزير المعز بن باديس على إتباع مذهب الامام مالك وعلى السنة في سنة 440هـ - 1048 م قطعت الخطبة لصاحب مصر وأمر المعز بن باديس بأن يدعى في المنابر للعباس بن عبد المطلب وبدلت السكة العبيدية ولعنوا المنابر وبذلك استقلت الدولة الزيرية الصنهاجية عن الفاطميين . ابن عذاري: البيان المغرب ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص273-290.

[(*)] المنصور بن بلكين تولى إمارة إفريقية بعد وفاة والده بلكين بن ريزي ويعد أول أمير في الدولة الصنهاجية فكان المنصور جاداً حازماً عادلاً دامت إمارته نحو 31سنة وتوفي سنة 386هـ الطاهر أحمد الزاوي تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، المرجع السابق ، ص206،207

[(*)1] الدولة الزيرية : لعب بنو زيري من صنهاجة دوراً مهماً في توطيد دعائم النظام الفاطمى الشيعي في بلاد المغرب في نهاية القرن الثالث الهجري – العاشر الميلادي فكافأهم الفاطميون على جهودهم بانابتهم في إدارة بلاد المغرب حينما قرروا الانتقال الى مصر سنة 362 هـ - 972 م . وكان أول من تولى الملك منهم بلكين بني زيري واستمرت دولة بني زيري تدور في فلك الفاطميين والمذهب الشيعي الى أن نجحت انتفاضة العاهل الزيري المعز بن باديس فتخلص من الوصايا الفاطمية وعاد بالبلاد للمذهب السني في منصف

لقد كان لهذه المملكة دور هام في حركة القوافل التجارية ببلاد السودان الغربي والأوسط وذلك لأن مدينة زويلة هي المدخل لبلاد السودان كما ساهمت في تكوين صلات وعلاقات سياسية واقتصادية واجتماعية بين فزان وبلاد السودان .

أما طرابلس والمناطق الساحلية في تلك الآونة فقد حدثت فيها العديد من الثورات والتمرد من قبل القبائل البربرية على حكومة الأمراء فقد استولى الزناتيون على طرابلس سنة 400 هـ/ 1010م وكونوا دولة بن خزرون(*)2.(2)

لقد أصبحت طرابلس والمناطق التابعة لها في ظل الزيرين آمنة ومستقرة ومنتعشة وذلك حتى منتصف القرن الحادي عشر، ولكن هذا الاستقرار لم يدم طويلاً، فسرعان ما قامت ثورة ضد الشيعة الفاطميين وأعادت الحكم للسنيين الموالين لبغداد في الفترة من 398- 454هـ/ 1008- 1062م وردت الخلافة الفاطمية من مصر على تلك الثورة بأن أطلقت العنان لقبائل بنى هلال وبنى سليم العربية ضد الثورة التي قامت هنالك أملاً في استعادة سيطرتهم على طرابلس، إن ذلك لم يسفر إلا عن إضفاء الطابع العربي الإسلامي كاملاً على هذه المنطقة وتحقق المذهب السني في هذه المنطقة دون أن يعقلوا الفاطميون شيئاً حيال ذلك هذا وأن الفاطميون في نهاية الأمر تخلوا عن مصر وبرقة للسلاجقة .

أما مناطق طرابلس وغربها فكانت في حالة فوضى تامة وحاول الزيريون فرض السيطرة على جزء منها حتى 540 هـ - 1145م حين استولى النورمانديين على طرابلس(1) .

القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . عبد القادر عثمان جاد الرب : مجلة كلية الآداب المحمدية والعلوم الانسانية ، جامعة الملك الحسن الخامس ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، العدد الأول ، 1999 ، ص 57 .

(1) ابن العذاري : البيان المغرب ، ج 1 ، ص 239 .

(*)2 ابن خزرون أسرة من قبيلة زناتة استولوا على طرابلس سنة 400هـ - 1009 م وأول حاكم منهم عليها هو فلفل بن سعيد تولاها سنة 391هـ - 1001م وأخر حاكم منهم محمد ابن خزرون وقد كانت بينهم وبين الصنهاجيين وقائع كثيرة ولم تزال طرابلس بأيدي الزنتانين إلى سنة 540هـ - 1145 م . فكانت في تلك السنة شدة عظيمة ومجاعة هلك فيها الناس وفروا من أوطانهم وأصبحت طرابلس خاوية على عروشها . امحمد بن عثمان الحشائشي: رحلة الحشائشي إلى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) ، تقديم على مصطفى المصراتي، بيروت ، دار لبنان، 1965،ص،34.

(2) المرجع نفسه ، ص34 .

(1) جون رايت: تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور ، المرجع السابق ، ص79.

وفي سنة 553 هـ- 1158م تم استرجاع مدينة طرابلس من أيدي النورمانديين بعد قدوم الجيش العربي في عهد دولة الموحدين إلى مدينة طرابلس وأصبحت تحت سيطرة (عبد المؤمن بن علي) لقد ساد حكم الموحدين على طرابلس حتى 625 هـ – 1227م ثم وضعت طرابلس تحت حكم الحفصيون[*] فهم الولاة الذين عينهم الموحدين على طرابلس سنة 625هـ/1227م وقد استمر الحكم حتى 725 هـ – 1324م . خلال هذه الفترة أستمر حكم أسرة بن تابث في طرابلس حتى 803 هـ 1400م ثم ظهور الدولة الحفصية حتى 865 هـ – 1460م[1].

أما مناطق الجنوب طرابلس (فزان) في بداية الأمر كان وجود العرب فيها قليلاً وبعد فتح عقبة [*1] هذه الواحات الصحراوية ظلت تجارتها احتكارا لقبائل البربر كما أصبحت القبائل العربية والاباضية في صراع دائم مع الجرمنتيين وسيطروا على طرق القوافل الصحراوية العابرة للصحراء[3].

يظهر أن اوضاع فزان ظلت مستقرة في فترة حكم دولة ابن الخطاب الاباضية الذين كانوا يتصفون بالتسامح وعدم التزمت بتعاليم المذهب الاباضي.[1]

فقد ذكر البكري في القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي عن الاوضاع السائدة في فزان فقال "والعجيب أن هذا الخليط المكون من البربر والعرب والفرس وأهل فزان قد استقروا في ظل الاسلام يمارسون تجارتهم"[2] هذاوقداهتم سكان فزان بالحركة التجارية للقوافل الصحراوية حيث أن فزان معبر وجسر حلقة وسط بين

(*) الحكم الحفصي : الحفصيون هم فرع من فروع الدولة الموحديه ويفضل نسبهم لقبيلة قريش والى النبي الكريم ، استطاعوا ان يكسبوا حكمهم صبغة شرعية ويعلنوا الخلافة لهم في عهد ابي عبداالله ابن الامير زكريا ، والذي سمى المنتصر باالله في سنة (657 هـ / 1259 م) ، وذلك بعد زوال الخلافة العباسية في مدينة بغداد على يدى التتار (المغول) وقتل أخر الخلفاء العباسيين المعتصم باالله (ت 656 هـ / 1258 م) بسنة واحدة . زبيب نجيب : الموسوعة العامة للتاريخ المغرب والاندلس ، تحقيق أحمد بن سودة ، ج2 ، منشورات دار الامير للثقافة والعلوم ، بيروت ، لبنان ، 1995 ، ص 80 .

(1) التجاني : رحلة التجاني ، المصدر السابق ،ص251

(*)1 عقبة بن نافع : هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القريشي الفهري ، قائد فاتح ، ولد في حياة النبي صلى االله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر وليبيا ولاه معاوية إفريقية . أبن القنفذ القسنطيني : كتاب الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، دار الافاق الجديد 1403 هـ - 1983 م . ص 59 .

(3) محمد سليمان ايوب : مختصر تاريخ فزان منذ اقدم العصور ، المرجع السابق ، ص89 .

(1) محمد سليمان ايوب : مختصر تاريخ فزان منذ اقدم العصور ، المرجع السابق ، ص89 .

(2) البكري: المسالك والممالك ، المصدر السابق ،ص10

مناطق الشمال وما وراء الصحراء كما ساهموا في نشر الاسلام واللغة العربية والثقافة الإسلامية ولقد ظلت فزان طريقاً مفتوحاً لتبادل السلع ونشر الإسلام، ومن ثم طريق قوافل الحج التي تخترق أفريقيا من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق في طريقهم إلى الأرض المقدسة.لا شك في أن الحجاج كانوا يمارسون حرفة التجارة إلى جانب أدائهم لفريضة الحج، وتنوع السلع التي يحملونها معهم[3] .

والحقيقة التي يمكن قولها وذكرها بإن العصر الذهبي لتجارة الصحراء بدأ بانتشار الإسلام في شمال أفريقيا وذلك لأن الأمم السابقة التي تعاقبت على حكم مدينة طرابلس الغرب من الفينيقيين والرومان لم تستطع التوغل في أعماق القارة الأفريقية بعكس العرب الذين تمكنوا من الوصول بسهولة إلى بلدان أفريقيا جنوب الصحراء كبرنو تمبكتو[*] وجنّي[*1] وقد نتج عن هذا النشاط التجاري إنشاء محطات تجارية على طول الطرق العابرة للصحراء كمدينة زويلة وغدامس وجرمة[1] .

لقد ادى الاهتمام بتجارة الصحراء عبر تلك المحطات إلى نشاط حركة الاسواق وزادت كمية السلع التي تجلبها القوافل كالتبر والعاج فضلاً عن الإستفادة من بعض الضرائب التي فرضت على حمولة كل جمل وعلى الرقيق[2].

وهكذا أصبحت مدن واحات فزان مزدهرة بتبادل البضائع والسلع فيما بين إفريقيا السوداء والعالم الاسلامي والمسيحي فقد وجدت على ممر فزان العديد من المدن والواحات التي تنتشر من البحر المتوسط إلى وسط افريقيا، مثل هون وودان وزويلة التي تركت أثراً وانطباعاً كبيراً على زائريها بأسواقها ومساجدها وخاناتها وحماماتها

---

[3] مصطفى عبد الله بعيو: دراسات في التاريخ اللوبي ، مطابع عابدين ، الاسكندرية ،1953م، ص184 .

[*] تمبكتو : مدينة تقع في جمهورية مالي حالياً على منحنى نهر النيجر ، وقام السلطان منسى موسى ، بعد عودته من الحج سنة 725 هـ - 1324 م وبناء المسجد أوالجامع الكبير المعروف باسم (داجنجو) ، وقد قام ببنائه مهندس من اصل قرطبي وهو أبو اسحاق الساحلي ، كان قد قدم مع السلطان موسى من مكة . عوض الله : الشيخ الامين ، العلاقات بين المغرب الاقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الاسلاميتين مالي وسنغى ، جدة ، دار المجمع العلمي ، 1979 م ، ص 137 .

[*1] جنّى : أسست في منتصف القرن 200 هـ - 800 م على نهر النيجر وتعتبر مركز ثقافي وحضاري هام . امطير سعد غيث : التأثير الاسلاميى في بلاد السودان الغربي ، فما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلادي ، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العلاقات العربية الافريقية ، جامعة طرابلس ، 1994 م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ص 77 .

([1]) أحمد الياس : طرق التجارة في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، عماد الدين غانم ، محرر منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ليبيا 1979م ، ص50 .

([2]) ابو القاسم إبن حوقل النصيبي : صورة الأرض ،ج2،دار الصادر بيروت ، ط2، 1938،ص67

فقد وصف البكري مدينة زويلة في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي قائلاً :"هي مدينة غير مسورة في وسط الصحراء أول بلاد السودان وبها جامع وحمام وأسواق يجتمع بها الرفاق من كل جهة منها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم وبها نخل وبساط للزرع وسقي الابل" [1].

يبدو أن مدن فزان كزويلة وغدامس وجرمة وغيرها كانت حتى القرن الحادي عشر الميلادي لا تزال مزدهرة وتعج بالحركة والنشاط التجاري.

أصبحت فزان والعديد من المدن الليبية في أواخر القرن الثاني عشر ميلادي وحتى بداية القرن الرابع عشر رغم قلة البيانات والمعلومات عنها وكل ماورد عنها عبارة عن إشارات وتلميحات في المصادر التاريخية والجغرافية حيث أصبحت في تلك الفترة تعيش في فوضى واضطراب ، ووقعت تحت حكم قرقوش شرف الدين الذي كان أحد ضباط صلاح الدين الايوبي في نضاله ضد الصليبيين

وقد سبب المتاعب في فزان وتعرضت فزان لحكم من قبل قوة لا تريد الحكم ذاته بل سلامة القوافل الصحراء كسيطرة الكانميين[*] على فزان والجرمان والطوارق

وبالحديث عن طرابلس وعند إنهيار الحكم الحفصي أصبحت في فترة عدم إستقرار، حيث يتم اختيار حاكم طرابلس من الشيوخ والزعماء المحليين عن طريق المبايعة ويساعدهم في ذلك مجلس الشورى.[2]

كانت طرابلس في هذه الأونة مستقرة ذات رخاء في كافة ربوعها لاستقامة الحكم واتصافه بالحزم والعدل ودعم الاستقرار في جميع نواحي الحياة واجتهد سكانها في كسب الرزق مما جعلهم يعيشون عيشة غني ورغد ورفاهية الأمر الذي انعكس

([1]) البكري : المسالك والممالك : المصدر السابق ص767 .

([*]) الكانميون: الكانميون ويعرفون بالكانمبو وهم شعب سوداني افريقي اصيل ، وهم من الجماعات الطنجورية وهم عرب في الاصل ترجع أصولهم الى بني هلال ولكنهم اصبحوا افارقة سوادنيين مع الزمن ، وقد هاجروا بعد القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادي من تونس الى طرابلس ثم فزان ومن هنا تفرقوا فتوجه بعضهم الى وداى ، وبعضهم الى كانم . حسين مؤنس : فزان ودرها في انتشار الاسلام في افريقية) مجلة كلية الآداب ، العدد الثالث ، منشورات جامعة بنغازي 1969 .ص 80 .

([2])الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا،دار التراث العربي، ليبيا، الطبعة الثالثة، ص 343.

علـى كافـة الجوانـب السياسـية والاجتماعيـة[1] والاقتصـادية لعـل طـرابلس بحكـم الاستقرار والمكانة الاقتصادية وما شكلته من أهمية على الساحة الدولية آنذاك لفتت أنظار العالم اليها عندها سعت كل دولة لها اهتمام بالتجارة مع الدول الأفريقية إلى عقد اتفاقيات بينها وبين جنوه[*1] والتي كانت حريصة على إقامة علاقات تجارية مع مدينة طرابلس[2].

إن أهمية طرابلس الاستراتيجية والاقتصادية كما ذُكر سابقاً في تلك الفترة جعل لها دوراً هاماً بين مناطق الشرق والمغرب العربي وكذلك مع الأتراك والأوروبيين كما أن مدينة طرابلس كانت زاهرة لها العديد من الأسواق والدكاكين والحوانيت والصناعات المختلفة كما لها صلات تجارية بحرية وبرية بين مناطق الشمال وجنوب الصحراء .

وقد وصف الحسن الوزان مدينة طرابلس في ذلك الوقت بأنها من أهم بلدان الشمال الإفريقي حيث قال "إن سكانها يتعاطون التجارة بكثرة لأنها مدينة " قريبة من نوميديا[*] ومن تونس دون أن توجد مدينة غيرها حتى الاسكندرية ولقربها من مالطا[*1] وصقلية[*2] فكانت سفن البندقية[*3] ترسوا بها قديماً[3]. ويظهر أن

([1]) منصور علي الشريف : عائلة المكني وأبناؤه وأدوارهم في التاريخ الليبي، ط1، مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003، ص 13 .

(*)1 جنوا : مدينة ساحلية قديمة ازلية البناء حسنه الجهات والافناء بنيانها شاهق السمو من اعظم مدن الروم والفرنج ، اهلها آملئاء ومياسر بفضل ممارستهم للتجارة التى يعبرون بها البحر والبر لهم معرفة بالحيل الحربية ، ولهم عزة انفس بين الروم ، ويقال انهم قريش الروم ، اذ يرجعون اصلهم الى العرب المتنصره من اولاد جبله بني الايهم الغساني الذي تنصر في الشام وهم لايشبهون الروم في الخلقة واللون ، اذ الروم شقر وهم سمر دعج ، وهم قوم تجار يجبون عرض البحر من بلاد الشام الى الاندلس . الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق . المصدر السابق ، ص344 – 345 .

([2]) رأفت الشيخ: في تاريخ العرب الحديث، ط2، دار الثقافة، 1996م، ص 23 .

(*) نوميديا : هي مملكة أمازيغية وتعتبر من أشهر ممالك برقة الحالية وامتدت وشملت أغلب بلاد المغرب . ولا يعرف بالتحديد تاريخ تاسيس مملكة نوميديا لكن يرجح انها تاسست سنة 202 قبل الميلاد ، حسن الوزان : وصف افريقيا ، المصدر السابق ، ص99 .

(*)1 مالطا : هي دولة صغير فيها كثافة سكانية عالية وتبعد بمسافة 93 كلم من تونس وحوالى 288 كلم من صقلية . بريان بلويه : قصة مالطا . ترجمة مصطفى محمد جوده ، مكتبة الفرجاني ، بيروت ، لبنان ، 1969 م ، ص 11 ، 12 .

(*)2 صقلية : جزيرة وإقليم يتبع ايطاليا ويتمتع بالحكم الذاتي ، عاصمتها بالرمو ، وهي اكبر جزر البحر المتوسط . عبدالله إنبيه المعلوم : التواصل الثقافي بين مدن افريقية خلال الدولة الحفصية في الفترة مابين (634 – 1236 هـ / 981 – 1573 م) (طرابلس ، تونس ، بجاية) منشورات مركز الجهاد الليبين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، ليبيا ، 2010 ، ص81 .

(*)3 البندقية : يضن البعض أنها اسست في منتصف القرن السادس الميلادي . وأنها من البنيان الاسكندر بن فيلبوس ، وظلت مدينة البندقية الى القرن الثامن الميلادي معتبرة جزأ من الاراضي الايطالية الخاضعة للامبراطورية الشرقية ، وعملت على تنمية اسطول مستقل لها . ابي الفداء : تقويم البلدان ، باريس ، 1984 ، ص31 .

([3]) حسن الوزان :(اليو الافريقي) : وصف افريقيا، المصدر السابق ، ص98.

الاستفادة من تجارة طرابلس لاسيما تجارة الصحراء، كانت من أهم الاسباب التي دفعت الاسبان إلى السيطرة على طرابلس سنة 916 هـ – 1510م . وقد تمكن الاسبان خلال احتلالهم لهذه المدينة الاستيلاء على كميات كبيرة من الذهب والفضة(1). ولقد عمل الاسبان خلال سيطرتهم على مدينة طرابلس على احتكار التجارة لأنفسهم ومنعوا أهل البلاد من ممارستها . الأمر الذي أدى إلى تدهور تجارة الصحراء في تلك الفترة وقلت السلع الاوروبية التي كانت يتم تبادلها ومقايضتها مع السلع لبلدان جنوب الصحراء، اضافة إلى قيام العديد من الثورات والاضطرابات سواءً في مناطق طرابلس أو اقليم فزان (2) الامر الذي أدى قطع سبل التواصل التجاري بين مناطق الشمال والجنوب.

ووجدت اتصالات بين سلاطين بلاد السودان (الغربي والاوسط) ما يؤكد ذلك حيث ذكر أن سلطان برنو بعث إلى الاسبان يتساءل عن إمكانية عودة العلاقات التجارية بين برنو ومدينة طرابلس كما كانت في السابق (3).

وكذلك عندما آل حكم طرابلس إلى منطقة فرسان مالطا سنة 937 هـ– 1530 م والذين سيطروا على قلعة طرابلس دون أن يتجاوزوها إلى المناطق الاخرى من طرابلس نتيجة المقاومة العنيفة لسكان البلاد لهم ، مما أدى إلى تدهور التجارة فيها بسبب عدم قدرتهم على التوغل في المناطق الداخلية وهكذا تدهورت أوضاع مدينة طرابلس العربية الإسلامية تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا منذ 916 هـ – 1510م وحتى 909 هـ – 1551م في كافة جوانب الحياة .

---

(1) محمد الجراري عبدالسلام :ليبيا عند كتابات الرحالين المغاربة في القرن السادس عشر هجري / السابع عشر ميلادي، وحدة الكتاب دار ليبيا ،ط1،1998م ،ص216

(2) فوزية عبدالكريم بلقاسم : تجارة الصحراء في عهد الاسرة قرمانلية (1711-1835م) قسم التاريخ، جامعة عمر المختار ،رسالة ماجستير ،غير منشورة ،ص27،

(3)أحمد سعيد الفيتوري : ليبيا وتجارة القوافل ،المرجع السابق ، ص9 .

أخذ المسيحيون في تغيير معالم هذه المدينة من الطراز الاسلامي إلى المسيحي وذلك من أجل تنصير أهل البلاد مما دفع الاهالي إلى طلب العون من تركيا التي كانت لها انتصارات في أوروبا والمشرق وكذلك رغبة منها في وضع حد للسيطرة الاوروبية على مناطق شمال افريقيا إضافة إلى رغبتهم في السيطرة على التجارة بين الشرق والغرب، وخاصة تجارة الصحراء ولعل ما يوضح ذلك سيطرتهم على طرابلس سنة 909 هـ - 1551م.(1)

عقدت كثير من الاتفاقيات مع ممالك ما وراء الصحراء فيما يتعلق بالعلاقات السياسية والاقتصادية ومن أبرز هذه الاتفاقيات التحالف بين ماي محمد سليمان – سلطان برنو مع درغوت باشا(*) في عام963 هـ - 1555م وتم تجديدها بين الطرفين986 هـ - 1578م(2) .

إن مدينة طرابلس عقدت العديد من التحالفات خلال سيطرة العثمانيين عليها مع ممالك ما وراء الصحراء فيما يتعلق بتصدير السلع الاوروبية المحلية إليها في المقابل يتم استرداد الذهب والرقيق والعاج وريش النعام والجلود التي يتم إعادة تصديرها إلى تركيا ومصر والدول الاوروبية وبلاد المغرب العربي (3) .

سكان طرابلس:

لما كانت لولاية طرابلس بحكم موقعها على البحر الأبيض المتوسط فهي احدى البوابات الرئيسية لأفريقيا نحو أوروبا . فقد شكل هذا الموقع الجغرافي أهمية إستراتيجية أدت إلى ربط الصلات البشرية من مختلف الأجناس باعتبارها حلقة

(1) أ-ن بروشين : تا ريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف الفرن السادس عشر وحتى مطلع القرن العشرين، ترجمة عماد الدين غانم ،ط1991،1م،ص25-26

(*) درغوت باشا : عينه السلطان العثماني والياً على طرابلس سنة (960 هـ -1553 م) وأخذ في تشجسع الزراعة واحياء الصناعة ، وانعاش التجارة ، واسعاف السكان بما يرفع عنهم شدة العيش ، وقد نجح في ذلك لما عرف عنه من عزم ، وقوة إرادة ، وفي أيامه احتل صفاقس وامتد نفوده الى الحدود المصرية ، الطاهر احمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، المرجع السابق ، ص388 – 389 .

(2)Martin .B. G:Kanem: Bornu Fazzan, Notes on the Political history of A trade Route, J.A.H. vol. x no 1969, P.16 .

(3) أ-ن بروشين : تاريخ ليبيا في العصر الحديث ،المرجع السابق ص98 .

وصل بين شرق وغرب وجنوب أوروبا وإفريقيا وما وراء الصحراء . وهناك سؤال يطرح نفسه من هم سكان ولاية طرابلس ؟ ومن أين جاءوا؟

إن سكان ولاية طرابلس هم جزء من سكان الشمال الإفريقي فهم يمثلون وحدة بشرية تجمع بينها مجموعة من الخصائص اللغوية ولاجتماعية كما أنهم كانوا يسكنون في منطقة واحدة تمتد من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي.

وكان الإغريق يطلقون على شمال إفريقيا اسم ليبيا ما عدا مصر[1]. لقد عاشت في مدينة طرابلس عدة فئات من السكان، لكننا لم نجد تعداد لسكان المدينة خلال الفترة الأولى لمرحلة الدراسة فقد قدر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، إن عدد سكان طرابلس لم يزد عن خمسة عشر ألف[1].

ويتألف هؤلاء السكان من البربر المسلمين والعرب وهم البدو الفارون المتوطنون وبعض قبائل الرحل من الفزازنة وهم المسلمون السود الذين يقيمون في فزان والزنوج الأرقاء (العبيد)[2].

أصبحت مدينة طرابلس إحدى المدن الليبية ومنطقة التقاء جماعات مختلفة تنتمي إلى عناصر متباينة أغلبها من البربر والسكان القدماء والروم وهم من أهم العناصر التي استقرت في المناطق الساحلية وخاصة مدينة طرابلس منذ عام 57 ق.م [3].

اندمجت هذه العناصر مع السكان الأصليين وكان لهم مدن وقلاع وحاميات لحماية طرق القوافل المتجهة من الساحل إلى أواسط أفريقيا عبر فزان ومناطق الصحراء، ولا تزال هذه القلاع والحصون أطلالها باقية إلى يومنا هذا مثل قلعة أبو

([1]) Herodotus: opt.cit. 16.17

(1) ريتشارد توللى : عشر سنوات في بلاط طرابلس ، ت عمر الديراوي أبو حجلة ، دار ف المحدودة ، لن 1984 م ص9

(2) المرجع نفسه ،ص 10 .

(3) الطاهر أحمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، المرجع السابق ، ص 24 -32 .

نجيم وغدامس وزويلة[4] . كذلك العرب الذين جاءوا من المشرق في فترة الفتوحات الإسلامية إضافة إلى الهجرات المتتالية كهجرة بن هلال وبني سليم[5]

وبما أن طرابلس معبر وحلقة وصل فقد استقرت بها العديد من الجماعات المختلفة فقد سكن طرابلس إلى جانب سكانها الأصليين الزنوج والأرقاء (العبيد) الذين جلبوا من وراء الصحراء وكذلك اليهود الذين وفدوا إلى البلاد حيث يعملون بالتجارة والصناعة كما جاءت إلى مدينة طرابلس جاليات أندلسية من شرق وغرب الأندلس بعد سقوط مدينة إشبيلية[*] سنة 636هـ/1238م[1] .

إضافة إلى الأجانب من المسيحيين وهم من أصل أوروبي ويعملون سماسرة وأصحاب بساتين ومزارعين[2] .

طالما أن مدينة طرابلس اشتهرت بالصناعة والتجارة وسك العملة الذهبية سواء في مناطق الشمال أو مناطق فزان لابد أن هنالك العديد من الجاليات في كثير من مدن ليبيا يمارسون هذه الحرفة[3]، وأن كثيراً من هذه الجاليات اعتنقت الإسلام ومنهم من بقى على دينه . ويتضح ذلك من خطاب عمرو بن العاص والي مصر إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في الفترة الباكرة عندما فتح برقة[*][1] وزويلة سنة 21-22هـ- 641 - 642 م .

---

[4] أبو زكريا أحمد بن أبي ابوبكر : تاريخ أبا زكريا ، سيرة الأئمة واخبارهم، تحقيق عبد الرحمن أيوب، تونس، الدار التونسية ، 1995 م ، ص247- 248 .

[5] اسماعيل كمالى : سكان طرابلس الغرب : تعريب وتعليق ، حسن الهادي بن يونس ، مركز الجهاد للدراسات التاريخيه ، طرابلس ، ليبيا ، 1997 م ، ص 29 .

[*] إشبيلية بالكسر تم السكون، مدينة كبيرة وعظيمة الأندلس تقع غربي قرطبة بالأندلس وكانت قديماً قاعدة لملك الروم . الحميري: الروض المعطار ، المصدر السابق ، ص 18 – 19 .

[1] محمد الطالبي: دراسات في تاريخ إفريقيا في الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، الجامعة التونسية، 1982م، ص173- 174.

[2] خديجة عبد الله أبو سدرية : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية في المغرب الأدنى خلال العهد الحفصي (603 -932 هـ / 1207 – 1526 م) دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 2010 م ، ص 311 .

[3] تاريخ أبي زكريا: سيرة الأئمة وأخبارهم ، المصدر السابق ص 248 .

[*][1] برقة : مدينة ذكرت في أغلب المصادر التاريخية والجغرافية ، وهي أول حد المغرب من ناحية الشرق ، مدينة في مرج واسع وتربة حمراء ... ولبرقة جبلان احدهما يقال له الشرقي فيه قوم من عرب الأزد ولخم وجدام والغربي وفيه قوم من غسان وحزام والأزد وتجيب ... اليعقوبي : تاريخ البلدان ، المصدر السابق ، ص 334 . ولبرقة كور عامرة ولها من الغلات الرمان والقطن الذي لا يجانسه صنف من أصناف القطن . وبها الصوف والعسل والزبيب . الادريسي : نزهة المشتاق في اخراق الافاق ، بيروت ، دار عالم الكتب ، ج1 ، د ت ، ص 310 ، وفتحت برقة سنة 21 هجرية بعد فتح مصر . البلادري : فتوح البلدان ، المصدر السابق ، ص 314 – 315 .

وأمر عمرو بن العاص عماله بأن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها إلى الفقراء ويأخذوا الجزية من أهل الذمة فتحمل إليه بمصر، وأن يأخذوا من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ومن أهل الصلح ما صالحوا عليه[4] .

هذا النص يبين أن بعض اليهود والمسيحيين كانوا متواجدين في مدن ليبيا ويؤدون الجزية المفروضة عليهم وكذلك من سكن طرابلس من العسكريين والأتراك أو الأتراك الذين يشغلون الوظائف الإدارية العليا – فيما بعد – خاصة بعد سيطرة العثمانيين على طرابلس الغرب 909 هـ – 1551م .

لقد ذكر رولفس إبان العهد العثماني الثاني أن عدد سكان ولاية طرابلس (18000ألف) نسمة ويبلغ عدد النصارى بينهم (3000) ثلاثة الف وعدد اليهود (4000) أربعة الالف نسمة[1] .

كما كانت توجد فيها فئة الأمراء والحكام والتي تتمتع بمكانة عالية في المجتمع وكذلك فئة القضاة التي لها نصيبها من احترام السكان وتقديرهم وكان للتجار طبقاتهم بالمبادلات التجارية وتحقيق الأرباح ومنهم طبقة تهتم بالدراسات الدينية حيث ظهر كثير من العلماء والفقهاء والأئمة ولهم سمة عالية في المحافل العلمية والدينية وكان نشاط هذه الجماعات وتطورها يتأثر سلباً أو إيجاباً بتطور الأوضاع السياسية الأمنية في ولاية طرابلس[2] .

لقد ذكر بعض المؤرخين والجغرافيين الرحالة سكان ولاية طرابلس وبعض المدن الأخرى من ليبيا في سجية التعامل مع بني البشر وخاصة فئة التجار منهم. ووصف صاحب كتاب الاستبصار سكان طرابلس قائلاً: " أكثر أهلها تجار يسافرون براً وبحراً وهم أحسن الناس معاملة[3] .

---

(4) المصدر نفسه ، ص 226 .

(1) غيرها ردرولفس: المرجع السابق، ص14 .

(2) ابن خلكان : وفيات الأعيان، وأبناء الزمان، تحقيق، محمد محي الدين، ج2، دار النهضة، القاهرة، 1948م، ص266 .

(3) مؤلف مجهول : من القرن السادس الهجري الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر التعليق سعد زغلول دار البيضاء، دار النشر العرب، 1958م، ص 140- 146 .

أما الحسن الوزان في القرن التاسع الهجري- الخامس عشر الميلادي يقول : "سكان ليبيا سواء منهم الأفارقة (البربر) والعرب ذو كرم ولطف يعملون كل ما في استطاعتهم لخدمة أخوانهم ويحترمون الغريب غاية الاحترام وهم على جانب كبير من الطيبة والصراحة والإخلاص[1] .

ويتحدث رولفس عنهم قائلاً : "أما طباع فزان فيتبين أنهم شعب طيب ومستقيم وداخل منطقة فزان يشعر المرء بالأمان من قطاع الطرق واللصوص وفي وسع المرء أن يدع أغراضه في وسط منطقته وأهله دون حراسة ودون أن تسرق"[2] .

أ- البربر :

تشير المصادر التاريخية والجغرافية أن البربر هم سكان المغرب في المناطق الساحلية والداخلية إلى أن جاء الفتح الإسلامي . وتعددت الآراء عن البربر في إثبات أصولهم ونسبهم وموطنهم الأول.

ومنهم من يرى أنهم وفدوا من آسيا ومنهم من يرى أنهم وفدوا من أوروبا في عصر ما قبل التاريخ[3]. غير أن أقدم الكتابات تشير إلى أنهم جاءوا من المشرق إلى شمال أفريقيا وأن هجرتهم جاءت على مراحل سواء كانوا من فلسطين أو من اليمن أي أنهم يرجعون إلى أصول كنعانية أو حميرية[*] ، [4] . لعل هؤلاء البربر كانوا بنواحي فلسطين من الشام وكان ملكهم جالوت، فلما قتله داود أمر بإجلائهم من بلاد كنعان وفلسطين إلى المغرب فاتجهوا إلى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية فتفرقوا هنالك[5] .

---

(1) حسن الوزان: وصف إفريقيا ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1،دار العربي الإسلامي،بيروت 1983م، ص 87.
(2)غير هارد رولفس: المرجع السابق، ص152 .
(3) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، ص 133- 134 .
(*) حمير : هي مملكة يمنية قديمة نشأت في ضفار يريمو استطاعت القضاء على ممالك اليمن القديم الأربعة وضمها وقبائلها في مملكة واحدة هي آخر مملكة يمنية قبل الاسلام وكانت لهم علاقة وثيقة بمملكة كندة عن طريق التحالف بينهم يعود للقرن الثاني ق . م . والحميريين بالاصل قبائل سبئية اعتنقت الديانة اليهودية كانت تنتشر في مناطق ريمة – تعز – اب – تمار وعاصمتهم ظفار في محافظة إب . ان خلدون : العبر ، ج6 ، المصدر السابق ، ص187 .
(4) عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، د.ت، ص 13 .
(5) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، المصدر السابق، ص 116 .

ويؤكد ابن خلدون هذا الرأي فيما يختص بأصل البربر فيذكر "بأن الحق الذي لا ينبغي التعويل عن غير في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح وأن اسم أبيهم مازيغ"[1] .

كما اتفق الكثيرون من المؤرخين على تسمية سكان شمال أفريقيا القدماء بالبربر وقد يظن البعض أن كلمة البربري تعني متوحش أو ترادفها أو تنفي عن أهل الشمال الأفريقي عروبتهم، وهذا ظن خاطئ ليس له مبرر علمي، لأن كلمة بربر في لغتنا العربية "كثرة الكلام والصياح[2] يقال إن أفريقيش بن قيس بن جعفر أحد ملوك حمير عندما غزا الشمال الأفريقي وجد سكانه يتكلمون بلهجات فقال : "ما أكثر بربرتكم أي يقصد ثرثرتكم"[3] .

ومنذ ذلك الحين أصبحت كلمة بربر علماً لهذا الشعب وإلى هذا الوقت مازال الليبيون يقولون (خيرك تبربر) إي بمعنى لماذا تتكلم كثيراً .

هذا وقد اختلطت القبائل البربرية مع سكان المناطق الساحلية سواء في برقة في الشرق أو المناطق الغربية في طرابلس ومصراته وصبراته ولبده وغيرها، ومنها من توغل في المناطق الداخلية حيث اختلط البربر مع سكان فزان والذين جاءوا من مناطق الشمال حيث سلكوا طريقين: أحدهما يمر ببونجيم وهو أطول الطريقين وهو الأقرب لسكان سرت من البربر البدو أما الآخر فهو طريق مزدة .

فقد ذكر البكري "ومن سلك من طرابلس إلى ودان فإنه يسير في بلدة هوارة نحو الجنوب قياطين[*] وبيوت الشعر"[4] .

---

(1) ابن خلدون : العبر ، ج1، المصدر السابق ، ص 91- 97 .

(2) الطاهر أحمد الزاوي : مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، (د.ت)، ص 45 .

(3) آ- ب غواتية : ماضي شمال أفريقيا ترجمة هاشم الحسين، مكتبة الفرجاني- طرابلس، ليبيا، ص 98-99 .

(*) قياطين : هي جمع قاطون ويعرف بالخيمة الصغيرة اقرب مايكون الى بيت الشعر . البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقيا وبلاد المغرب ، المصدر السابق ، ص 10 .

(4) المصدر نفسه ، ص10 .

إن القبائل البربرية (مزاته – هوارة – لواته) المتواجدة في مناطق شمال وشرق ليبيا وأخذت في الإنحدار نحو مناطق الدواخل واندمجت مع سكان فزان الأصليين وكذلك مع العرب الفاتحين وأصبحت لغتهم وحضارتهم عربية إسلامية في كافة المناطق الليبية ومنهم من استقر في فزان وقاموا بتأسيس مملكة ابن الخطاب الهوارية سنة 306هـ – 918 م، والتي تتبع أباضية جبل النفوسة فكانت مملكتهم في مدينة زويله مدخل بلاد السودان حيث ازدهرت فيها تجارة القوافل مع مناطق ما وراء الصحراء (السودان الغربي والسودان الأوسط) . حيث ذكرها الإدريسى في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بقوله: "بناها

عبد الله الخطاب الهواري، وسكانها هم بنو عمه في سنة 306هـ – 918 م وهي منسوبة إلى هذا الرجل به اشتهرت إسمها وهي الآن عامرة" . وقال أيضا: " مدينة زويله ابن الخطاب في الصحراء وهي مدينة صغيرة وبها أسواق ومنها يدخل الجمل من بلاد السودان ويشرب أهلها من آبار عذبة وبها نخل كثير وثمرها حسن والمسافرون يأتونها من جهازها[*] وجملة من أمور يحتاج إليها"[1].

يتضح من هذا النص أن قبيلة البربر من القبائل الليبية القديمة والتي توغلت في الصحراء وكانت لهم هذه المدن شهدت نهضة في كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

أما فيما يتعلق بنسب البربر وأصلهم يتضح مما سبق عرضه رغم اختلاف الآراء حول ذلك ولكن من المرجح أنهم عرب تدافقوا إلى المغرب العربي عبر الهجرات الأولى، تلك الهجرات التي سبقت الفتح الإسلامي، ويبدو أنهم من العرب العاربة واستقروا في طرابلس ومدن المغرب وجاءوا ضمن هجرات سبقت العرب الفاتحين، وأنهم ساميون أي من العرب القدامى[2] .

هذا وقد اتفق بعض المؤرخين العرب على تقسيم البربر إلى مجموعتين كبيرتين "برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر، فلذلك يقال لشعوبه ابتر ويقال لشعوب برنس البرانس، وأهم قبائلهم هي: هوارة، لواته ومزاته وزناته وضريبة ومغلية ورفجومة ونغق وكتامة وغماره ومصموده[*1] وصنهاجة[*2] وغيرهم"[3] .

(*) جهازها : تعنى كل مايدخل الى زويلة من سلع تجارية. الحافظ عبد الكريم سليمان: الدور السياسي والحضاري لفزان في القرن الثاني الهجري. مرجع سابق، ص 40.

(1) الإدريسى: نزهة المشتاق ، المصدر السابق ، ص100 . ويعنى بجملة من امور يحتاج اليها كل المطلبات الضرورية التى تحتاج زويلة من سلع تجارية استهلكية او الاستعمال المحلي والسلع العابرة .

(2)عثمان السعدي : البربر الأمازيغ عرب عاربة، وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، دار النشر – لبنان، 1981، ط1، ص17 .

(*1) مصموده : من أبرز القبائل المغربية في المغرب العربي الإسلامي ويقال لهم المصامده وهم يشملون القبائل التالية هرغة ، هنتانة ، وريكه- ابن خلدون : العبر، المصدر السابق ج6، ص 314، 323 .

(*2) صنهاجة : هم من بطون البرانيس وكان لهم عدة دول في المغرب الإسلامي منها، دولة آل زيري، بن مناد، دولة بلكين بن زيرى، دولة المنصور . تميم بن المعز ويحي بن تميم، وبنو خراسان . ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ج6، ص 179.

(3) المصدر نفسه ، ص 202 .

وكان تواجدهم في برقة وأجدابيا[*] وسرت ولبدة وطرابلس وغدامس وبني وليد ولقد كان لقبيلتي صنهاجة ومصمودة دور كبير بعد اعتناقهم الإسلام في سير الأحداث خلال فترة الدراسة وقبله إلى القرن الخامس والسادس الهجري/ الحادي عشر والثاني عشر الميلادي . فقد كان لقبيلة صنهاجة دور في نهوض وازدهار دولة الموحدين في بلاد المغرب العربي وكان لها دور في التوسع الإسلامي في كافة أرجاء بلاد المغرب وجنوب الصحراء وما وراء البحر.

هذا وقد عرف عن هذه القبائل البربرية ومنها قبيلة هوارة والتي تتفرع منها اليوم ورفلة بني وليد والتي تعتبر من أشهر القبائل الليبية وأكثرها عدداً إضافة إلى ترهونة ومسلاته وكان لهم دور بارز في سير الفتوحات العربية الإسلامية حيث وقفوا إلى جانب العرب الفاتحين وانضموا إلى تلك الجيوش وساهموا في نشر الإسلام في بلاد المغرب والأندلس كما أسهمت قبيلة هوارة أيضاً في فتح صقلية الذي قام بها الأغالبة في سنة 216 هـ – 831م[1] .

غير أن بعض القبائل البربرية (مزاته، هوراه، لواته) والتي كانت موجودة في مناطق الشمال وشرق أخذت في الانحدار نحو الدواخل وتغيرت أماكن إقامتها والنزوح إلى فزان وغيرها من المناطق الأخرى[2] . ولعل السبب يدور في صراعها مع الروم الذين كانوا مسيطرين على المدن الساحلية قبل دخول العرب الفاتحين وكذلك اصطدامهم مع العرب وثوراتهم التي ظهرت في مناطق طرابلس وسببت الكثير من الحروب والمشاحنات مع العرب مما دفع بعضهم للتوغل في المناطق الداخلية (فزان) والاستقرار بها والعمل بالتجارة مع مناطق جنوب الصحراء وساهمت فيما بعد في نشر الإسلام بين تلك الممالك السودانية .

(*) اجدابيا : بلد من بلاد برقة . وهي مدينة قديمة كانت مشهورة في القرون الاولى من حكم العرب وقد آنشت في مكان رومية قديمة ووجد فيها من آثار للروم مايدل على ذلك وتبعد عن بنغازي 159 كلم وشرق سرت بنحو 415 كلم . الطاهر احمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص20 .

(1) إسماعيل كمالي: سكان طرابلس الغرب، المرجع السابق ، ص 21 .

(2) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، المصدر السابق ص 11 .

ب – العرب:

العرب هم أحد العناصر التي دخلت في تكوين التركيبة السكانية لمدينة طرابلس وكان لهم تأثير على كافة الجوانب السياسية والحضارية والثقافية والتاريخية .ولقد وصلوا إلى طرابلس مع الفتح العربي الإسلامي ابتداءاً من القرن السابع الميلادي.

حيث ذكر البكري قائلاً : "طرابلس إخلاط من الناس وكانت بينهم نسبة من العرب"[1]. لعل مدينة طرابلس أخذت نصيبها من هؤلاء العرب الفاتحين كما ذكر أنه عندما دخل المسلمون إليها وجدوا فيها العرب الذين سكنوها من المسلمين بعد فتحها وكذلك المغاربة (البربر) الذين دخلوها منذ القدم[2] . ويبدو أن مدينة طرابلس شأنها شأن مدن شمال أفريقيا قدم إليها العرب في هجرات متتالية منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي وكان هؤلاء العرب حاملين معهم الإسلام واللغة العربية غير أن الطابع العربي لهذه المنطقة لم تتضح معالمه إلا بمجيء قبائل بني سليم وبني هلال خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والتي كان لها دور كبير في إحداث العديد من المتغيرات على مجتمع طرابلس حيث كانت الأرض الممتدة بين طرابلس وسرت موطناً لعوف[*] وذياب[*1] من بنى سليم، بينما كانت الأرض الواقعة بين صبراته وحتى الحدود الإفريقية موطناً لمرداس[*2] من بنى رياح[3]. نجد أن

([1]) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب المصدر السابق، ص9 . الإدريسي: نزهة المشتاق، ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، ص33.

([2]) مؤلف مجهول من القرن السادس الهجري، الاستبصار في عجائب الأمصار،المصدر السابق، ص55 .

(*) عوف : إن بنى عوف بطنى من بهثة بنى سليم وينقسمون الى قسمين : علاق ومرداس . الطاهر احمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص113 .

(*)1 ذياب : من قبائل بني سليم العربية التى ستقرت في طرابلس وانقسمت الى مجموعتين واحدة استقرت في الجزء االشرقي من الإقليم أي في الجزء الذي يبتدأ من طرابلس وينتهي الى سرت ، بينما الثانية استقرت نحو الغرب في الجزء المبتدى من طرابلس ويستمر حتى قابس التى كانت جزء من طرابلس الغرب . ابن خلدون : العبر ، ج6 ، المصدر السابق ، ص 1716 .

(*)2 المرداس : المرداسون أبناء مرادس بن عوف بطن من بنى سليم ، الطاهر احمد الزاوي : معجم البلدان الليبية المرجع السابق ، ص 113 .

([3]) إسماعيل كمالي: سكان طرابلس الغرب، المرجع السابق ، ص 32-34 .

هؤلاء العرب قد امتزجوا مع سكان مدينة طرابلس وأصبحوا أحد عناصرها كما استقرت في طرابلس في العهد الحفصي أسر أندلسية سنة (646–1228) وكان من بين المهاجرين أسر تميزت باشتهار أفرادها بالعلم مثل أسرة الحطاب الرعيني، وأسرة العموس[1].

عندما سيطر العثمانيون على طرابلس سنة958 هـ – 1551م قام الوالي التركي درغوت باشا بإحضار أربعين أسرة من مدينة صفاقص[*]، ووطنهم بطرابلس نظراً لما أشتهر به أولئك الصفاقصيون من النشاط الاقتصادي والإتقان في الصناعة وحاجة طرابلس إلى الأيدي العاملة للنهوض من كبوتها التي أوقعها بها الأسبان وقت احتلالهم لها سنة 916هـ– 1510م[2]، وكذلك عقب سقوط غرناطة[*)1] في أيدي الأسبان سنة 898هـ– 1492م حيث اتخذوا قراراً بطرد المسلمين من الأندلس فجاءت كثيراً من الجاليات المسلمة واستقروا في إقليم طرابلس وكان لهذه الجاليات الأندلسية تأثير هام في المجال الثقافي على سكان هذه المنطقة وهكذا أصبح هؤلاء العرب الذين استقروا في مدينة طرابلس وضواحيها قد اختلطوا مع السكان الأصليين من البربر والروم واليهود وأخذوا منهم بعض الحرف كالصناعة والتجارة والزراعة خاصة وأن مدينة طرابلس لها موقع استراتيجي من حيث وفرة مياه وخصوبة التربة ولها علاقات وصلات[3] تجارية مع المناطق الداخلية (فزان)، خاصة وأن فزان كذلك تقع على طرق القوافل الصحراوية وحلقة وصل بين الشمال والجنوب وعليه فقد استقرت بها العديد من الجاليات العربية القادمة من المشرق والمغرب في مناطق جنوب ولاية

---

(1) أحمد النائب الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، المصدر السابق ، ص326- 327 .

(*) مدينة صفاقص : مدينة بإفريقية بينها وبين قفصة ثلاثة أيام، وهي مدينة قديمة بها أسواق كثيرة وعمارة شاملة وعليها سور كبير يقع وسط غابة زيتون وعلى أسوارها محارس للربط وأكثر غلاتها الزيتون، الحميري: المصدر السابق، ص 365- 366 .

(2) محمد الطالبي: دراسات في تاريخ إفريقية وفي الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 186 .

(*)1 غرناطة : غرناطة مدينة بالاندلس بينها وبين البيرة ستة أميال وتعرف بغرناطه اليهود ، لان نازليها كانو يهود او النهر المعرف بنهر فلوم ينقسم عند مدينتها قسمين قسم يجر في اسفل المدينة والآخر في أعلاه . الحميرى الروض المعطار ، المصدر السابق ، ص 45 – 46 .

(3) حسن الوزان: وصف أفريقيا، المصدر السابق ص 87 .

طرابلس وتعمل بالتجارة عبر الصحراء وكانت لطرابلس صلات بالاخرين حيث عملوا معاً في مهنة تجارة القوافل والتي لعبت دور مهم في اقتصاد ولاية طرابلس[1] .

ولقد ذكر عن هؤلاء التجار العرب الليبيين سواء من مناطق الشمال أو الجنوب أنهم على درجة رفيعة في حسن المعاملة والأخلاق الحميدة[2] .

أورد حسن الوزان في القرن الخامس عشر الميلادي "سكان ليبيا بالإجمال العرب والأفارقة ذو كرم ولطف يعملون كل ما في استطاعتهم خدمة إخوانهم ويحترمون الغريب غاية الاحترام وهم على جانب كبير من الطيبة والصراحة والإخلاص"[3].

ج- اليهود والمسيحيين (أهل الذمة):

1- اليهـــود .

يبدو أن وجود اليهود في منطقة الشمال الإفريقي وخاصة مدينة طرابلس، منذ وصول الفينيقيين إلى هذه المنطقة سنة 586 ق.م ، وتشير المصادر التاريخية أن هجرات اليهود إلى مدينة طرابلس الغرب منذ القرن الثالث قبل الميلاد وكانت أماكن وجودهم واستقرارهم في مدينة طرابلس القديمة وكذلك في مدينة جادو[*] وهي من أكبر مدن جبل نفوسة بإقليم طرابلس إضافة إلى وجودهم في إقليم برقة شرق ليبيا[4] .

وكانت إقامة اليهود في المدن الكبرى كمدينة طرابلس ولذلك فقد اشتغلوا بالصناعة واحترفوا الطب كما عملوا أيضاً في الصياغة والصرافة . ولقد عاشوا إلى جانب سكان طرابلس من عرب مسلمين حيث كان لهم حيهم الخاص بهم والذي

---

(1) حسين مؤنس : فتح العرب المغرب ، القاهرة ، 1947 ، ص 45 .

(2) جاك تيري : تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ، ترجمة عقيلة الشيخ حسين ، دار ليبيا للنشر والتوزيع والاعلام ، مصراته ، ط1 ، 2001 ، ص210 .

(3) حسن الوزان: وصف افريقيا ، المصدر السابق ، ص88 .

(*) جادو : مدينة من المدن البربرية القديمة في جبل نفوسه وكانت زمن الفتح الاسلامي إحدى عواصم الجبل فتحها عمرو ابن العاص حينما فتح شروس سنة 23 هـ/643 م ،وغير موجودة وقد انشئت مكانها أو قريبا منها مدينة قساطوا وتبعد عن مدينة طرابلس الى الجنوب الغربي بنحو 187 كلم وتقع في وسط الجبل ، الطاهر احمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص86 .

(4) مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق ص 144 .

يدعى "كوديخا" وبحكم النظم الإسلامية كان هؤلاء اليهود يتمتعون بحقوق كحرية الامتلاك والتصرف في العقارات وكذلك إمتلاك الرقيق من غير المسلمين وتشييد المباني وإقامة استثمارات ويبدو أنهم كانوا يمارسون نشاطاً كبيراً في حركة التجارة الداخلية في الولاية والخارجية، وخدمات النقل البحري وبعض الأعمال الأخرى[1] .

كما كان لليهود صلات تربطهم بالحكام حيث كانوا سنداً لهم وعوناً لهم إذا وقع عليهم ظلم وقد اشتغلوا في عدة مهام في ديوان الحاكم[2].

ويتبين دور ومجيء المرابطين والموحدين وإسهامهم في نشر الإسلام وتكوين ممالك إسلامية في جنوب بلاد المغرب العربي وأواسط أفريقيا وبلاد الأندلس. الأمر الذي جعل كثيراً من الهجرات اليهودية تتجه نحو الشرق وصقلية وذلك في مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وهذا ما تؤكده بعض المصادر أن أغلب سكان طرابلس جاءوا من المدن الساحلية شمال أفريقيا[3] . ولكن الواقع أن اليهود كانوا يعاملون معاملة حسنة ويعتبرون من الطبقات المرهقة وكانوا يقطنون في حارتهم بأمن ورخاء[4] . أما عن هجرة اليهود كانت قبل مجيء الموحدين ولكن هذه الهجرة يبدو كأن لها أسباباً متنوعة سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية ولم تكن نتيجه لإضتهاد الموحدي فحسب .

ورغم كل ما ذكر عما تعرض له اليهود في مناطق شمال أفريقيا إلا أنه وجد العديد من الجماعات القوية من اليهود كانت موجودة في ولاية طرابلس في كل من طرابلس المركز والزاوية ومسلاته وغريان[*] ويفرن[*]1 وجادو بجبل نفوسة بالإضافة

---

(1) ريتشارد توللى: عشر سنوات في بلاد طرابلس، ت عمر الديراوي أبو حجلة، دار ف المحدودة، لندن، 1984م، ص 9 .

(2) إنعام محمد سالم شرف الدين : تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي (دراسة في مؤسسات المدينة التجارية) 1711 – 1835 م ، طرابلس ليبيا ، 1998 ، ص 133 – 134 .

(3) مؤلف مجهول : الإستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 142 .

(4) نفس المصدر، ص 144 .

(*) غريان : يطلق هذا الاسم على عدة بلاد في طرق جبل نفوسه الشرقي وعاصمة تغاسات . وفيها بيوت كثيرة محفورة تحت الارض وهي عادة قديمة متوارثة عن البربر القدامى سكان الجبل ويقال أن كلمة (غريان) تطلق على اكثر من مائة قرية وتقع جنوبي طرابلس بنحو 94 كلم وسكانها عرب . الطاهر احمد الزاوي معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص245 .

(*)1 يفرن : مدينة من مدن جبل نفوسه ، تبعد عن طرابلس بنحو 171 كلم على طريق غريان وأصل الاسم بربري وهى الآن من أحسن مدن الجبل . المرجع نفسه ، ص 259 .

إلى اليهود المتواجدين في منطقة برقة ومدينة بنغازي واجدابيا وسرت وغيرها. وفي كل موقع فيه اليهود يكون له نوع من الأهمية التجارية والصناعية ولقد اندمج هؤلاء اليهود مع السكان المحليين القدماء بإقليم طرابلس، وأصبح لهم دور هام في كافة الأنشطة الاقتصادية لمدينة طرابلس وظلوا بها حتى مطلع النصف الثاني من القرن العشرين عندما تم طرد بقاياهم من المدن الليبية نهائياً عام1389 هـ– 1970م .

2- المسيحيون:-

يبدو أن وجودهم كان بوجود الروم والبيزنطيين في مدينة طرابلس وذلك منذ القرن الثاني الميلادي عن طريق بعض القساوسة من أقباط مصر [1] .

وكان مكان وجودهم حول مسجد الشعاب لولاية طرابلس وكذلك في مدينة اجدابيا وبرقة[2] ، بالإضافة إلى بعض النصارى التجار القادمين بموجب الاتفاقيات التجارية بين حكام طرابلس والبندقية وصقلية وسردينية[*2] مع انجلترا وفرنسا[3].

د – الرقيق، الأتراك:

1- الرقيــق:

سكن مدينة طرابلس عدد من العبيد وقد تنوعت أصولهم ما بين مسلمين لم يساندوا دولة الموحدين فقد باعوهم كرقيق وكذلك العبيد الأجانب الذين جاءوا إلى ولاية طرابلس بعد الحروب التي دارت بين الموحدين والنصارى، ولا شك أن ابن غانية[*] أحد زعماء دولة المرابطين قد اهتم بتجارة الرقيق الرومي إضافة إلى الرقيق السودانيين عبر غدامس وزويلة ومرزق لفزان وكان هؤلاء الرقيق يقومون بالأعمال

---

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، ج9، مصر الدول والإمارات ، ليبيا- تونس- صقلية- القاهرة، دار المعارف – مطابع دار المعارف، 1992، ص 56- 58 .

(2) مؤلف مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق ص 144.

(*2) سردينا : جزيرة تقع في النصف الغربي من الحوض البحر المتوسط ، كبيرة المساحة كثيرة الجبال بها مدينة وقلاع كثيرة وهي قبالة بلاد بيزة بين شبه جزيرة ايطاليا وشبه جزيرة ايبيرية (الاندلس) وشرقي قسنطينة وفي غربها يخرج المرجان ، شرع المسلمون في غزوها سنة (92 هـ - 710 م)في عهد موسى بن نصير . تم غزاها عبيد الله بن الحبحاب في سنة (117 هـ 735 م). أبو الفداء : تقويم البلدان، المصدر السابق ، ص 189 – 291 .

(3) عيسى رمضان القبلاوي: بدايات التخلف في الوطن العربي، (أمثلة تطبيقية من ليبيا)، المرجع السابق،ص169 .

(*) بنو غانية : حول تسمية هؤلاء القوم : "سمو بهذا الاسم نسبة للمرأة الذي تزوجها على بن يوسف بن تاشفيين ، وكان لها ولدان يحي ومحمد وهما ابنا غانية .. وقد ثاروا على الموحدين وامتد نفوذهم الى المغرب الادني والاوسط ، حيث عاثوا فساداً في إفريقية وتحالفوا مع فراقوش ضد الموحدين ، وكان اشهر معاركهم بعد ذلك معركة تاجراً التى هزمهم فيها عبد الواحد بن ابي حفص ... محمد العروسي المطوي : السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب والإسلامي ، لبنان ، دار الغرب الاسلامي ، مؤسسة نزيه كركي ، 1406 هـ / 1986 م ، ص 48 – 62 – 69 .

المنزلية والخدمية وكان الغالبية قد تم عتقهم غير أنهم فضلوا الاحتفاظ بعلاقة الولاء للسيد كما يوجد بينهم أحرار جاءوا إلى المدينة بقصد ممارسة التجارة[1] من مناطق جنوب الولاية وشرقها .

2- الأتـــراك :

وقد عرفوا بالغز (*)1 آنذاك ويبدو أن وجودهم في طرابلس وضواحيها كان عن طريق قراقوش الأرمني(*)2، الذي دخل المدن الليبية غازياً سنة 569هـ– 1173م، وانضموا إلى ابن غانية وتحالفوا معه ولكن الموحدين قضوا على تمردهم سنة 583هـ – 1187م[2]. كما استوطن طرابلس خلال الحكم التركي العديد من الأتراك العثمانيين عندما سيطروا على مدينة طرابلس909 هـ/ 1551م وهم الانكشاريون.(*)3

(1) أبو أسامة: (شهاب الدين أبو محمد) : الروضتين في أخبار الدولتين، القاهرة، 1870م، ج2، ص 171 .

(*)1 هم جنود جاءوا مع شرف الدين قرقوش في نهاية القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي، الحافظ عبد الكريم سليمان، الدور السيياسي والحضاري لفزان في القرن الثامن الهجري وأثره على دول الجوار، ص 65.

(*)2 شرف الدين قراقوش التقوى: وهو ارمني من الغنى ومن مماليك الملك المظفر تقى الدين عمر بن أيوب ابن أخي صلاح الدين، جمع آمره سنة 568هـ -1173 م . على غزو المغرب وكان معه قراتكين، صار قراقوش أولاً إلى واحة سنترية (سيوه) ثم اتجه إلى الواحات الليبية فاستولى على أوجلة وزلة وزويلة وودان وبعد استيلائه على مدينة طرابلس وبلاد الجريد أنكسر أمام يحي الميروقي في التوغل في جبال طرابلس واستقر في ودان فتوجه إليه الميروقي وحاصره وقتله وقتل ابنه معه .تقي الدين أبي العباس أحمد بن المقريرزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت دار الصادر، (د.ت) ج2، ص 398. هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام،ترجمة إحسان عباس محمد عمر يوسف نجم، محمد زايد، بيروت دار العلم الملايين 1979م، ص 121- 142 .

(2) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس، والمغرب- قسم الموحدين- تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون: الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مطبعة النجاح الجديد، ط1، 1406هـ - 1985م، ج4، ص 100 .

(*)3 الانكشاريون (أصلها كلمة تركية تعني الجنود المستجدين) كانوا عساكر بواسطتهم استقر الحكم التركي في طرابلس ومناطق المغرب ككل .إسماعيل كمالي: سكان طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص41 .

البـــاب الأول

القـــوافل التجاريـة الداخليـة

الفصـــل الأول

الطـــرق الداخليـــة

1- طريق طرابلس أجدابيا .
2- طريق طرابلس ودان .
3- طريق طرابلس غدامس.
4- طريق مرزق غات.
5- طريق طرابلس بنغازي .
6- طريق طرابلس جرمة .
7- طريق طرابلس زويلة .
8- طريق برقة فزان .
9- تنظيم القافلة .

الطـــرق الداخليـــة :

لما كان الإنسان في حاجة إلى آخيه الإنسان ولا يستطيع أن يعيش بمفرده ويحقق كل متطلبات الحياة فكان لابد من أن يتصل بأخيه الإنسان لتلبية حاجاته التي قد لا تتم إلا عن طريق الاتصال والتواصل سواء كان هذا التواصل اقتصادياً أم اجتماعياً أم سياسياً ولتحقيق ذلك لابد من وجود طرق ومسالك لتحقيق هذا التواصل.

ذكرت المصادر التاريخية إن الطرق عرفت في ولاية طرابلس مع بداية الاستقرار وازدهار التبادل التجاري بين المدن الليبية الثلاث (أويا ولبده وصبراته) منذ زمن الفينيقيين والرومان . فقد أصبحت ولاية طرابلس في عهدهم من أهم المراكز التجارية التي تربط جزر السواحل الجنوبية لأوروبا وذلك عن طريق التجارة الداخلية للقوافل الصحراوية[1] .

وعند تناول الطرق الداخلية بولاية طرابلس الغرب هنالك سؤال يطرح نفسه.

ما هي العوامل التي جعلت طرابلس ترتبط بشبكة من الطرق؟ وهل ظلت هذه الطرق باقية أم تغيرت مع الوقت؟ لاشك أن طرابلس تتمتع بموقع استراتيجي هام إذ تربط بين البلدان العربية في المشرق والبلدان العربية في المغرب العربي، كما تربط بين دول شمال البحر المتوسط ووسط أفريقيا[2] .

إن هذا الموقع جعلها تلعب دوراً تجارياً هاماً مما دفع عدد كبير من سكانها ممارسة مهنة التجارة خاصة وإن تجارة القوافل البرية كانت ركيزة هذه التجارة كما كان للواحات الممتدة في الصحراء على طريق القوافل العابرة دور هام في تنشيط هذه التجارة ووجود العديد من الواحات وآبار المياه على طول الطريق الواصل بين طرابلس ومناطق جنوب الصحراء (السودان الغربي والأوسط) من بينها واحات فزان (غدامس والكفرة[*]) فوجودها كان بمثابة جسر وحلقة وصل ورابط بين مدينة طرابلس

---

(1) محمد المبروك المهدوي: جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي- ليبيا، ط3، 1998م، ص 40.

(2) حسين مؤنس : فزان ودورها في انتشار الإسلام في أفريقيا، المرجع السابق ، ص112 .

(*) الكفرة : تقع في الجنوب الشرقي من ليبيا وهى اخر منطقة عامرة بالسكان ، وتبعد عن بنغازي جهة الجنوب بنحو 1050 كلم وتسكن هذه الواحة قبائل التبو والزوية زارها الرحالة رولفسى في شهر يوليو 1879 ، في رحلته التى كان ينوي الوصول الى واداي

وممالك السودان، كما أنها تقوم بتزويد تلك القوافل بما تحتاجه من المؤن[1]. كذلك عدم وجود حواجز طبيعية كالجبال والأنهار مما ساعد على تنشيط الحركة التجارية الداخلية والخارجية وقد ساهمت طبيعة الأرض والتضاريس في تحديد ورسم خطوط القافلة .

فقد شقت الطرق في اتجاهات متعرجة تتلاءم مع افراد القافلة مما يميز هذه الطرق بالتعرج والانحناء نحو الشمال والجنوب والشرق والغرب[2] . ويظهر أن نشاط ولاية طرابلس التجاري قد قام بتحقيق صلات اقتصادية قوية من خلال تنشيط الحركة التجارية بين مناطق الولاية وخارجها، ويذكر ابن حوقل " أن المراكب تحط ليلاً ونهاراً وترد بالتجارة عبر مر الأوقات والساعات صباحاً ومساءاً من بلد الروم وأرض المغرب، بضروب الأمتعة والمطاعم"[3] .

يتضح من هذا النص أن لطرابلس نشاط تجاري بحري اضافة للنشاط التجاري البري فقد كانت بها صلة بكافة المراكز التجارية بالواحات الداخلية الليبية مثل جرمة وزويلة وغدامس ومرزق وغات[(*)1]، حيث تجمع فيها المنتوجات القادمة من وسط افريقيا والمتمثلة في الذهب وريش النعام وسن الفيل والجلود والملح وبعض الأحجار الثمينة (العقيق)، رغم أن الحركة التجارية والطرق التي تعبرها كانت في بداية الأمر ترتكز في المناطق الساحلية الممتدة من الإسكندرية إلى قرطاجة[(*)2] بتونس . ومع مرور الوقت اهتمت الأنظمة المتعاقبة على حكم مدينة طرابلس بالطرق والمسالك ومنهم الرومان، حيث قاموا بتطوير نظام الطرق، فقد أصبح لكل مدينة طريق يربطها بالمناطق الساحلية، وقد أمتدت هذه الطرق فيما بعد إلى المناطق الداخلية في عهد

عن طريق الكفرة ولكنه تعرض للهجوم من افراد قبيلة الزوية ونجا بنفسه هرباً الى بنغازي وثم طرابلس بحراً . العظيم صادق مؤيد : رحلة في الصحراء الكبراء بافريقيا . ترجمة عبد الكريم ابو شويرف ، م : صلاح الدين حسن السوري ، منشورات مركز الجهاد للدراسات التاريخية ، طرابلس ، ليبيا ، مطبعة : دار المحيط العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1998 م ، ص143 .

([1]) جمال الدين الديناصوري: جغرافية فزان، (دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1967م، ص 237 .

([2]) ابن حوقل : صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحبان بيروت، 1992م، ص 67 .

([3])نفس المصدر، ص 72 .

[(*)1] غات : ورد في إحدى المخطوطات التى تتضمن رواية تاسيس مدينة غات بأن خمساً من قبائل الطوارق قامت ببناء مدينة غات ، وأقامت لنظام حكم للمدينة ، فوضعت السلطة التنفيدية في يد مجلس من الشيوخ وكان للمدينة قوة رمزية من متطوعي الطوارق يسكنون خارج المدينة ويرأسهم ضابط منهم يسمى امغار . نجمى رجب ضياف : مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، ط1 ، 1999 م ، رسالة ماجستير منشورة ، ص 59 – 60 .

[(*)2] قرطاجه تونس : تعد قرطاج أهم المستوطنات الفنيقيه الغربية ومع مرور الوقت اصبحت اهم مركز تجاري لصور في الحوض الغربي للبحر المتوسط وهي كمستعمرة حقيقية خدمت أمها صور ويؤكد ارتباط قرطاج بأمها ، السفارات السنوية التى كانت تبعثها الى صور حاملة النذور الى معبد الإله ملقارت الصوري . عبد الحفيظ فضيل الميار : الحضارة الفنيقية في ليبيا ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي – ليبيا ، 2001 ، ص 95 .

الأمبراطور "كاركلا"(*) وكانت بداية نشاطها للأغراض العسكرية وإن تطويرها ساعد في تدعيم المراكز الدفاعية، غير إن هذه الطرق استخدمت فيما بعد لأغراض التجارة وتشير بعض الرسوم والنقوش الصخرية بأن الرومان يرجع لهم الفضل في وضع أحجار على شكل أعمدة على الطريق لتحديد المسافة بين المدن[1]. ولا شك أن هذه الطرق الداخلية امتدت للطرق البحرية في مناطق الشمال وطرق التجارة مع المراكز التجارية في الجنوب . ولعل الدولة الحفصية التي تحكم ولاية طرابلس 604-916هـ/ 1221- 1510م، كانت لها صلات وعلاقات اقتصادية قوية مما حقق نجاحاً في نشاط الحركة التجارية والمتناولة فترة موضوع الدراسة. حيث اهتمت بالطرق من طرابلس إلى فزان ومن ثم كانم برنو وكذلك من طرابلس جبل نفوسة – غدامس النيجر.[2]

كما اهتمت الدولة العثمانية بعد سيطرتها على ولاية طرابلس 946هـ/ 1551م، بطرق القوافل التجارية من خلال تحسن علاقاتها التجارية مع ممالك ما وراء الصحراء وإرسال السفارات[3] وتبادل المراسلات والقيام بالعديد من الزيارات . وهنالك أيضاً العديد من الاتصالات التي تمت بين طرابلس وبرنو(*)1

في عام 1021هـ - 1612م/1044هـ- 1634م/ 1048هـ- 1638م، في عهد الماي عمر(*)، وكذلك هنالك اتصالات أخرى تمت1064هـ- 1653م في عهد

(*) كاراكلا : الامبرطور الروماني الذي حكم من 211 – 217 م كاراكلا ، ذو الاصول البونقية من ابيه سيبتيموس سيفيروس والسورية من امه جوليا دومنا ابنة مدينة حمص التى كانت ذا نفوذ وسلطة في الامبروطرية الرومانية ولد في لوغدنوم (الأن ليون – فرنسا) سمى لوسيوس ولقد اتخذ لقب كار اكلا ، بنسبة الى ازراره المميز كالبرنوس الذي كان يرتديه والذي اصبح موضة . لقد كان كاراكلا من ابرز الاباطرة الرومان الذين قاموا بالعديد من الاصلاحات في الامبروطورية الرومانية ، ابراهيم حلمي الغوري وآخرون : أطلس التاريخ القديم ، دار الشرق ، ط1 ، 2004 م ، بيروت - لبنان ، ص73 .

([1]) فابريشيو مورى: تادرارت أكاكوس الفن الصخري، ترجمة عمر الباروني، فؤاد الكعبار، طرابلس مركز الجهاد السني، 1988م،ص 25.

([2]) عبد الجليل التميمي: الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وسط غرب أفريقيا خلال العصر الحديث (المنشورات التاريخية المغربية، تونس، 1981م، ص 10- 11).

([3]) من أبرز السفارات التي تمت بين طرابلس ومملكة كانم أثناء السيطرة العثمانية على تلك المدينة، البعثة التي أرسلتها الملكة عائشة ثم ابنها ألوما سنة 956هـ-1549 م. الأمر الذي أدى إلى كثرة الزيارات التي قام بها الأمراء تلك المملكة إلى مدينة طرابلس، عبد الجليل التميمي: نفس المرجع السابق، ص13 .

(*)1 برنو : وتسمى (برنو) وتقع الى الشرق من إمارات الحوصة وتتصل ببحيرة تشاد وقد أسسها العرب عام 200 هـ - 800 م وكانوا قادميين من الشمال ثم انتزعها منهم عرب من كانم سنة 400 هـ - 1009 م وتوسعت الى ضفاف نهر النيجر والى وسط الصحراء وقد دخل الاسلام هذه المملكة في القرن الحادي عشر عندما توحدت مع مملكة كانم ، محمد سعيد القشاط : صحراء العرب الكبرى ، دار الرواد ، ط1، طرابلس – ليبيا ، 1994 ، ص185 .

(*) الماي عمر : هو الماى عمر بن ادريس (1619 – 1639 م) ابن الوما وثالث خلفائه . ان الماى عمر ذهب الى الحج في عام 1642 م يرفقه ابنه على ، وقد جرى تبادل الرسائل والهداية بينه وبين محمد باشا الساقزلي في طرابلس في عامي 1636 – 1638 م، وقد ساعد الماي السلطات العثماني في طرابلس اثناء صراعها مع اولاد محمد على الحكم في فزان وذلك بقتله السلطان الطاهر بن المنتصر الفاسي عام 1623 م ، الذي فراء الى برنو بعد ان اجبره العثمانيون على التخلي عن مرزق في ذلك العام .حبيب وداعة

الماي الحاج عمر[1] . والتي تهدف إلى توطيد الصلة وأحداث حركة تأثير حضاري بين طرابلس وتلك الممالك التي تقع جنوب الصحراء[2] .

يبدو جليا أن طرق القوافل قد تناوله العديد من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين العرب المسلمين وقليل منهم من قدر المسافة بالأميال كابن خرداذابة والذي ركز على الطريق الساحلي الممتد من الأسكندرية حتى غرب ولاية طرابلس والذي يمر ببعض المراكز الصحراوية كغدامس[3]. ومنهم من قدر المسافة بالمراحل أو الأيام التي تستغرقها سيراً من منطقة إلى أخرى كالبكري .

فقد ظلت الطرق والمسالك التي تعبرها القوافل التجارية إجمالاً هي ذاتها المستخدمة في السابق إلا أنها اختلفت من حيث اتجاهها وما أضيف إليها من تبدلات كإقامة للاستراحة واستبدال الإبل ووجود آبار أو تركها وعدم ارتيادها بصفة مستمرة بسبب المخاطر المحدقة بها أو سوء الأحوال الطبيعية المتردية[4]،أو بسبب اضطراب الأحوال السياسية كقيام الثورات المناوئة، فإن القوافل تتجه إلى طرق أخرى أكثر أمناً .

عند تحديد الطرق تلاحظ أن هناك نوعين من الطرق بولاية طرابلس طرق خارجية وطرق داخلية والتي تمتد لتربطها بمناطق وراء الصحراء ومناطق الغرب وأن هذه الطرق الأخيرة هي التي سوف نتناولها في هذا الفصل .

ومن أهم هذه الطرق الداخليـــة :

1- طريق طرابلس اجدابيا:

الحسناوي : التواصل الثقافي والامجتماعي بين الاقطار الافريقية على جانبي الصحراء ، مراجعة عبد الحميد عبدالله الهرامة ، كلية الدعوة الاسلامية ، د . ت ، طرابلس – ليبيا – ص 97 .

(1)B.G.Martin: Kanem, Bornuand The Fezzn: Notes on The Political History Of A Trade Route, Journal of A Frican History, X, I (1969) p26 .

(2) عبد الجليل التميمي: المرجع السابق، 10- 11.

(3) ابن خرداذابة: المسالك والممالك، تعليق الحاج الصادوق سالم، الجزائر 1949م، ص 614 .

(4) سالم أحمد ميهوب القطعي: البنية الاقتصادية لمدينة غدامس وأثرها على تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، كلية الآداب، جامعة سبها رسالة ماجستير غير منشورة، 2013، ص120 .

ينطلق من طرابلس إلى الخمس مصراتة سرت اجدابيا– بنغازي – درنة(*) – طبرق ومنها إلى الإسكندرية ويعد هذا الطريق من الطرق الرئيسية ويعرف بالطريق الساحلي حيث يمكن أن يربط مصر مع تونس وعبر هذا الطريق يمكن مرور كل القوافل التجارية وكذلك قوافل الحج القادمة من الشرق إلى الغرب وبالعكس.وكذلك تمر به القوافل القادمة من المدن الساحلية لتصريف تلك البضائع. يعد هذا الطريق من أهم الطرق للتجار والمسافرين وأكثر أماناً ووفرة للمياه إضافة إلى كثرة المدارس المقابلة للمراكز التجارية مما ساعد في عملية البيع والشراء[1] .

في أجدابيا يلتقى الطريق الساحلي مع الطريق القادم من واحة أوجلة(*)[1] ويتجه نحو مدينة سرت ثم مكمداس(*)[2] حتى قصور حسان ثمانية وثلاثون ميلاً ثم إلى مدينة تاورغاء(*)[3] ومن مدينة مصراتة إلى طرابلس وقد تصل المسافة من اجدابيا إلى مدينة طرابلس خمس وعشرين مرحلة[2] . ومن طرابلس يتجه غرباً إلى قابس(*)[4] عشرة مراحل[3].

(*) درنة : مدينة من مدن برقة المشهورة . أقيمت على جزء من مدينة (درنيس) المدينة اليونانية القديمة التى كانت عاصمة بولاية ليبيا الشرقية (مرماريكا) ويظهر أن أول من أسس مدينة درنة الحالية هم الآندلسيون الذين ترحلو ا اليها سنة 1040 هـ - 1631 م، الطاهر أحمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 130 .

([1]) علي حامد خليفة الطيف : المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الإجتماعية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجرين الرابع والخامس عشر الميلادين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا ، (د.ت)ص72 .

(*)1 أوجله : هي واحة عامرة كثيرة النخيل واسم مدينتها ازراقية ، وبأوجلة قرى كبيرة فيها نخيل وشجر كثير وفواكه وبمدينتها مساجد واسواق ، الادريسي : نزهة المشتاق ، ج 1 ، المصدر السابق ، 312 ، الحميري : الروض المعطار ، المصـــدر الســـابق ، ص 139 .

(*)[2] مكمداس : مدينة بأرض سرت بين أبورتمة والزعفران . الطاهر الزاوي: معجم البلدان الليبية، مكتبة النور طرابلس، 1968م، ص223 .

(*)[3] تاورغاء : بلد جنوبي مصراته بنحو 40كلم وبها عين غزيرة غذبه ويصعب على الغريب ان يهتدي الى مسالكها لكثرة ما فيها من مجاري المياه وبها نخل كثير وفيه انواع كثير جيدة من الثمر وسكانها خليط من اصول عربية وبربرية وهم سمر البشرة وقل أن يوجد فيهم ابيض وهم مشهورين بالشجاعة . المرجع نفسه ، ص 79 .

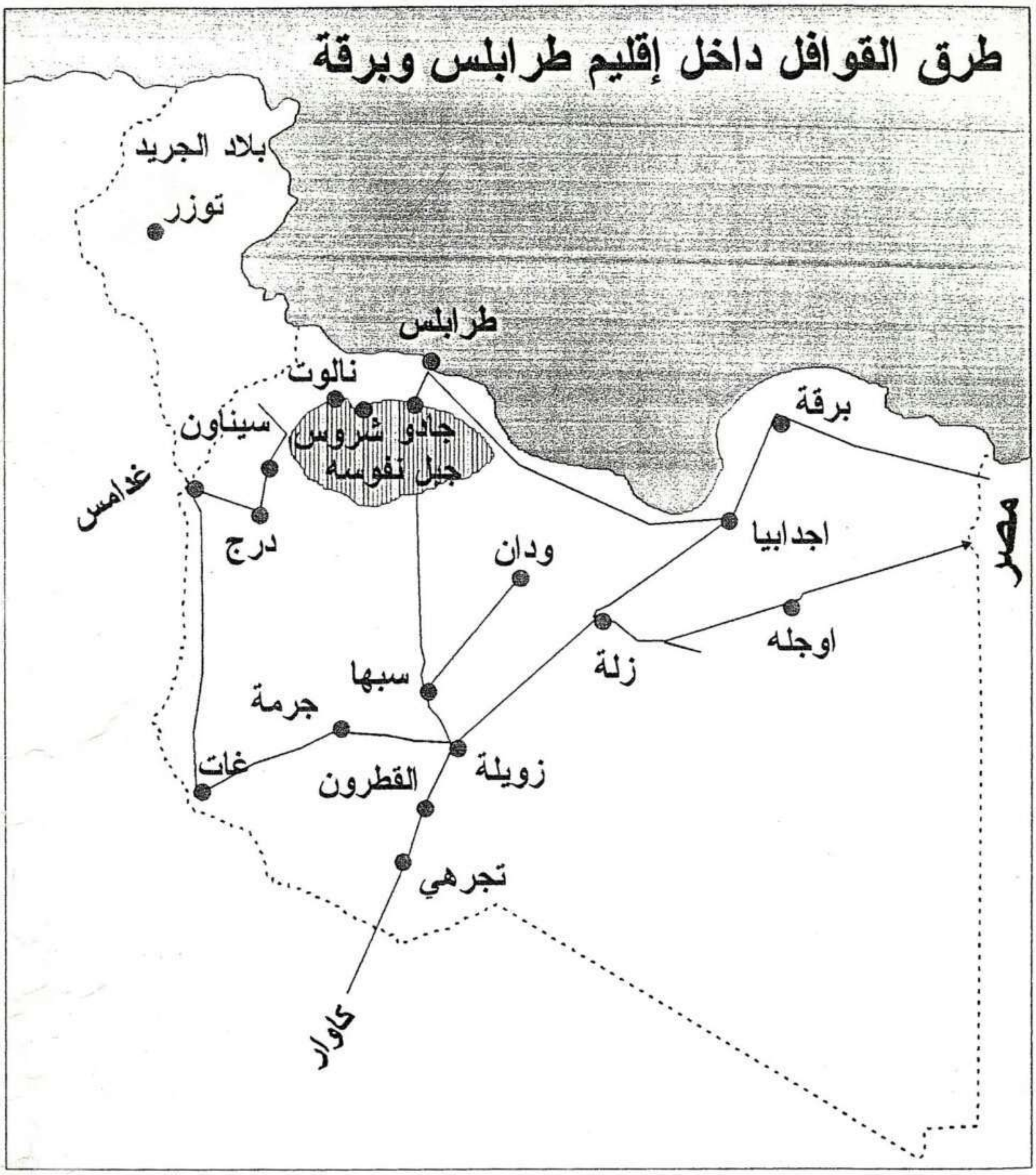
([2]) ابن خردانبة : المسالك والممالك، المصدر السابق، ص84- 85 .

(*)[4] قابس : من المدن الكبيرة عليها سور كبير ، توصف بدمشق المغرب أو دمشق الصغرى ، عامرة لها أسواق وعمارات وكثيرة المياه والثمار ولايستطيع احد اختراقنها الا بدليل من أهلها وهي مدينة صحراوية حيث تتصل بالصحراء من جهة فتحت ودخلت تحت راية الاسلام في الفترة مابين (34 – 50 هـ / 654 – 670 م) في عهد معاوية بن حديج أو في آول عهد عقبة بن نافع . ابن فضل الله العمرى : مسالك الانصار في ممالك الامصار ، تعليق : أيمن فواذ السيد ، القاهرة ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية،1985 ، ص70.

([3]) نجاة باشا : التجارة في المغرب الاسلامي القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري، الجامعة التونسية، 1976م، ص81. (لوميار موريس): الإسلام في عهده الأول من القرن 2إلى5هـ(8-11م)، تعليق إسماعيل الغربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب ط3، سنة 1411 هـ /1996م، ص 104 .

طــريق القــوافل داخــل

إقــليم طــرابلس وبرقة



"نقلاً عن جاك تيري – الصحراء والواحات الليبية في العصور الوسطى، ص 406 ".

حيث تمر القوافل ببلدة جنزور(*) موطن قبائل الهوارة إلى بلدة الزاوية ثم تسير القوافل حتى تصل إلى مدينة زوارة ومنها يتجه المسافرون إلى جزيرة جربة[1(*)] أو القيروان[2(*)]. وتقدر المسافة[1] بين طرابلس والقيروان بنحو عشرين مرحلة[2].

يعد هذا الطريق من أفضل الطرق فإن كثيراً من القوافل ترتاد هذا الطريق خاصة قوافل الحجاج لوجود الأمان وذلك بسبب كثرة مدنه وقراه مما يعطي التجار وقوافل الحجاج الأمن والطمأنينة[3].

وقد ساعد وجود العديد من الزوايا الصوفية في كثير من المدن المطلة على هذا الطريق كمدينة زليطن[3(*)] ومصراته وتاجوراء[4(*)] والزاوية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين في تزويد هذه القوافل في كل ماتحتاجه من الأمن والراحة والزاد في رحلتها [4].

(*) جنزور : بلدة تقع غرب طرابلس بنحو اثني عشر كلم وهي بزين مفتوحه والنون ساكنة ، وكلمة زنزور كلمة بربرية الاصل اطلقها العرب على ما كانت تطلق عليه زمن البربر . الطاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 171 – 172 .

[1(*)] جربه : وهي مجاورة لليابسة بين قابس وصبره في البحر يسكنها الافارقة ، منبسطة رملية ، يكثر فيها النخيل والكروم والزيتون وغيرها من الاشجار المثمرة دائرتها نحو ثمانية عشر ميلا ، توجد بها قصبة مشيدة على الساحل يسكنها الوالى واسرته ويقطن التجار والغرباء من مسلمين والنصاره فيها ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، ص 118 .

[2(*)] القيروان: هي مدينة بتونس بنيت في صدر الإسلام وتقع عند من منتهى الطريق الآتي من مصر اختطها عقبة بن نافع سنة (50هـ/670)، ومعنى هذا الاسم القيروان هو محطة الابدال أو مكان التجمع للدفاع عن المدينة. وهي من أجمل مدن المغرب عليها سور، تعرض للهدم من قبل زيادة بن الأغلب . يشرب أهلها من الأبار وماء المطر بعد أن يجمع في مراحل وليس لها ماء جاري ابن عذاري: البيان المغرب، المصدر السابق، ص14-15، البكري : المغرب في ذكر بلاد المغرب، المصدر السابق، ص24 .

([1]) أبو الفداء : تقويم البلدان،المصدر السابق ، ص 70 .

([2]) لامبار مورسي: الإسلام في العهد الأول من القرن 2 إلى 5هـ 118م، تعليق إسماعيل العربي منشورات دار الأفاق الجديدة المغرب، ط3، سنة 1411هـ، 1996م، ص 104 .

([3]) التيجاني : رحلة التجاني، المصدر السابق، ص207 .

[3(*)] زليطن : اسم مدينة من مدن طرابلس الغرب تقع شرقيها بنحو مائة وثمانية وخمسون كلم) وكلمة زليطين محرفة عن الكلمة البربرية (يصلتن) كانت تطلق على قبيلة من قبائل هوارة البربرية . الطاهر احمد الزاوي . معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 170 -171 .

[4(*)] تاجوراء : بلد من بلاد طرابلس القديمة مازالت معروفة بهذا الاسم حتى الان تقع في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس ولها ذكر في تاريخ طرابلس القديم وفي ثورات الزعماء المحلين ضد جيوش الافرنج وضد الحكم التركي الذي غزاء طرابلس اكثر من مره ، المرجع نفسه ، ص 75 -76 .

([4]) عمر أحمد سعيد : (دور حركات التجديد الإفريقي في غرب إفريقيا)، دراسات إفريقية، 1990، ص128 .

2- طريق طرابلس ودان(*):

ينطلق هذا الطريق إلى الجنوب من طرابلس ويعد أحد الطرق الفرعية للوصول لبلاد السودان ويتميز هذا الطريق بقصره وسهولة سلكه ويعد من اقصر الطرق الأكثر أماناً ووفرة للمياه والتي لا تخلوا من المسافرين حتى يومنا هذا حيث تمر به القوافل القادمة من طرابلس ببلده ودان عبر مؤطن هواره نحو الجنوب في منتجعات من بيوت الشعر إلى قصر إبن ميمون[(*)1] ، ثم تواصل سيرها حتى تصل بعد ثلاثة أيام إلى صنم من أحجار بني علي ربوه يسمى كرزه ثم تواصل القوافل سيرها ثلاثة أيام أخرى لتصل ودان[(1)] . وعند مرور المسافر بهذا الطريق قادماً من الشمال أو الشرق أو الجنوب أو من الغرب، يلاحظ أن هذه المنطقة الوسطى بمثابة مفترق طرق .

يبدو أنها كانت من أهم المراكز التجارية التي تلقى فيها القوافل الواصلة من زلة[(*)2] وتاجرفت وغدامس كما يمكن المرور منها إلى فزان[(2)] .

3- طريق طرابلس غدامس :

هذا الطريق ينطلق من طرابلس إلى غدامس ماراً بمدن الجبل الغربي غريان ويفرن وفساطو[(*)3] حيث تسير منه القوافل ثم تتجه نحو سيناون[(*)4] وتصل هذه القوافل الطريق ذاته الذي يربط غدامس بمدينة غات[(3)]، ويعرف بطريق البريد وكل

(*) ودان : إحدى قرى الواحات المسماه (الجفرة) تتوسط صحراء ليبيا فيها نخل كثير ويسكنها قوم اشراف . افتتحها بسر بن ارطاه سنة 23 هـ - 643 م ارسله اليها عمر و بن العاص ثم فتحها بعد ذلك عقبة بن نافع عام 49 هـ - 669 م، الطاهر احمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 249 .

(*)1 قصر ابن ميمون : يقع في وادي ميمون أراض ورفلة بمدينة بنى وليد ، المرجع نفسه ، ص277 .

(1) البكري: المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، المصدر السابق، ص 12، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، دار الصادر، بيروت لبنان 1977م، ص 366 .

(*)2 زله : واحة من واحات الجفرة في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس ، وكانت قبل الفتح الاسلامي تسكنها قبيلة مزاته البربرية وأكثر محاصيلها الثمور وحاليا سكانها من العرب ، المصدر نفسه ، ص 169 .

(2) إبراهيم حركات: دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، 1981م، ص 28- 29 .

(*)3 فساطو : بلد كبير في جبل نفوسه وهي احد عواصمه وتقع في الجنوب الغربي من مدينة طرابلس بنحو 224 كلم وتعد من اكبر مراكز الجبل الاجتماعية – وهي تقع في مكان ((جادو)) التى كانت زمن الفتح الاسلامي إحدى عواصم الجبل أو قريبة من مكانها ، الطاهر أحمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ،المرجع السابق ، ص 253 -254 .

(*)4 سيناون : بلد صغيرة من بلاد البربر القديمة وبها بعض الاثار تشبه المسلات ويقال أن على هذه الاثار كتابات تشبه حروف اللغة البربرية القديمة وتقع في شمال الشرقي من غدامس بنحو 210 كلم على طريق درج المرجع نفسه ، ص 194 .

(3) انطوني جوزيف كاكياً: ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني 1835- 1911م، طرابلس، دار الفرجاني 1975- ص137.

القوافل التي تسير عبر هذا الطريق ترافقها حامية عسكرية صغيره حتى مشارف الصحراء وذلك لأهمية هذا الطريق وكذلك السلع التي تنقلها القوافل إضافة إلى مخاوف من قطاع الطرق واللصوص، وإن هذا الطريق عند مدينة غدامس يرتبط بطريق أخر تجاري يأتي من جادو وصبراته .

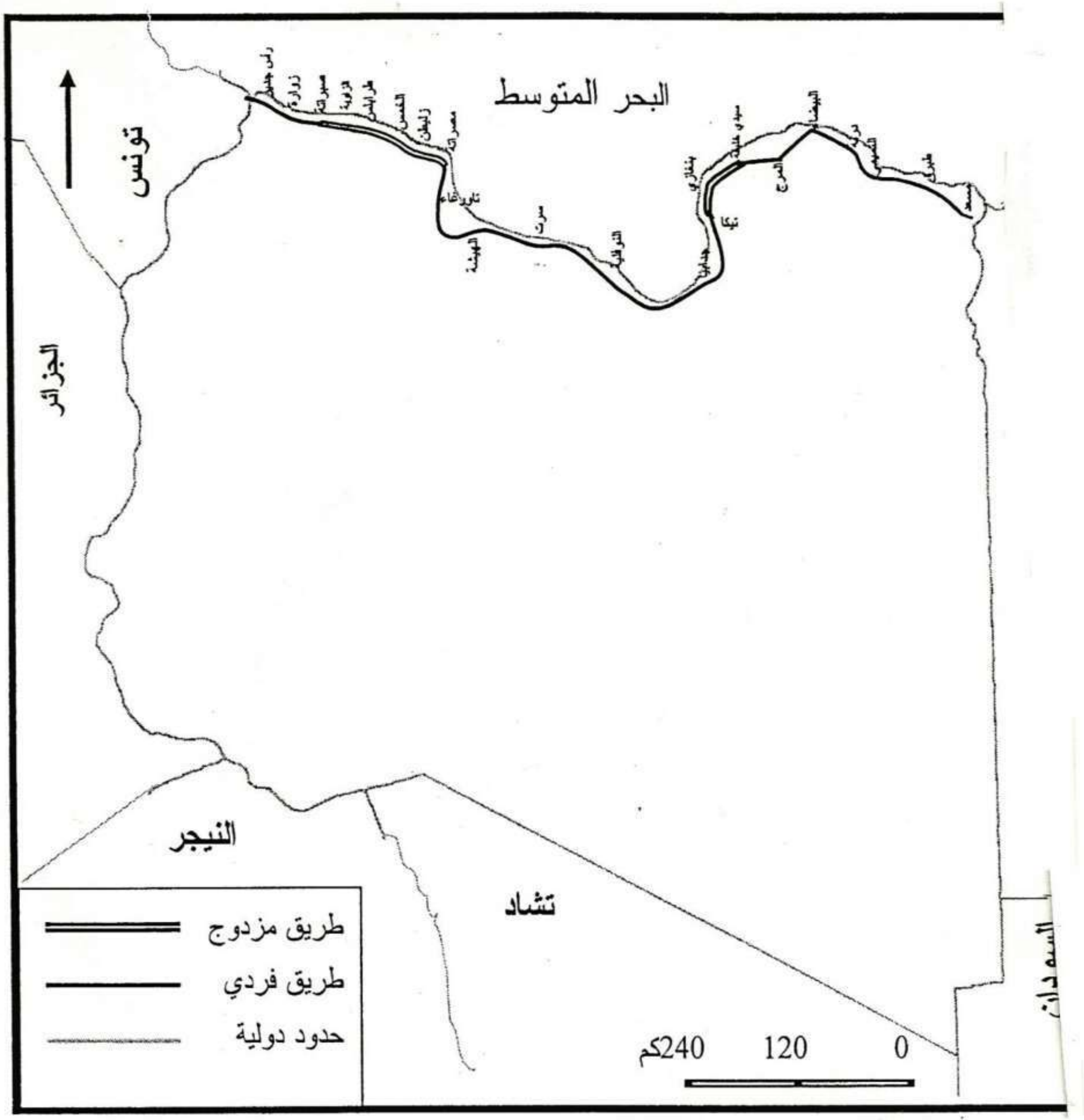
ولا شك أنه من الطرق التي استخدمها حجاج بلاد السودان الغربي في وصولهم للأراضي المقدسة عبر غدامس[1]، درج[*] سيناون ونالوت (الجبل الغربي) فطرابلس ليلتقي بالطريق الساحلي إضافة إلى طريق يربط طرابلس بجبل نفوسه وبالقيروان[2].

([1]) البكري : المسالك والممالك، المصدر السابق، ص 182 .

([*]) درج : تعد درج مركزاً من المراكز العمرانيه التى يقال انها ترجع الى القرن 8 ق.م وتعتبر واحة من أهم واحات الحمادة الحمراء ، حيث يتوسط موقعها اراضي وأودية زراعية خصبة ومناطق رعوية . نوري عبد السلام احمد : الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مدينتي اغدامس وزويلة . خلال الفترة من (306 -710 هـ / 918 – 1310 م) ، كلية الآداب جامعة سبها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ص 4 .

([2]) مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار: المصدر السابق ، ص 144 . البكري المسالك والممالك ، المصدر السابق، ص9- 25 .

الطريق الساحلي.



نقلاً عن أكرم صالح ميلاد : التحليل المكاني لشبكة الطرق البرية في ليبيا للفترة ما بين 1969 – 2006 م .

دراسة في جغرافية النقل ، ص 128

وكذلك بالواحات التونسية والجزائرية[1] ثم سجلماسة[(*)] في المغرب الأقصى .

يعتبر هذا الطريق من الطرق الهامة لسكان بلاد السودان حيث يظل الطريق الأكثر إرتياداً لأمنه ووفرة المياه . ووجود العديد من المراكز التجارية يمكن التجار ببلاد السودان الغربي من تصريف بضاعتهم خاصة الذهب والرقيق والحيوانات والعاج .

ولقد ذكر هذا الطريق في العديد من الكتابات الجغرافية والذي يبدأ من الطريق الساحلي وينتهي بالغرب من ملاحات أوليل[(*)1]، ويقدر بحوالي 1700كلم. وإن هذا الطريق يرتبط بطريق أخر يربط غدامس بمدينة غات ومدينة مرزق[(*)2] ومنها نحو الشرق إلى أوجله والجنوب ومن ثم إلى الديار المصرية[(2)].

4- طريق طرابلس مرزق غات :

إن هذا الطريق الذي ينطلق من طرابلس إلى الواحات الجنوبية ماراً بترهونة[(*)3] وبني وليد – كرزة الشويرف[(*)4] وادي الشاطي[(*)5]

([1]) حسن الوزان: وصف افريقيا، المصدر السابق، ج2، ص 438 . ابن خلدون : المصدر السابق، ج3، ص 286 . الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المصدر السابق، ص 4- 5 .

(*) سجلماسة : لقد تم تاسيس هذه المدينة في اواسط القرن الثاني هجري / الثامن ميلادى على يد بني مدرار الخوارج على الراجح ، فضلا على أن هناك روايات اخرى تقول بأن تأسيسها قد تم على يد العرب الفاتحين سنة 40 هـ - 660 م ، ثم وسعها بنو مدرار ، فكانت حاضرة لتلك المملكة الخارجية الى ان استولى عليها الفاطميون فكانت مركزا تجاريا مهما في طريق القوافل الى الصحراء ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص21 .

(*)1 أوليل : تقع في منطقة مالي بالسودان الغربي وهي مشهورة بانتاج الملح حتى هذه الفتره ، البكري: المسالك والممالك، المصدر السابق ، ص 175.

(*)2 مرزق : هي عاصمة بلاد فزان في العهد التركي تقع جنوبي غربي مدينة سبها بنحو 145 كلم وتقع في الجنوب الي الشرق من مدينة طرابلس بنحو 775 كلم ، الطاهر احمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 310 .

(2) البكري: المسالك والممالك، المصدر السابق ، ص 175- 176 .

(*)3 ترهونة : كلمة ترهونة كلمة بربرية كانت تطلق على قبيلة بربرية من هوارة تسكن تلك الناحية ولما سكن العرب هذه الناحية وتكاثروا جلا بعض البربر وبقى بعضهم ، واندمجوا في العرب بحكم الاقلية . وتطلق كلمة ترهونة اليوم على قبيلة عربية كبيرة من أكبر القبائل العربية في طرابلس ومواطنها جنوبي طرابلس بنحو 85 كلم . الطاهر أحمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 81 .

(*)4 ترهونة : كلمة ترهونة كلمة بربرية كانت تطلق على قبيلة بربرية من هوارة تسكن تلك الناحية ولما سكن العرب هذه الناحية وتكاثروا جلا بعض البربر وبقى بعضهم ، واندمجوا في العرب بحكم الاقلية . وتطلق كلمة ترهونة اليوم على قبيلة عربية كبيرة من أكبر القبائل العربية في طرابلس ومواطنها جنوبي طرابلس بنحو 85 كلم . الطاهر أحمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 81 .

(*)5 وادي الشاطي : يقع شمال مدينة سبها في اقليم فزان وفيه عدة واحات ومياهه قريبة . محمد سعيد القشاط : صحراء العرب الكبرى ، المرجع السابق ، 24 .

وأوباري[*]، مرزق، غات. يعد هذا الطريق من المسالك المهمة التي يتم خلاله تسويق بضائع مناطق الشمال في مرزق وبضائع مرزق في أسواق غات كما أنها منطقة عبور الكثير من قوافل الحج لبلاد السودان الأوسط ولا شك أن هذه المراكز تحتوي على العديد من القبائل التي امتهنت حرفة التجارة من الطوارق[*1] والتبو[*2] والعرب البدو[1]، خاصة في فترة موضوع الدراسة .

5 – طريق طرابلس بنغازي :

إن هذا الطريق ينطلق بمحاذاة البحر إلى بنغازي وذلك لصعوبة اختراق الكثبان الرملية التي تعوق حركة سير القوافل من طرابلس إلى الواحات الشرقية (الكفرة) وأن هذه الطريق يبدأ من طرابلس عن طريق البحر إلى بنغازي، مركز تجمع القافلة ثم تواصل سيرها إلى أوجلة جالوا[*3] تازربوا[*4] الكفرة ويمكن لهذا الطريق أن يتجه

(*) أوباري : مدينة تقع في وادي الاجال بفزان ، في الناحية الغربية منه ويقال لها أوباري وكانت في القديم محاطة بسور : الطاهر احمد الزاوي معجم البلدان الليبية . المرجع السابق . ص 8 .

(*)1 الطوارق : هم اصحاب اللثام الأزرق هم من أشد قبائل (المغاربة) وأكثرهم بداوة ويسكنون الصحراء وخاصة في منطقة الحجار ويساكنهم في مواطنهم بعض الزنوج من السودان الذين يقومون بشتى الاعمال في المراعي والخدمة ، ولا يزالون يحتفظون باساليبهم وعاداتهم ومنها لبس اللثام الذي يغطون به اسفل العيينين بنقاب بلون ثيابهم الطويلة الزرقاء القاتمة ، حسن عيسى عبد الظاهر : الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام الدولة الفولاني ، القاهرة ، الزهراء للاعلام العربي ، 1991 م ، ص 58 – 59 .

(*)2 التيبو : هم ضمن من سكن حول بحيرة تشاد وقد نسبهم البعض للبربر وكان مواطنهم مرتفعات تبستى . حيث اطلق عليهم الجرمنتيون الاثيوبين سكان الكهوف tebisti ، والمجموعات التى تسكن حول بحيرة التشاد يعرفون باسم الدازا Dazza بينما سكان الجبال يسمون الشماليون التيدا teda ، سعيد عبد الرحمن الحنديرى : تطور الحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية تمبلباي – مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية ، طرابلس – ليبيا - ، 1998 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ص 77 .

(1) عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، طبعة هوادس 1998م، ص7 . ع. ن لايون: مدخل إلى الصحراء، ترجمة عبد الهادي أبو لقمة،جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1995م، ص 85.

(*)3 جالو : واحة من واحات برقة ، تقع في الجنوب الشرقي من اجدابيا بنو 220 كلم وشرقي اوجلة 30كلم وبها نخل كثير وسكانها المجابرة . الطاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص86 .

(*)4 تازربو : واحة من واحات الكفرة وهي اكبر واحاتها ، وتقع شمال الجوف وتمتد من الشرق الى الغرب . المرجع نفسه ، ص77 .

غرباً ماراً بتبستي[(*)5] واو الكبير[(*)6] واو الناموس[(*)7] ثم زويلة تراغن[(*)8] ثم جرمة ليلتقي بالطريق الأوسط[(1)] .

6- طريق طرابلس جرمة:

يبدأ هذا الطريق من طرابلس صبراته إلى غدامس ثم أوباري حيث تسير القوافل حتى تصل جرمة، يعتبر هذا الطريق من أسهل الطرق على الرغم من اعتراض بعض الجبال الوعرة والمروج. ويلتقي بطريق أخر ينطلق من لبده كرزة ثم براك[(*)] الشاطئ ثم إلى مدينة سبها عاصمة فزان الحالية ثم مدينة جرمة عاصمة فزان قبل الفتح الإسلامي لليبيا، هذا الطريق قد يستغرق السير فيه حوالي شهراً[(2)].

كما أن هذا الطريق يرتبط بطريق أخر يربط فزان بوادي النيل في الشرق والذي يبدأ من جرمة عبر واحات أوجلة[(3)] ثم الأقصر[(*)1] في صعيد مصر[(4)] . كما أن هذا الطريق ينطلق غرباً من واحات فزان الداخلية[(5)] إلى بلاد الشنقيط[(*)2].

7- طريق طرابلس زويلة :-

(*)5 تبيستي : تعتبر منطقة تبيستي هي معقل التيبو والذي امتد نطاق نفوذهم حتى الكفرة وواحات بيردو والقطرون في اقصى جنوب فزان على الحدود النيجرية واجراء اخرء من فزان مثل مرزق . ومازال هذ المناطق حتي الان موطن ومعاقل التيبو ، الحافظ عبد الكريم سليمان : الدور السياسي والحضاري لفزان في القرن الثامن الهجرى واثره في دور الجوار ، المرجع السابق ، ص112.

(*)6 واو الكبير : ويسمى واو الشعوف : مكان في الجنوب الشرقي من أم الارانب بفزان بنحو 205 كلم احتله الطليان سنة 1930 م وقتلوا فيه السنوسي بن غيث سيف النصر . الطاهر احمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص249 .

(*)7 واو الناموس : تقع شرقي واو الكبير بنحو 144 كلم ، المرجع نفسه ، ص 249 .

(*)8 تراغن : تقع هذه المدينة الى الغرب من زويلة نحو 100 كلم اتخذها الحاكم الكانمي لفزان أو مندوب السلطان قاعدة لحكمه ، فقد استقر معه في هذه المدينة عدد كبير من الجنود الكانميين الذين عرفوا باسم الكانوري ولا زالت اثار قصر الحاكم ومساكن الجنود موجودة غربي تراغن . جمال الدين الديناصوري : جغرافية فزان ، المرجع السابق ، ص237 -238 .

(1) محمد عمر مروان : سجلات محكمة طرابلس الشرعية 1174، 1271هـ، 1760- 1854م. دراسة في مصدر تاريخي، منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، كلية الأداب، جامعة طرابلس، ص 26.

(*) براك الشاطئ : بلدة في وادي الشاطئ الذي يقع شمال مدينة سبها وفيه واحات ومياهه قريبة . محمد سعيد القشاط ، صحراءالعرب الكبري ، المرجع السابق ، ص 24 .

(2) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 1911م، المطبعة الليبية، طرابلس الغرب، 1967م، ص 72 .

(3) تذكر الكتب أن هذا الطريق من أكثر الطرق قدماً التي تربط فزان بوادي النيل مبتدئاً من طيبة ثم واحة أمون سيوه الأن ثم أوجله التي تسكنها قبائل النيسامونسين ثم تنتهي عند قبائل الجرمنت بفزان والتي تعتبر مفترق طرق شمالاً إلى طرابلس بل صبراته وشمال شرق إلى غدامس أو لبده أو حتى نحو بلاد السودان (جاو) أو تمبكتو، نجم الدين غالب الكيب: صبراته في تلك التاريخ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، ط2، 1982م، ص 27 .

(*)1 الاقصر : إحدى المدن الصحراوي بجنوب مصر ، تقع على وادي النيل ويتاخدها اغنياء مصر مشتى لهم ، المرجع نفسه،ص 44

(4) حسن الوزان: وصف أفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص 147 .

(5) عبد القادر جامي : من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، دار المصراتي للطباعة طرابلس1974، ص70 .

(*)2 بلاد الشنقيط : شنقيط أو سنجيط كانت في الاصل تطلق على قرية من قرى ولاية ادرار الموريتانيا الحالية ومعناها عيون الخيل وهي احد المراكز القروية التى شهدت نهضة ثقافية شاملة خاصة منذ القرن الحادي عشر للهجرى / السابع عشر ميلادي أما عن موقع شنقيط فهو الجزء الشمالي الغربي من السودان الغربي ، تمتد من المحيد الاطلسي غربا حتى منطقة ازواد شرقا . وقد كانت شنقيط موطنا لعدد كبير من العلماء الافذاد والرجال الصالحين . امطير سعد غيث احمد : الثقافة العربية الاسلامية واثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر ، المرجع السابق ، ص160 .

يبدأ من طرابلس جبل نفوسه به كثير من المراكز التجارية مثل جادو ويترى درف تامرين[(*)3]، سبها، زويله. ولقد ذكر هذا الطريق العديد من الرحالة والجغرافيين العرب مما يدل على أنه كان له دوراً هاماً في الحركة التجارية بين طرابلس وواحات فزان والجدير بالذكر أن هذا الطريق لم يتوقف على مر العصور في نقل السلع التجارية وتبادلها بل ساهم أيضاً في نشر الإسلام في ممالك ما وراء الصحراء (السودان الغربي والأوسط)، وعن طريقه تم نقل الثقافة العربية والحضارة الإسلامية إلى تلك الممالك [(1)].

8- طريق برقة فزان :

هو من الطرق التي تربط المراكز الشرقية من ليبيا بالواحات الداخلية (فزان) وقد استمد هذا الطريق نشاطه من الحركة التجارية القائمة مع مصر[(2)]. يمر هذا الطريق من بنغازي إلى إجدابيا، مراده[(*)]، زلة، ودان، هون[(*)1]، سبها، مرزق، القطرون[(*)2] تجرهي[(*)3] الويغ،[(*)4] تومو[(*)5] .

كما أن هنالك طريق آخر مهم يربط برقة بفزان[(3)]عبر زله، والفقها[(4)] وتمسه[(*)6] ويبدو أن هذا الطريق من الطرق القديمة كما يعتبر مركز تجمع الطرق الشمالية من ليبيا التي تنحدر منها بعض الطرق إلى فزان كطريق أجدابيا زويله الذي يقدر بأربعة

[(*)3] تامرين : بلد تقع بوادي الشاطي .

[(1)] البكري : المسالك، نفس المصدر ، ص 656- 657 .

[(2)] نقولا زيادة: الطرق التجارية في العصور الوسطى، مجلة تاريخ العرب والعالم، ج9، 1983م، ص 11 .

[(*)] مراده : بلد فتقع جنوبي العقيلة بنحو 122 كلم في وسطها ربوه عالية يقال لها قارة وسكانها فريقان : فريق يقال لهم الحمود ويقال ان اصلهم من البربر وفريق يقال لهم الزاوية من أولاد سيدي ناصر أو نصر واصلهم من عرب سرت . الطاهر احمد الزاوي . معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 307 .

[(*)1] هون : إحدى واحات الجفرة واكبرها ، فيها نخل كثير وحدائق . واهلها ينتمون الى قبيلة العلاونه المشهورة قرب طرابلس ، المرجع نفسه ، ص 25 .

[(*)2] القطرون : قرية وواحة تقع جنوب مرزق على الطريق الصحراوي الرابط بين ليبيا والنيجر وليبيا وتشاد ، وبها مجموعات من اشجار النخيل وآبار ضحلة وبجانبها جبال من الرمال ، كان يعيش فيها بقرا الوحش . محمد سعيد القشاط ، الصحراء العرب الكبرى ، المرجع السابق ، ص 49 .

[(*)3] تجرهي : هي بلده تقع في الجنوب بين القطرون والتومو في فزان ، الطاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 302 .

[(*)4] الويغ : هي تقع جنوب فزان وهي منطقة على حدود النيجر . المرجع نفسه ، ص 85 .

[(*)5] تومو : تقع الى الغرب من مرتفعات تبيستي ، وتمثل الحد الطبيعي لحوض فزان من ناحية الجنوب وتلتقي من ناحية الغرب بمرتفعات تاسيلي ويبلغ متوسط ارتفاع جبال التومو وتاسيلي حوالى 1000 م فوق سطح البحر ، عبد العزيز طريح ، جغرافية ليبيا ، المرجع السابق ، ص 59 – 60 .

[(3)] جاك تيري : تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، دار ليبيا، للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 2004م، طرابلس ص 77 .

[(4)] ابن حوقل : صورة الأرض، المصدر السابق ص 90 .

[(*)6] تمسه : واحة صغيرة من واحات فزان وفيها مياه كثيرة تنبع من عيون جارية . الطاهر احمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 83 .

عشر، مرحلة[1] كما أن المسافة التي تفصل زويلة ومدينة سبها عاصمة فزان تقدر بخمسة أيام[2] غير أن هذا الطريق قليلاً ما يتم المرور به في الوقت الحالي لقلة المدن فيه وعدم وجود المياه .

(1) البكري: المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب، المصدر السابق، ص 9 .
(2) نفس المصدر، ص 10 .

تنظيــم القــوافل :

كانت القوافل التجارية التي تجوب الصحراء وتقطع الفيافي والقفار في حركة دؤوبة ومتواصلة على مدار السنة . فقد اصبحت تمثل العمود الاقتصادي لسكان المدن والواحات الليبية مما يتطلب ضرورة وضع خطط لتنظيمها حيث يتم تجهيز القوافل من قبل التجار أو البيوت التجارية (الوكلاء) في طرابلس أو في بعض المدن الأخرى من العرب المسلمين واليهود الذين يملكون ويقدمون القروض المالية للتجار، لتولي شراء البضائع وتوفير وسائل النقل وكل ما تحتاج إليها القافلة.فهم يملكون الصلاحية في التصرف بما لديهم من أموال[1]، كما أنهم على اتصال بالتجار المقيمين في المدن الداخلية ومدن بلاد السودان الذين يتولون تسليم البضائع عند وصولها في شكل أمانات إلى عدم مرافقة التاجر صاحب البضاعة لها[2] .

كانت القوافل العابرة للصحراء تعد إعداداً كبيراً بالرجال والدواب وذلك مخافة من قطاع الطرق والاقوام المعادية حيث يقوم كل تاجر بالمشاركة في إعداد القافلة التي تجمع عدداً غير محدود من التجار. لقد ذكر جاك تيرى عن تنظيم القافلة بالرغم من أنه محدود لا يتضمن الأعداد التي تتكون منها القافلة فقد قال: "إن لكل شخص في القافلة ثلاثة جمال أحدها لركوبه والثاني لحمل الماء والثالث نقل التموين[3]" .

لاشك أن طبيعة القافلة هي التي تحدد عددها قد تصل عددها إلى عشرين وثلاثين جملاً خاصة يبين المدن التجارية الداخلية وقد تتراوح عددها ما بين 80-120 وقد تصل عددها إلى اثني عشر ألف جمل مثل تلك القافلة التي ذكرها ابن خلدون المكونة من اثني عشر ألف جمل قادمة من فزان إلى ممالك ما وراء الصحراء[4] . كما ذكر الأدريسي: "بأن لكل تاجر من تجار أغمات[*] الأغنياء

([1]) نجمي رجب ضياف: مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية ، المرجع السابق، ص 177، 178 .
([2]) انتوني جوزيف كاكيا: ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني 1835 -1911 ، المرجع السابق، ص 137- 138 .
([3]) جاك تيري: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص 596 .
([4])Maury: Tableau Gergra phiguede layt Africaineau , mayen age d,après Les Courses Ecrites la Tradition et larchealagie Memaires dIFAN, Amsterdam, 1967. P.400-401.

سبعمائة جمل محمل في القافلة والمتوجه إلى بلاد السودان يعهدون بها إلى خدمهم أو عبيدهم"[1] .

أما عن المدة التي تقضيها القافلة في سيرها تتحكم فيها العديد من الظروف، منها نوعية البضاعة التي تحملها القافلة والزمن التي تسير فيه ففي فصل الصيف تكون المسافات بين المحطات المتقاربة نظراً لحرارة المناخ ووهج الرمال الحارقة وكذلك خط السير والرمال التى تعلوه ، وتوفر المياه على خط القافلة ومدى امان الطريق من قطاع الطرق واللصوص ولعل هذه اهم الظروف التى تتحكم في سير القافلة وتنظيمها[2] .

كانت القافلة التي تحمل الملح من ملاحات جنوب الصحراء إلى بلاد السودان تسافر في الربيع والخريف(حيث لا توجد أمطار في المناطق الشمالية تؤثر على القوافل) في الوقت الذي نرى أن القافلة التي تعبر الصحراء تسافر في الخريف والشتاء وكان معدل سيرها في اليوم تسع ساعات وتتعدى أحياناً إثنى عشر ساعة في اليوم[3] .

إن القوافل التجارية تحتاج في رحلتها إلى العديد من التنظيمات الضرورية كاختيار قائد القافلة أو شيخ القافلة الذي يعرف عند الأتراك باسم باشي وهو المسئول عن سير رحلة القافلة ويقوم بتقسيم المهام بين أفراد القافلة ويحافظ على الجوانب الأمنية كما يتولى تحديد موعد التحرك والنزول وإن يتميز بالخبره والذكاء والفطنة وان يكون محل ثقة من قبل الآخرين وتمنح له حرية التصرف فهو الذي يقرر التوقف بالمراكز والأسواق وإبدال الجمال وغيرها من الأمور التي تكون لمصلحة وصول القافلة إلى المكان المتجه إليه[4]. وعن الحديث عن وسيلة النقل كان الجمل هو

(*) أغمات : ناحية في بلاد البربر من ارض المغرب قرب مراكش وليس بالمغرب بلد فيما زعمو ، بلد اجمل الاصناف من الخيرات ولا اكثر ناحية ولا اوفر حضاً ولا خصباً منها، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، المصدر السابق ، ص266 .

(1) الإدريسي : نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 239 .

(2) صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسه وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجر، جامعة محمد الخامس كلية الأداب– الرباط المغرب، 2001، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص 76-77 .

(3) جاك تيري : تاريخ الصحراء في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص 596 .

(4) جيمس ريتشادسون : ترحال في الصحراء تحقيق الهادي أبو لقمة، جامعة قاريونس بنغازي 1993م، ص 248 . رجب نصير الأبيض: مدينة مرزق وتجارة القوافل خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 71 .

الرائد في رحلة القوافل وذلك لما يتحمله من الجوع والعطش والانتقال وحمولة التي تتراوح بين 130– 150 كلغ أما عن كيفية الحصول على الجمال تكون بواسطة الشراء أو بالإيجار من قبل القبائل البدوية، مثل الطوارق والتبو وغيرهم .

هذا وقد صنفت الإبل إلى عدة أضاف منها :

1. إبل الركوب وتمتاز بخفة وزنها وكبر الصدر وصغر السنام .
2. إبل السباق أو الهجن وتمتاز بالرشاقة، وصغر رأسها وأهم سلالات إبل السباق هي (المهارى) وتكثر عند الطوارق .
3. إبل الحمل: تمتاز بكبر الجسم وغلظ الأرجل وقصرها وكبر الرأس(1).

لقد فضل التجار الليبيون هذا النوع من الجمال العربية على الجمال المهرية، حيث يتمكن هذا النوع من الأبل وبما عليها من زاد قطع مسافة ما بين (40–50 كلم) يومياً(2)، ولعل ما ذكره الرحالة دنهام في رحلته إلى برنو ما يؤكد ذلك عندما قال "الإبل الطرابلسية تتحمل المتاعب والمشاق أكثر من غيرها"(3) .

وعند تحميل الجمال بمختلف البضائع يتم الأستناد على السجلات الرسمية التي تكون بحوزه كل تاجر وتعرف (بالزمام) يدون فيها كل ما يخصه من بضائع ويكون مع من يرافق القافلة في الوقت الذي توضع قصاصة ورقية (كاغط) داخل الحمل يوضح ما يوجد بداخلها وتختم القائمة بكتابة رموز ذات دلالات دينية، القصد منها حماية البضائع من السرقة أو النهب(5) .

لعل هذا النموذج يوضح مدلول تلك الرموز المكتوبة، "الحمد لله فهذه قائمة العديل المبركة (المباركة) إنشاء الله داخلها أربعة مائة ربط حرير ونصف قنطار مرجان وعشرات كواغط قطف وخمست مقاطع خام الحفيظ هو الله لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم(4)" وعند وصول القافلة المكان المتجهه له يتم مراجعة الحمل (العديل) ومقارنته مما يوجد في السجل (الزمام) وعند ضياع وعدم

---

(1) جهاد السيد أحمد: الإبل العربية إنتاج وتراث ط1، الشركة العربية للنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، 1995م، ص 60.

(2) جنكان محمد خير: المفصل في أسماء وصفات الإبل، ط جمعية عمال المطابع لتعاونية، عمان- الأردن ط1، 2002م، ص10.

(3) سعيد الحنيدرى: تطور تجار القوافل في ولاية طرابلس الغرب (1835- 1911)، أعمال الندوة الثامنة، 9-27-26، 2005، مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005ن ص 706 .

(5) سالم أحمد ميهوب القطعي : البنية الاقتصادية لمدينة اغدامس واثرها على تجارة القوافل الصحراوية خلال القن التاسع عشر الميلادي . كلية الاداب جامعة سبها – 2010 م رسالة ماجستير غير منشورة ، ص53 .

(4) وثيقة غير منشورة، بتاريخ 1870 شعبة الوثائق والمحفوظات ووثيقة رقم 187، مركز جهاد الليبي طرابلس.

التأكد من محتواه يتم الرجوع إلى السجل الرئيسي الذي لدى التاجر يحتفظ به وكذلك من التنظيمات التي تخضع لها القافلة الدليل أو المرشد والذي يعتبر عنصراً هاماً في ربط مناطق الشمال بالجنوب فهو ملم فيما يتعلق بأمور الطرق والمناخ والتضاريس ومعرفة مصادر المياه وتفادي الكثبان الرملية وكان من أمثال هؤلاء الأدلاء والخبراء بالطرق الحاج محمد باباني(*) الذي رافق الرحالة جوردون لاينج(*)[1] في رحلته إلى تمبكتو وكان لأبناء القبائل التي انتشرت على طرق تجارة القوافل دور هام في هذا المجال ومنهم قبيلة الطوارق وغات وغدامس والتبو في مدينة مرزق فقد كانوا يرافقون التجار في العبور إلى مناطق الشمال والجنوب والعكس[2] .

كما تحتوي القافلة وخاصة ذات العدد الكبير على حراس ومهمتهم حماية القافلة من أي أخطار كذلك عدد من الكتاب ومهمتهم تحرير عقود البيع والشراء والوفاة إذا ما توفي[3] أحد في القافلة فتحضر ممتلكاته ويتم تقيمها عند عودة القافلة كما تضم القافلة عدداً من الفقهاء مهمتهم إمامة الناس في الصلاة وإعطاء الدروس في المواعظ والإرشاد، وإصدار الفتاوي وفض المنازعات بين أفراد القافلة[4].

كان التجار يقدمون رسوم مرور (الإتاوات) للعديد من المحطات التي يمرون بها ويسوقون فيها بضائعهم وغالباً ما تدفع كسلع إلى تلك البلاد[1].

(*) محمد باباني : من تجار غدامس الذي أقام في مدينة تمبكتو حوالى 20 سنة كون فيها تجارة واسعة وكان له مكانه عند حاكم طرابلس يوسف باشا القرمانلى وهو الخبير والدليل الذي وعد بتوصيل الرحالة لاينج الى تمبكتو في فترة قصيرة . عبد الحميد الهرامه : من الرسائل الليبية بين مخطوطات تمبكتو ، مجلة الوثائق والمخطوطات ، ع 1988 ، مجلد 3 ، ص 112 – 113 .

(*)[1] الكسندر جور دون لاينج : ولد آدنبره 1793 ، وعمل في الهند الشرقية وكان متقف وضابطاً بالمستعمرات البريطانية ، ثم انتقل الى مستعمرة السيراليون ، ثم ساحل العاج ، وقد قام بمهمات كبيرة ذات طابع جغرافي ، اظهرت صيفاته ومواهبه كمكتشف . موري اتيليو :الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا ، منذ مطلع التاسع عشر حتى الاحتلال الايطالي ، ترجمة : خليفة محمد التليسي ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس ،ليبيا ، 1971 ، ص38 .

(2) سالم أحمد ميهوب القطعي : البنية الاقتصادية لمدينة اغدامس واثرها على تجارة القوافل الصحراوية ، المرجع السابق ، ص53 .

(3)ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة . المصدر السابق، ص55.

(4)أبو سالم عبدالله محمد بن أبي بكر التكروري : دراسة في آداب الرحلات عند علماء أفريقيا فيما وراء الصحراء، تحقيق وتقديم الهادي المبروك الدالي، ط1، 2004م، ص14.

(1) احمد سعيد الفيتوري ليبيا وتجارة القوافل ، المرجع السابق ، ص11 ، 12 .

يذكر ابن بطوطة بقوله "ووصلنا بلاد هكار وهم طائفة البربر ملثمون لأخير عندهم ولقينا أحد كبارهم، فحبس القافلة حتى غرموا له أثواباً وسواها[2] كما يذكر ابن حوقل عن مدينة أجدابيا بقوله : "واليها القائم عليها وله وراء ما يقبضه للسلطات لوازم على القوافل الواردة من بلاد السودان"[3].

يتضح مما سبق ذكره أن التجار كانوا يحرصون على تقديم الرسوم والهدايا لرؤساء القبائل لتسهيل مرور سير قوافلهم بالرغم من أن هذه الضمانات التي تقدم لا تقتصر على التجار والحركة التجارية وحدها بل أخذت كثير من السلطات التي كانت بهذه الطرق والتي تعبرها القوافل التجارية على تحسين العلاقات مع بعضها البعض من حيث تبادل السفارات والهدايا وتحسين العلاقات السياسية فما بينهم. ولهذا نجد أن سلاطين مملكتي كانم وبرنو لهم علاقات حسنة مع الدولة الحفصية بشمال أفريقيا وذلك لمواجهة أي خطر تتعرض له الحركة التجارية في تلك الآونة[4].

---

(2) ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة، المصدر السابق، ص306.
(3)ابن حوقل : صورة الأرض ، المصدر السابق، ص70.
(4)ابن خلدون : العبر، ج6، المصدر السابق، ص25.

الفصـــل الثـــاني

التجارة بين مدينة طرابلس وما جاورها

1- التجـارة .

2- التجارة بين مدينة طرابلس وما جاورها .

3- الأسـواق .

4- أهم أسواق ولاية طرابلس .

(أ) سوق الرحبة (ب) سوق الغنم . (ج) سوق القزدارة

(د) سوق الربـاع . (هـ) سوق الترك

5- الأسواق الإسبوعية .

6- الأسواق الشهرية أو الموسمية .

7- فئات التجار والوسطاء في التجارة الداخلية .

8- النُزل .

9- الموازين والمكاييل .

التجـــارة :

كان للتجارة مكانة هامة في اقتصاد ولاية طرابلس وفي معيشة سكانها، فموقع طرابلس حدد لها دوراً تجارياً، مما جعل أهالي المدن المجاورة لها يتجهون لممارسة مهنة التجارة.

وقد ساعد الموقع الاستراتيجي لولاية طرابلس أن تلعب دوراً الوسيط بين الممالك السودانية جنوب الصحراء وبين أوروبا والعالم الخارجي عبر البحر الأبيض المتوسط والواحات الموجودة في صحرائها معتمدة على إقرار خطوط تجارية داخلية وخارجية والتي كانت تمثل البعد الاقتصادي للبلاد، خاصة وأن هنالك روابط تجارية تجمع بين الشمال والجنوب عرفت منذ وقت ولقد عرف عن القبائل الليبية مزاولة مهنة التجارة كقبيلة هوارة وبعض قبائل المجابرة(*) والزوية والغدامسيين والزويليين الذين كانوا يتبادلون البضائع والسلع مع التجار الأوروبيين وبلاد المغرب والسودان والمشرق وكان لها دور هام في المعاملات الاقتصادية[1]. إضافة إلى الجاليات اليهودية الموجودة في طرابلس والمدن الليبية الأخرى كان لها دوراً في النشاط الاقتصادي لولاية طرابلس فقد كانوا يزاولون التجارة على نطاق داخل البلاد أو خارجها[2].

فضلاً عن التجار المسيحيين والأتراك الذين يقومون بشؤون التوريد والتصدير في الموانئ الليبية ومنها ميناء طرابلس ومصراته كذلك عن العديد من الرحالة المسلمين الذين يمرون بطرابلس الغرب في رحلتهم بين الأقطار الإسلامية في المشرق والمغرب ويقومون بتصريف بضائعهم التي يحملونها وكذلك السودانيين الذين يتجولون لبيع وشراء البضائع (باعة متجولون) ولا شك أن الأنشطة الاقتصادية في ولاية طرابلس تتأثر وترتبط بالإنتاج المحلي وعلى التجارة الخارجية خاصة مع جنوب الصحراء، إضافة إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي لها تأثيرها السلبي

(*) قبائل المجابرة :هم من القبائل العربية التى تسكن واحة جالو احد واحات برقة ولكثرة تجارتهم مع بلاد السودان منذ وقت طويل، وكثرة تزاوجهم بالسودانيات اسمرت بشرتهم . الطاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 86 .

(1) صالح الصادق السباني :ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية من القرن السادس، العاشر الهجري، الثاني عشر- السادس عشر الميلادي، منشورات مركز جهاد الليبيين والدراسات التاريخية، طرابلس ليبيا، 2006، ص 378 – 379 .

(2) سليمان احمد حسين : تجارة المدن والوحات الليبية خلال القرنين التامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، منشورات المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس – ليبيا ، ص 361 -362 .

والإيجابي على هذه الأنشطة في الفترة المبكرة من موضوع الدراسة واهتمام الدولة الحفصية في تونس كذلك ففي القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي . كانت مدينة طرابلس تابعة لها وتعج بالنشاط التجاري وحققت نجاحاً كبيراً وكذلك بعد الأتراك والقرمانليين[*] الذين سيطروا على مدينة طرابلس فقد أهتموا بالنشاط الأقتصادي وخاصة البرى أو البحري[1]. وأن نشاط التجارة في مدينة طرابلس ينقسم إلى قسمين تجارتها داخلية (وهي بين مدينة طرابلس وما جاورها) وتجارة خارجية .

التجارة بين مدينة طرابلس وما جاورها :

قبل الحديث عن هذا الموضوع هنالك عدة تساؤلات تتردد إلى الذهن حول هذا الجانب منها:

في ماذا كانت تتمثل التجارة الداخلية، وماهي النظم المتبعة فيها؟ وماهي أهم السلع المتداولة؟ ومن هم الذين يعملون بهذه المهنة؟ وما هي أهم العملات السائدة في البيع والشراء ؟

الأســـواق :

لقد شكلت الأسواق عصب الحياة الاقتصادية في ولاية طرابلس وهي المتجسدة في التجارة الداخلية لطرابلس التابعة للحفصيين وكذلك بعض المدن الليبية الأخرى.

كانت أسواق مدينة طرابلس والمدن الليبية كبنغازي ومصراته وسرت الخمس وزليطن وجادو وزويلة وغدامس ومرزق وغات ذات نشاط تجاري واسع وشهرة كبيرة

---

[*] القرمانليين : هي اسرة حكمت طرابلس وكان مؤسسها الاول أحمد باشا القرمانلي : ليبي المولد ، يرجع اصله الى مدينة أو منطقة قرمان في الجزء الغربي من الاناضول جاء الأعلى الى طرابلس في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي مع وصول الافواج الاولى من الانكشارية في عهد درغوث باشا ، واستقر بضاحية المنشية حيث تملك بستانا بها ، وتزوج من سيدة عربية واخذ هو وخلفاؤه يشاركون في الحياة العامة ، ويتقلدون مختلف المناصف في السلك العسكري خاصة في اسرة الكول أوغلية ، وتحصل يوسف القرمانلى على منصب باشي آغا ، ثم خلفه ابنه أحمد في هذا المنصب ، ونتيجة حدوث الفوضة والاضطرابات وضعف الولاة استطاع احمد باشا القرمانلى الوصول الى الحكم وتأسيس الاسرة القرمانلية التى حكمت من 1711 الى 1832 م ، ابن غلبون : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها الاخبار ، تعليق وتصحيح ، الطاهر احمد الزاوي ، المدار الاسلامي ، بيروت – ليبيا ، 2004 ، ص 161 – 217 .

[1] صالح الصادق السباني: ليبيا أثناء العهد الموحدي الحفصي، المرجع السابق، ص 378 .

منذ الفترة الإسلامية المبكرة فقد كانت أسواق طرابلس مركزاً للتجارة تتجمع فيها السلع والبضائع الأوروبية والإفريقية والمنتجات الزراعية والصناعية للمدن الليبية[1].

في هذا الصدد يذكر ابن حوقل أهمية مدينة طرابلس حيث قال: " وهي مدينة بيضاء من الصخر الأبيض على ساحل البحر، خصبة، حصينة، ذات ربض[*]، صالحة الأسواق وكان لها في ربضها أسواق كثيرة، وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة كالخوخ والفرسك[*1] والكمثرى الذين لا شبيه لهم بمكان وبها الجهاز من الصوف المرتفع وطبقات الأكسية الفاخرة الزرق والكحل النفوسية[*2] السود والبيض الثمينة[*3] إلى مراكب تحط ليلاً ونهاراً وترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحاً ومساءً، من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم وأهلها قوم مرموقون ويتميزون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض والثياب والأحوال[2] .

يتضح من هذا النص أن مدينة طرابلس كانت حصينة كبيرة ذات أسواق صالحة بداخلها وبضواحيها وأن ضواحي هذه المدينة خصبة كثيرة الثمار والفواكه والتي لا يمثلها شي في بلاد المغرب وكثيرة، كما أنها تشتهر بالأكسية الصوفية المختلفة والتي ترد عليها من المناطق المجاورة كما أنها تمثل مركزاً بحرياً هاماً نشطاً منذ العهود الإسلامية الأولى حيث لها صلاتها مع المشرق والمغرب والسواحل الشمالية من البحر الأبيض المتوسط كما أن سكانها معروفين بحسن الخلق والطيبة والتجمل في اللباس والنظافة .

إن الأسواق التجارية التي كانت سائدة في مدينة طرابلس والمدن المجاورة لها ثلاثة أنواع :

---

(1) اليعقوبي : تاريخ البلدان المصدر السابق ، 343 .

(*) ربض : ضاحية أو مكان أو حي من احياء المدن أو المدينة . ابن منظور، لسان العرب المحيط، مج2، د.ت، ص270.

(*)1 الفرسك : تفاح الدب – تفاح فارسي – ثمرة فارسية وهو الاحمر من الخوخ . ابن حوقل : صورة الارض ، المصدر السابق ، ص85 .

(*)2 الكحل النفوسية : يطلق على الكحل الذي تستعمله النساء للتجميل العيون وهذه المادة تعرف باسم (تازولت) تقوم بصنعتها وتحضيرها النسوة متخصصة خاصة في جبل نفوسة غرب مدينة طرابلس وأن لكحل النفوسية مكانة في العالم الاسلامي فلقد كان اهالي نفوسه من المصدرين الرئسيين لهذه المادة للعالم الاسلامي ، المصدر نفسه ، ص 86 .

(*)3 السود البيض الثمينة : هى خواتم من الذهب الابيض والالماس واللؤلؤ الابيض والاسود ، ابن حوقل : المصدر السابق ، ص 87

(2) المصدر نفسه ، ص 85 .

النـوع الأول : وهـي الأسـواق اليوميـة التـي كانـت موجـودة بصـفة دائمـة فـي ولايـة طرابلس وغيرها من المدن فكانت تعج بضروب السلع يتم تسويق البضـائع أساساً من خـلال أصـحاب الحوانيت الصـغيرة[1] والـدكاكين التـي يمـارس مـن خلالهـا النشـاطين التجاري والصناعي أي إزدواجية في وظائفها وعلى سبيل المثال كدكاكين بيع أردية الحرير والأحذية حيث يقومون بتصنيع تلك الأصناف ومن ثم بيعها [2].

كانت طرابلس تمثل مركزاً للتجارة الإفريقية والأوروبية والمشرقية وتتجمع فيها منتجات القرى والمدن والواحات المجاورة من التمور والحبوب والجلود والحيوانات والأصواف والألبان ومشتقاتها والفواكه والزيوت والحلفا[*] كانت كل هذه السلع وغيرها ترد إلى أسواق طرابلس المحلية ويتم تسويقها في المدينة وإلى كافة المناطق الأخرى من قبل الأسواق المحلية[3] .

وقـد مـرت الأسـواق فـي مدينـة طـرابلس بعـدة مراحـل وفتـرات زمنيـة متعاقبـة تعرضت خلالها للبناء والتوسع ، ومن الأسواق اليومية التي كانت موجودة في ولاية طـرابلس السـوق الكبيـر والـذي بـداخل السـور وهـو عبـارة عـن مجموعـة مـن المتـاجر الصغيرة التي تفتح أبوابها للمعاملات التجارية يومياً في مدينة طرابلس[4].

فقد قسمت هذه الأسواق حسب البضاعة التي تروجها هذه الأسواق حيث قسمت إلى متاجر ودكاكين لكل منها اختصاصها التجاري وغالباً ما كانت تسمى باسم البضاعة أو الحرفة[1].

ويبـدو أن الأسـواق فـي مدينـة طـرابلس صـممت حسـب أهميتهـا وحاجـة السكان الملحة وهنالك الأسواق الداخلية وأخرى خارج أسوارها.

---

(1)عثمان محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، (128) 1988م، ص 252 – 258 .

(2) حسين سليمان محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر (مؤسسة سجل العرب) اشراف / ابراهيم عبدو ، 1964 ، ص 79-80 .

(*) الحلفا : هذا النبات ينمو تلقائيا فهو من النباتات البرية التى توجد في العديد من المدن الليبية وخاصة الشمالية والشرقية ويصدر من طرابلس الى اوروبا ويدخل في العديدة من الصناعات ومنها الورق . فرانشسكو كورو : ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ، المرجع السابق ، ص 85 .

(3) عثمان محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، المرجع السابق ، ص 258 .

(4) أحمد سعيد الفيتوري: ليبيا وتجارة القوافل، الإدارة العامة للآثار، 1972م، طرابلس، ص 12 .

(1) سعيد حامد : مجلة التراث الشعبي ، المرجع السابق ، ص 120 .

وتجري معظم العمليات التجارية في هذه الأسواق حيث يجلب سكان الريف إنتاج مزارعهم (بيض، دجاج، التمور خضروات فواكه، صوف وحبوب، ويبيعون إنتاجهم إلى الأفراد أو الوسطاء، لكي يشتروا احتياجاتهم المختلفة، مثل الشاي والسكر والملابس وأشياء مخصصة بسيطة[2].

ومن أهم أسـواق ولايـــة طرابلس:

أولاً سوق الرحبة:

وهو من أقدم الأسواق في مدينة طرابلس يتم فيه بيع الحبوب بمختلف أنواعها كالقمح والشعير والذرة والفول والتمور[3]، وكذلك الحرارات[*] ومنها الفلفل والبزار[*1]
.

ثانياً سوق الغنم (موقف الغنم):

وهو من أقدم أسواق مدينة طرابلس يقع بالقرب من الرحبة وباب هوارة وجامع عمرو بن العاص ويعرف بموقف الغنم . وقد ذكره التجاني في رحلته سنة 706-708 هـ/1210 - 1211م فقال :"باب يعرف بباب هوارة وبين داخل المدينة بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم يبيعون بها أغناهم ومواشيهم"[4]. كما ذكره أبو يحيى بن مطروح الذي كان حاكماً لطرابلس أكثر من أربعين سنة في قصيدة له ذكر فيها بلوغه الشوق والحنين إلى وطنه وهو يتأمل "الرحبة" وموقف الغنم أمام شاطئ الإسكندرية فقال: " الوقفة عند باب البحر ضاحية باب هوارة وموقف الغنم آشهى إلى نفس من دير الزجاج[*] ومن كسر الخليج[*1] وشاطئ بركة الخدم [*2] [1].

---

(2) سالم علي الحجاجي: ليبيا الجديدة، ط1، طرابلس، 1989م، ص 20 .

(3) هذه المعلومة من الأستاذ سالم سالم شلابي الباحث بمشروع تنظيم المدينة القديمة وهو من مواليد هذه المدينة وعاش وترعرع في أزقتها وشوارعها العتيقة .

(*) الحرارات : هي مجموعة من التوابل التى توضع في الطعام .

(*)1 البزار : ما يعرف بالكركم وهو (العصفر) أي نوع من التوابل

(4) سعيد حامد : مجلة التراث الشعبي، المرجع السابق ، ص 113 .

(*) دير الزجاج : يقع دير الزجاج على ربوة (تل مرتفع) في منطقة نائية من العمران في طريق مرسى مطروح الصحراوي ، بعد الاسكندرية على مسافة 45 كلم وكانت توجد فيه كنيسة باسم القديس يوسف البار سنة 568 م، القمص ميخائيل جرجس: اليوبيل الفضي : السجل التاريخي لقداسة البابا شنودة الثالث ، ج1، 1996 ، ص426 .

ثالثاً: سوق القزدارة :

وهو سوق حرفي لصناعة الأواني النحاسية وتسويقها وجلي وتبييض الأواني النحاسية بالقصدير ويقع هذا السوق بميدان الساعة والقزدارة[2] نسبة إلى مادة القزدير الذي يستعمل فيجلي الأواني وتجديدها ويتم صناعة الأواني النحاسية كالقدور والأطباق والحلل الكبيرة(القصاع) كذلك الأدوات النحاسية التزينية كمصبات القهوة والأباريق ومناقل الفحم وغيرها .

رابعاً: سوق الرباع القديم :

أنشأ محمد باشا الساقزلي[(*)3] خلال فترة حكمه (1059 – 1083هـ / 1649–1672م) أول سوق مغطاة[(*)4] اشتهر باسم سوق الرباع القديم أو الربع[3] ولم يضف له صفة القديم الا بعد إنشا أحمد باشا القرمانلى سوق الرباع الجديد المعروف بسوق (اللفة)، والرباع جمع ربع وهي دار مخصصة لسكنى العزاب وهي ملاصقة لهذا كما أن هذا السوق يقوم بتوفير الراحة للتجار ولتمكينهم من تخزين بضائعهم بمنحى من الشمس والمطر فيجلس الباعة في زواياهم الصغيرة لبيع منتوجاتهم[4] ويقال إنه في هذا الموقع كان هنالك سوق يسمى الأربعاء في زمن ما[5].

[(*)1] كسر الخليج : هو يوم معظم لدى النصارى القبط وهو أول يوم من شهر (توت) يوافق منتصف سبتمبر ، قال بعض المفسرين : يوم الزينة المذكور في القرآن "قال موعدكم يوم الزين، سورة طه ، الاية 59 ، المرجع نفسه ، ص427 .

[(*)2] بركة الخدم : يقصد بها عند النصاره أن الله منح البركه للادم وحواء وقال لهما " اثمرا واكثرا واملا الارض ولتكن حشيتكم على كل طيور السماء واسماك البحر وعلى ما يدب على الارض أي اعطاهم البركة في الكثره وايضا السلطة والهيبة ، المرجع نفسه ، ص429.

([1]) التجاني : رحلة التجاني، المصدر السابق، ص 706 إلى 708 .

([2]) حسن الفقيه حسن : في اليوميات الليبية، ج1، 958 – 1248هـ/ 1551 – 1832م، تحقيق محمد الأسطى وعمار حيدر، طرابلس، ليبيا، ص 445 .

[(*)3] محمد باشا الساقزلي : كان محمد ابنا لأبوين يونانيين مسحيين ، اشتغل بالتجارة بعد ان امتلك مركبا توجه للتجارة في الجزائر فوقع في شجار مع احد الاتراك فقتله ، فخير بين العقاب أو اعتناقه للاسلام ، فاختار الاسلام وتوجه نحو طرابلس لمتاجرة فلفت الانظار لجرآته وشجاعته فتقرب من الوالى رمضان داي الذي تنازل له عن الحكم ، فاصبح محمد الساقزلي في عمر 24 عاماً من اقوى الدايات الذين حكموا الولاية في العهد العثماني الاول ، ابن غلبون : التذكار ، المصدر السابق ، ص 154 – 155 .

[(*)4] مغطاة : مسقوف. سالم علي الحجاجي: ليبيا الجديدة، مرجع سابق، ص 24.

([3])إيثوري روسي: ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى 1911م، ترجمة خليفة التليسي، دار الثقافة بيروت لبنان، ص 350 – 351 .

([4]) كاوبرهـ س، مرتفع الأهات الجمال، ترجمة أنيس زكي حسن، ط1، مكتبة الفرجاني، (د.ت)، ص 46 .

([5]) نفس المرجع، ص 47 .

خامساً: سوق الترك:

ويرجع إنشا سوق الترك إلى عهد محمد باشا الكرادغلي[*] (1099 – 1113هـ /1687– 1701م) حيث يعتقد أنه بناه ملاصقاً للجامع المعروف باسمه[1].

بالرجوع إلى بعض المصادر يتضح وجود هذا السوق قبل الفترة المشار إليها فيذكر ابن غلبون أنه إبان الثورة التي قامت ضد عثمان باشا الساقزلي في سنة 1073 هـ – 1662م دخل الثوار سوق الترك وأمروا بفتح دكاكينه وإضاءته[2] ، لذلك فإن محمد باشا اقتصر على تجديد مبنى السوق وتحسينه في سنة1112هـ 1700م[3]. كان هذا السوق مبنى على أربعة أجنحة تلتقي في تقاطع تتناسب تلك الأجنحة مع الدكاكين والحوانيت المبنية على كل جانب منها وتحتوي على كل نوع من البضائع، ويوجد في الوسط الطريق الذي يمر به المشترون وبعض أجزاء هذا المكان مظلم تقريباً . إضافة إلى سوق (البزار) فهو أصغر بكثير وليس فيه دكاكين أو حوانيت دائماً يجلب إلى هنا العبيد السود من الرجال والنساء لبيعهم ويعتبر هذا السوق من الأسواق الرئيسية للنخاسة في طرابلس[4].

وكذلك سوق ميدان الحلفاء وسوق العنبر وسوق العطارين وسوق الخبز وغيره من الأسواق اليومية في مدينة طرابلس ولا شك أن هذه الأسواق اليومية التي توجد في مدينة طرابلس تماثلها العديد منها في المدن والواحات الليبية الأخرى ومنها سوق مرزق التجاري وتعتبر مدينة مرزق مركز تجاري كبير ويتم فيه تبادل المصنوعات

(*) محمد باشا الكرادغلي : هو والى تركي في طرابلس في الفترة من (1099 – 1113 هـ / 1678 – 1701 م) ويدعى بالكرادلي والقازدغلي – والمشهور بشايب العين قام بتأسيس سوق الترك ليوقفه على جامعُه (جامع شائب العين) وليكون مورداً ثابتا له ينفق منه على صيانة وترميم الجامع وكذلك للصرف منه على رواتب الائمة والوعاظ والمؤذنين بالجامع ، الطاهر أحمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، ص164 – 167 .

(1) حسن الفقيه حسن: اليوميات، المرجع السابق، ص 185 .

(2) سعيد حامد: تجارة الأسواق، المرجع السابق، ص 120 ، 121 .

(3) ابن غلبون : التذكار، المصدر السابق، ص 154. - إيثوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي، المرجع السابق، ص 262 .

(4) توللي، عشرة أعوام في طرابلس، ت عبد الجليل، دار ليبيا للنشر، بنغازي، 1973م، ص 263 .

الأوروبية وكافة السلع القادمة من الشمال بالذهب وريش النعام والشب الأحمر والعاج والرقيق[2].

كما توجد محلات لبيع الفلفل الأحمر وبذور الرمان الذي يستخدم كدواء وكذلك الحبوب والبقوليات والقطن والأبر والأساور الرقيقة والكبريت ... إلخ[3].

إضافة إلى أسواق مدينة غدامس وغات والجفرة والكفرة ويبدو أن هذه الأسواق كانت نشطة ومزدهرة خلال فترة الدراسة رغم قلة البيانات والمعلومات عن بعض المدن والمناطق لأن المعلومات التي وجدت في كتب الرحالة والمؤرخين والجغرافيين كانت عبارة عن تلميحات وإشارات عابرة خاصة المناطق الداخلية والنائية[4] .

أصبحت طرابلس ترتبط بالمدن الليبية بروابط تجارية ومنها مدن إقليم فزان حيث تستورد طرابلس من فزان، السنا[*]، وطرون[*][1]، والشب وريش النعام والجلود وكذلك الرقيق. وفي المقابل يورد العرب من شمال طرابلس وضواحيها إلى مناطق دواخل فزان الخراف وزيت الزيتون والسمن من جبال غريان والقمح والشعير والأواني والأكسية الصوفية والملابس ولاشك أن هذه السلع يتم استبدالها بالسلع والبضائع الواردة من بلاد السودان والعبيد وتمور فزان [1].

وكذلك أسواق بنغازي ودرنة وأجدابيا والتي تكثر فيها الحبوب والقمح والشعير والحيوانات والأبقار والماعز، إضافة إلى بعض المنتجات الزراعية كالفواكه والخضروات والعسل في كل من مدينة سرت ولبدة وأن كافة هذه السلع يتم التبادل

---

(2) احمد سعيد الفيتوري : ليبيا وتجارة القوافل ، المرجع السابق ، ص12 – 13 .

(3) ادوارد رأى: المغرب العربي، ترجمة مصطفى محمد جودة، دار مكتبة الفكر، ليبيا، 1977، ص 96 .

(4) أحمد سعيد الفيتوري : ليبيا تجارة القوافل ، المرجع السابق ، ص 13

(*) السنا : السنامكة ، هو نبات بري يستخدم كعلاج عشبي للمعدة . الحافظ عبد الكريم سليمان: الدور السياسي والحضاري لفزان في القرن الثامن الهجري، مرجع سابق، ص 124.

(*)[1] الطرون : نسبة لمادة العطرون والملح الذي يستخرج ويباع بأثمان غالية . حيث يستخدم في طهي بعض الاطعمة وكذلك للحيوانات . محمد بن عمر التونسي : تشحيد الادهان ، المصدر السابق ، ص 51 .

(1) محمد المدني الحضيري: مجلة البحوث التاريخية لمركز الدراسات جهاد الليبيين، العدد الأول، 1979م، ص 120 .

بها بين المدن والواحات الليبية والفائض يتم تصديره عبر البحر أو إلى مصر خاصة من الجهة الشرقية. [1]

ثانيــاً: الأســواق الأسبوعيــة :

وهي التي تعقد في أيام محددة من الأسبوع، وهذه الأسواق الأسبوعية عادة ما تكون في المدن والقرى والواحات البعيدة عن طرابلس وذلك لكي توفر حاجات السكان في تلك المناطق . في الوقت الذي تقوم بتزويد ولاية طرابلس بكل ما تحتاجه من سلع لتجارتها الداخلية وهذا إن دل إنما يدل على أن هنالك حركة تجارية نشطة بين مدينة طرابلس والمدن والواحات الأخرى سواء في مناطق الشمال أو في جنوب ليبيا[2].

ويبدو أنه لولا المنتجات المختلفة للمدن والواحات والقرى لما نجحت وتقدمت التجارة الداخلية بين ولاية طرابلس والمناطق الأخرى، وأن هذه الأسواق الأسبوعية التي تظهر خلال الأسبوع خلقت نوع من التكامل الاقتصادي على المستوى المحلي – فقد يجلب الزيت والصوف والسمن والأغنام من منطقة بني وليد وغريان إلى سوق الجمعة أو سوق الثلاثاء وكذلك تورد الاكسية والملابس والأواني وأدوات الزينة من مصراته إلى مناطق فزان ويجلب منها التمور. كما نجد العديد من السلع التي تورد إلى طرابلس من أسواق المدن والواحات من خلال الأسواق التي توجد بالقرب من مدينة طرابلس في الوقت التي تساعد هذه الأسواق على سكان المناطق الأخرى تصريف منتجاتهم [3]. ومن هذه الأسواق سوق يوم الاثنين وهي الأيام التي يباع فيها نبات الحلفا وكان التجار بعد أن يبيعوا إنتاجهم ويأخذوا أثمانها يقضون باقي الأسبوع بطرابلس ليشتروا ما يحتاجونه من بضائع[4].

([1]) محمد سعيد الفيتوري: ليبيا وتجارة القوافل، المرجع السابق، ص 14 .

([2]) ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس : المصدر السابق ، ص141 .

([3]) برنشفيك : (روبار): تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إل القرن 15 م، ترجمة حماد الساحلي، لبنان، دار المغرب الإسلامي، مطابع ثروت، ط1، 1988م، 2، ص 174 .

([4]) انتوني كاكيا: ليبيا خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 127 .

وكذلك يوجد سوق الثلاثاء بطرابلس الذي يعقد في فضاء مكشوف واسع وراء المدينة على طول الشاطئ العريض، ويظهر فيه ملخص حياة المدينة تقريباً، وتحشد على أطرافه الحيوانات حيث تباع الجمال وقطعان من الماعز والعجول والخراف والحمير والفيلة الصغيرة [1]. إضافة إلى سوق جنزور بضواحي طرابلس هو من الأسواق الأسبوعية والذي يقام كل يوم جمعة، يأتيه الناس من مختلف الأرجاء، ومن مختلف القبائل الليبية فيباع فيه جميع ما يجلبونه من منتجات علماً بأن أهل جنزور من قبيلة هوارة وهم أغنياء وأموالهم وعقاراتهم كثيرة ولذلك يقيمون أسواق عديدة يقصدها كل الناس. ولقد ظل سوق جنزور يمد طرابلس بالمصنوعات الحرفية والفواكه حتى الفترات اللاحقة [2].

وأيضاً سوق بني وليد الذي يعقد يوم الخميس. ويتوفر فيه كل احتياجات المدينة وكل بواديها وكذلك من الأسواق الأسبوعية أيضاً سوق يفرن الذي يفد إليه الناس من أعراب زناتة[*] لتزويد بما يحتاجون إليه من بضائع.[3]

ثالثاً : الأسواق الشهرية أو الموسمية :

بالإضافة إلى الأسواق الأسبوعية، كان ثمة أسواق شهرية موسمية يتم التسويق فيها، وقد ذكر البكري: "إن به سوق جامعة ثلاث مرات في السنة وهو وقت اجتماعهم في شهر رمضان وفي شهر ذي الحجة وفي عاشوراء" [4].

يتضح من هذا النص أن السوق كان يعقد خلال ثلاث مناسبات دينية هامة في السنة، وقد تكون هذه التظاهرات الاقتصادية التي تحدثها هذه الأسواق مرتبطة

([1]) مابل لومسي جود: أسرار طرابلس، ط1، طرابلس ، 1968م، ص 144 .
([2]) التجاني : رحلة التجاني، المصدر السابق، ص 216 .
([*]) اعراب زناته : هي من القبائل البربرية التى تنتشر من طرابلس حتى جبال الاوراس وتستمر بعد ذلك بجبال الزاب حتى وادي ملوية (الحد الغربي للجزائر) وكانت تنقسم الى ثلاثة مجموعات جراوه ومغراوه وبنى يفرن ولقد عرف الزناتيون كيف يقدمون خدمات ملحوظة للمسلمين فطارق بن زياد الفاتح الاول لاسبانيا في عهد الامويين كان من قبيلة زناته . الادريسي : نزهة المشتاق ، المصدر السابق ، ص 213 .
([3]) مارمول كربخال: أفريقيا، ترجمة محمد حجي محمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، الرباط، مطابع المصارف الجديدة، 1989م، ص 143 .
([4]) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية المغرب، المصدر السابق، ص 111، 112 .

بالمناسبات والأعياد الدينية حيث تقام بالاتفاق مع بعض المزارات أو الزوايا كزاوية أولاد سنان[*]غرب مدينة طرابلس حيث يقوم الأهالي بتنظيم سوق موسمية ضخمة لبيع وشراء البضائع، ويتوافد عليها الناس في هذه المناسبات كشهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى وعاشوراء والمولد النبوي وكذلك موسم الحج الذي كانت قوافله تمر من طرابلس إلى المشرق قادمة من المغرب الأقصى والأوسط وبلاد السودان[1].

لا شك أن قيام الأسواق الموسمية يحدث وفرة في المواد التجارية الاستهلكية وخاصة الزراعية كالحبوب والزيت والتمور، وبعض المواد الأولية كالصوف ومن المعروف أن إنتاجها يرتبط بفترات ومواسم معينة، ولذا تجد هذه التجارة التي ترتكز على هذه المواد تكون وفق هذه المواسم[2] . ومن هذه الأسواق الموسمية سوق مرزق الذي يعقد في موسم جني التمور ووصول القوافل التجارية إلى مدن فزان وأن هذه الأسواق تحدث داخل المدن وخارج أسوارها[3] .

ومن شهر أكتوبر حتى فبراير من كل سنة تصبح مرزق وكافة مدن فزان سوقاً كبيرة حيث تصل القوافل القادمة من مختلف الجهات سواء من مصر وبنغازي ومن طرابلس ومدن الشمال وكذلك من بلاد السودان حيث يتم استبدال تلك السلع المختلفة من الملابس والمنسوجات الصوفية والحريرية والأواني والبنادق والقماش مع سلع بلاد السودان التمر والعاج النيلة والزعفران[*] حيث يقوم تجار الشمال بشرائها ونقلها إلى طرابلس والفائض ينقل إلى أوروبا والبلدان الأخرى[4].

(*)زاوية أولاد سنان : وهي المعروفة الآن باسم الزاوية الغربية، وتبعد عن طرابلس 43 كلم إلى الغرب منها ، التجاني: رحلة التجاني، المصدر السابق، ص 214 .

(1) برنشفيك : (روبار) تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، المرجع السابق، ج2، ص 246 .

(2) ليون، فرنسيس: الرحلة من طرابلس إلى فزان، ترجمة مصطفى جردة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1976م، ص 87 .

(3) تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الدار العربية للكتاب، 1988م، ص 174، 193 .

(*) الزعفران : هو نوع من النباتات التى تستخدم في مجالات عديدة خاصة في مجال الطبي والمطبخي والجمالي ، الحسن الوزان : وصف افريقيا ، المصدر السابق ، ص 106 .

(4) فريدريك هورنمان: المرجع السابق، ص 78 .

كما يشهد سوق غات وغدامس كذلك حركة تجارية في موسم الشتاء ويصل عدد الجمال بالقافلة الواحدة إلى 1000 ألف أو 500 خمسمائة جمل وربما أكثر محملة بالسلع والبضائع وكذلك الرقيق(1) .

والحقيقة أن هذه الأسواق كانت بمثابة نقطة أو محطة لتلك القوافل الصحراوية والتي كانت تمر بها لغرض البيع أو الشراء في مواسم معينة إضافة إلى الطرق التي يرتادها الحجاج في طريقهم إلى الأراضي المقدسة لاشك أن هذه الأسواق تزدهر حيث يقوم السكان المحليون بتلك المناطق بعملية البيع والشراء لركب الحجيج .

ذكر بعض الرحالة العرب المغاربة " أن أهالي التميمي(*)1 وسلوق(*)2 كانوا يحملون الحبوب والدقيق والفواكه والسمن واللحم الإبل ويقيمون لهم أسواقاً في هذه المناطق يتزود منها الحجاج بما يلزمهم ويبيعون لهم ما يحملونه إليهم"(2).

ويظهر أنه إلى جانب هذه الأسواق هنالك التجار الجوالين الذين كانت لهم القدرة على التجارة والسفر بين طرابلس وبعض المدن والواحات والبوادي وتحمل المتاعب من أجل الكسب والربح(3) .

ثانياً: فئات التجار والوسطاء في التجارة الداخلية :

لقد تعددت فئات التجار في فترة الدراسة فهنالك التجار المقيمين في دكاكينهم وحوانيتهم ويزاولون حرفة التجارة بشكل يومي، وهم أهل مدينة طرابلس المقيمين بها وهنالك نوع آخر من التجار الشركاء يقدم أحدهم رأس المال والآخر الجهد المبذول وتجري العملية التجارية بينهم ويتم تقسيم الأرباح حسب الاتفاق المسبق .

---

(1) جيمس ريتشارد سون: ترحال في الصحراء، ت: الهادي مصطفى أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1993م، ص 336 .

(*)1 التميمي : مدينة صغيرة على وادي ساحل البحر المتوسط شرقي مدينة درنة . عز الدين بن موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشروق ، القاهرة ، 1983 م ، ص 282 .

(*)2 سلوق مكان ببرقة جنوب مدينة بنغازي إلى الشرق قليلاً بنحو 51 كلم وهي بلدة عمر المختار شيخ الشهداء، قد تم إعدامه به شنقاً من قبل إيطاليا 1931م ، أمام الأهالي ولقد زرت هذه البلدة التي بها ضريح الشيخ وأسرته سنة 1989م، في رحلة طلابية من جامعة سبها.

(2) أحمد القادري: نسمة الأسى، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (1418) ورقة 117 . الناصري: الرحلة الناصرية: مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم ل 1093 ورقة 166، 167 .

(3)عز الدين بن موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 282 .

أما النوع الثالث فهم الوكلاء الذين يتخذوهم التجار الأغنياء الذين لهم كثير من التجارة ونتيجة كثرة مشاغلهم يكلفون أو يوكلون أحد التجار على متابعة تجارتهم وتصريفها في المناطق الأخرى أو مبادلتها بمنتوجات تلك المناطق[1] .

على الرغم من تعدد الإشارات في المصادر الأولية في الوكالة التجارية إلا أننا لا نعرف شيئاً عن الكيفية التي يتقاضى بها الوكلاء أجورهم.

في الوقت الذي تعتبر بعض المصادر أن هنالك وكلاء من الرقيق الذين يعملون لصالح مالكيهم من التجار[2]. ويبدو هنا مسؤولية الوكلاء كلية في هذا النوع من المتاجرة [3].

أما فما يتعلق بفئة الوسطاء في العلمية التجارية بين مدينة طرابلس والمدن والواحات الأخرى تمثل في صنف متمرس في التجارة رغم فقره وقلة إمكانيته وله الأرباح من خلال العمليات التجارية .

وهذه الأصناف هي:

أ) البراح وهو من العناصر التي توجد في الأسواق والمدن والقرى ويعتبر أحد المواطنين الذين ينادون بأسماء السلع في الأسواق ويحصلون على مبلغاً ضئيلاً نظير عملهم هذا وقد نجد في كثير من المدن الليبية أسماء عائلات البراح أو البراحية ويظهر أن أباءهم وأجدادهم وأمهاتهم كانوا يمارسون هذه المهنة.

ب) الدلالات: وهن النسوة اللواتي يحملن البضائع من التجار والأسواق إلى البيوت وهن يتقاضين أجراً عن البيع والقبض وأغلب السلع في البخور والعطور وأدوات الزينة ويتم الإقبال عليها خاصة وان كثيراً من النساء لا يخرجن إلى الأسواق.

---

(1) حسن الفقيه حسن : اليوميات، المصدر السابق، ص 369 .
(2) توللي: عشر سنوات في بلاط طرابلس، المصدر السابق، ص 173 .
(3) حسن الفقيه حسن : اليوميات، المصدر السابق، ص 221، 334 .

ج) السمسار : وهو غالباً ما يكون الواسطة في عمليات البيع والشراء وهو يأخذ نسبة 1% من البائع والمشترى كما أنه حلقة وصل بين الاثنين وغالباً ما يكون له محل ليرد[1] عليه الغرباء عن المدينة فيأتي له أهل البوادي والقرى والأرياف ويقوم بتصريف منتجاتهم في المدينة مقابل نسبة من الأرباح [2].

وفي الفترة المتأخرة من الدراسة كان أغلب السماسرة من اليهود الذين يتحيلون بحيل كاذبة ويفسدون عمليات البيع والشراء .

د) الحمالون: وهم الذين يحملون البضائع والسلع على ظهورهم مقابل أجر معروف وأغلبهم من فزان والقرى ولهم مراكز معينة في طرابلس في باب البحر والعطارين، سوق الثلاثاء وسوق الجمعة وهنالك حمالة الزيت والفحم والأسماك إلى الأسواق[3] .

النُـزُل :

شهدت مدينة طرابلس إزدهاراً واسعاً في حركة التبادل التجاري ذلك نتيجة موقعها وعلاقاتها وصلاتها مع العديد من البلدان الإفريقية والأوروبية وكذلك مع بلاد المشرق. هذا وتعتبر الأسواق من أهم المعالم التجارية لمدينة طرابلس وأن النُزُل(الفنادق) بها أحد المكملات للعملية التجارية في تلك الأسواق . فقد بدأ تأسيس العديد من النُزُل لتصبح محطات لتخزين وتسويق السلع التي تصل إلى مدينة طرابلس إضافة إلى أنها محط الرحال التجار الغرباء عن هذه المدينة وأنها مقر لعقد الصفقات بينهم وبين تجار المدينة ومقر إقامة هؤلاء الغرباء من العرب والأفارقة والأوروبيين[2].

وأصبحت مدينة طرابلس خلال العهد العثماني والقرمانلي تحتوي على حوالي 50 خمسين نُزلاً [3] ، وتشير المصادر المختلفة إلى وجود العديد من النُزُل القائمة

([1])روبار برنشفيك : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، المرجع السابق، ص 256 .
([2]) محمد الحشائشي : المصدر السابق، ص 161 .
([3]) محمد الحشائشي : المصدر السابق ، ص 163 ، 166 .
[2] سالم سالم شلابي معالم المدينة البيضاء (مدينة طرابلس القديمة ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، طرابلس ليبيا،د. ت ، ص132.
[3] فرانشسكو كورو : ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، ليبيا آثنا العهد العثماني الثاني، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس، دار الفرجاني، ليبيا، د.ت، ص 74 .

فـي المدينـة نـذكر منهـا نُـزُل الزهـر – والقرقنـي ونُـزُل جيجـة ونُـزُل القـاجيجي ونُـزُل ميزران ونُزُل أبو دتغوسة، ونُزُل بني مسعودة ونُزُل الصابري.

ويبدو أن النُزُل في مدينة طرابلس كما يتضح لم تتميز عن بعضها البعض إلا بحجمها ومساحتها أما من ناحية الشكل الهندسي فكانت واحدة فهي تشمل هذه النُزُل على دورين أو ثلاثة[4] .

ولا شك أن أهميـة هذه النُزُل من الناحيـة الاقتصـادية تبـرز مـن خـلال موقعهـا، فالفنادق القريبة من الأسواق والمراكز التجارية الأخرى تكون أكثر أهمية.

ولعل فندق جيجـه الـذي كـان قائمـاً بسـوق النعـال من هذه النُزُل حيث تشير بعض الآراء أن اسمه مشتق من اسم بلدة جيجا الواقعة جنوب نهر النيجر ويقال أن هذا الفندق كان يتم فيه تخزين البضائع والسلع الواردة من تلك البلدة والمصدرة إليها [1].

الموازيـن والمكاييل:

إن موقـع مدينـة طـرابلس التـي تتوسـط السـاحل الشـمالي والبوابـة الشـمالية لقـارة إفريقيـة جعلهـا مركـز هامـاً وبـارزاً فـي حركـة التبـادل التجـاري بـين منـاطق الشـمال والجنوب والشرق والغرب ونتيجة الازدهار الاقتصادي بهذه المدينة ظهرت العديد من النظم التي تساعد على اكتمال عملية التبادل التجاري بين مختلف المراكز التجارية الداخلية أو الخارجية وأن أهم العملات المتداولة خلال فترة الدراسة.

مثقـال[*] الذهـب :

كانت عملة مستخدمة في ولاية طرابلس وكافة المدن الليبيـة الأخرى والتـي تقدر قيمتها على أساس أسعار جميع السلع المتداولـة، حيث ترجع فـي أصلها بما يعادل

---

[4] حسن الفقيه حسن: اليوميات، المصدر السابق، ص 185 .

([1]) سعيد حامد علي : التجارة والاسواق في طرابلس عبر التاريخ ، المرجع السابق ، ص 132 .

[*] مثقال الذهب : هو 601 . 4 غرام = 24 خروبة ، الخروبة = 1917. غرام . محمد مصطفى التركي: سك وتداول النقود في طرابلس، (1551- 1911م)، طرابلس ، 1991م، ص 94.

المثقال الذهبي، وعلى أساس العملة تقدر البضاعة[1]خاصة وأن طرابلس وبعض المدن ذات علاقة ببعضها كغدامس ومرزق وزويلة والتي كانت معبراً وطريقاً لعديد من القوافل الصحراوية المتجهة للأراضي المقدسة من جنوب الصحراء كتمبكتو وسنغي[*][1] وجني فقد كان الحجاج بهذه القوافل يمرون على هذه المدن الليبية ذهاباً وإياباً ويتركون الذهب فيها مقابل الحصول على مايستهلكونه خلال فترة إقامتهم بها ويزودن به قوافلهم في رحلتهم[2].

ب) الودع : يذكر الحسن الوزان بأنه في مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر كانت أربعمائة ودعة تساوي ما قيمته أوقية واحد من الذهب، كما أصبحت قيمته غير ثابتة حيث تزيد أحياناً وتنقص أحياناً أخرى وذلك حسب وفرته[3]. ويبدو أن الودع كان أكثر استعمالاً في بلاد السودان الغربي والأوسط من طرابلس والمدن الليبية الأخرى . إضافة إلى العديد من النقود المتداولة في مدينة طرابلس والمدن الأخرى في عملية التبادل التجاري منها الليرة العثمانية (ذهب) وكان يتم التعامل بها في ولاية طرابلس وتساوي خمسة مجيديات كما يعتبر المجيدي(الفضة) ويساوي عشر قروش طرابلسية وأن القرش الطرابلسي يساوي قرشان صاغ أو قرش الصاغ مما يعادل 40 بارة[4].

وإن المحبوب (ذهب) يساوي 25 قرشا[5] أما فيما يتعلق بالعملات الأجنبية المتداولة كانت العملة النمساوية الفضية التالر (ليرة ماريا تريزا) والتي تعرف بريال

([1]) علي حامد خليفة الطيف: المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع عشر والخامس عشر الميلادين، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 2003م، ص 111.

[*][1] سنغي : تأست سنغي ، في القرن الاول الهجري / السابع الميلادي ، واستمرت في القوى والتوسع حتى القرن العاشر الهجري – الساس عشر الميلادي وتمتد حدود هذه المملكة على ضفتى نهر النيجر الى شمال داهومي (بنين حاليا) عند مدينة داندي الى الجنوب فولتا ، وتمتد حتى الاراضي الواقعة شمال غربي دولة نيجيريا الاتحادية الحالية وكانت عاصمتها انذاك –(كوكيا) على نهر النيجر الادني الى الجنوب من مدينة (جاو) التى صارت عاصمتها في العصور المتاخرة ومؤسس هذه المملكة هي قبائل السنغي وقد اختلفت المصادر التاريخية حول اهل ملوك سنغى فمنهم من يذكر انهم من اليمن وهذا راي الساعدي ومنهم من ذكر انهم من طرابلس الغرب وهذا راي زبادية وشاركه عدد من الباحثين ، عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان المصدر السابق ، ص4 .- عبد القادر زبادية : سنغي في عهد الاسيقيين (1498 – 1591) الجزائر ، الشركة االوطنية للنشر (د. ت) ، ص 25 – 251 .

([2]) عبد القادر جامي : من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، دار المصراتي للطباعة طرابلس 1974م .

([3])حسن الوزان : وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص 591 .

([4])انتوني ج- كاكيا : المرجع السابق، ص 180 .

([5]) محمد مصطفى التركي: سك وتداول النقود في طرابلس الغرب، (1551- 1911)، مرجع سابق، ص 97 .

بوطير المسكوكة في عام 1780م كما يتم التعامل بعملة أخرى نمساوية تعرف باسم (صغرين) تساوي قرشين إلى خمسين سنتاً[1] ولقد تحدث عنها الكثير حيث يذكر عبد القادر الجامي قائلاً :

"اما الريال "بوطير" وغيره من العملات الفضية والأوروبية والتركية وكذلك عملات الأسرة القرمانلية والقروش التونسية والدولار الإسباني وأن كافة هذه النقود والعملات كانت محدودية التعامل بها[2].

فقد كانت أغلب الحركة التجارية بين ولاية طرابلس ومناطق الشمال والدواخل ويتم تسويق وتصريف تلك البضائع بالمقايضة كما عرف في المعاملات أيضاً بعض وحدات الوزن كالرطل والأوقية والقيراط والقفيز والتي تقدر الويبة بثمانية أمداد بالكيل والمد يساوي أربعة ألواح بجمع اليدين .

أما المكاييل فهي تستخدم لوزن الحبوب ومنها الصاع الذي يساوي أربعة أضعاف المد والحقيقة أن هذه الموازين لا تساوي في كل المناطق بل تختلف وذلك وفق ماهو متعارف عليه [3].

([1]) غيرهاردرولفس : رحلة عبر أفريقيا، المصدر السابق، ص 363 .
([2]) رجب نصير الأبيض : المرجع السابق، ص 173 .
([3]) جون فرانسيس ليون: المصدر السابق، ص 210 .على حامد خليفة اللطيف، المرجع السابق، ص 117 – 118 .

الفصل الثالث

السلع التجارية المتبادلة بين مدن طرابلس الداخلية

1- المنتوجات الزراعية .

2- المنتوجات الحيوانية .

3- المنتوجات الصناعية .

الصـــادرات – الــواردات .

1- زيت الزيتون

2- الزعفران .

3- نبات الحلفا .

4- العسل والخضروات والفواكه .

5- التمور .

6- الصوف والجلود .

7- الأواني .

8- الأقمشة والمنسوجات .

السـلع التجاريـة المتـداولة بين مـدن طرابلس الداخليـة:

هي مجموعة من المعاملات التجارية التي حدثت داخل ولاية طرابلس والمدن الليبية الأخرى، وشملت هذه المبادلات السلع والبضائع التي كانت تنتج محلياً أو يتم استيرادها من أوروبا أو بلاد المشرق والمغرب العربي والجنوب وما وراء الصحراء .

لقد عرف عن هذه المعاملات أنها كانت تتم بواسطة عدة عوامل مساعدة ومساندة لها في العملية التجارية عبر الطرق والمسالك التي كانت تصل بين مختلف المناطق وكذلك الأسواق وانتشارها والتي لها تأثير في الحركة التجارية[1]. بل هي المراكز الرئيسية والحيوية الهامة التي تتم فيها معالجة أغلب التعاملات التجارية، وهي التي تستوعب هذه السلع أو تستهلكها أو حتى إعادة توجيهها إلى شتى مقاصد الاستهلاك.

هنالك سؤال يطرح نفسه: هل بالضرورة لهذا الرواج والانتعاش التجاري أن يتم بين مدينة طرابلس والمدن المجاورة لها ؟ وما هي السلع والبضائع التي يتم تبادلها؟ .

لا شك أن حاجة المنطقة لبعض المواد المفقودة فيها وكذلك زيادة الثروة المتنوعة بين المنتوج الفلاحي والصناعي كان له الأثر الواضح في تفعيل الحركة التجارية الداخلية . خاصة وأن مدينة طرابلس قد تميزت بموقعها فكانت مجمع التجارة الواردة من الشمال عبر البحر المتوسط ومن الجنوب بواسطة القوافل الصحراوية .

كما تأتي إليها التجارة من بلاد المشرق والمغرب العربي، ويبدو أن الطلب على السلع المتنوعة كان له دور كبير في قيام واستمرار حركة القوافل التجارية بين

(1) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 179 .

مدينة طرابلس والمدن التجارية الأخرى . وأن السلع التي تتضمنها المبادلات التجارية بين مدينة طرابلس وبقية مناطق الولاية تمثل الصادرات والواردات .

فكانت طرابلس تصدر إلى المدن الليبية الأخرى المواد المصنوعة سواء كانت محلية أو مستوردة في الوقت الذي كانت تستورد بعض المواد الزراعية أو الحيوانية . فكانت طرابلس تصدر إلى غريان الأقمشة والعباءات[1] وفي المقابل يتم استيراد الزيت .

1- زيت الزيتون :

يعتبر زيت الزيتون من السلع الهامة التي عرفت في المدن والقرى الساحلية الشمالية والذي كان ينتج ويصدر منذ زمن الرومان . وكان زيت الزيتون يرد إلى طرابلس من غريان ومسلاته وجبل نفوسة وبني وليد وزليطن . وقد عرفت هذه المناطق وغيرها بزراعته منذ قدوم الفنيقيين إلى الساحل الشمالي للقارة الإفريقية .

لقد استمر تصدير الزيت من طرابلس حتى أواخر العصور الوسطى وقلت عملية تصديره في فترة الاضطرابات والفوضى ومن بعد أصبح يصدر على نطاق أضيق من ذلك . وقد نشطت المدن الإيطالية في تجارة الزيت وخاصة مدينة فنيسيا[*] والبندقية

وجنوا، الذي يستورد من إقليم طرابلس ويدخل في صناعة الصابون وزيت التجميل [2].

---

[1] مخطوطة : دار المحفوظات التاريخية (طرابلس) سجلات المحكمة الشرعية (1722- 1727) ص 225- 318 . سجل محكمة رقم (1) ص 104 .

Venture de paradise : ville et Rogaume de Tripoli, 1783, Texted Presented par Joseph cuoq, in IBLA. N 147, 44 eme Annee, 1981, P133.

[*] فينسيا : هي مدينة في شمال ايطاليا عاصمة منطقة فنتو وتعرف باسم ملكة "الادرياتيكى" "ومدينة المياه " "ومدينة الجسور " " ومدينة النور" . سعيد العبد الفتاح عشور تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ص43 .

[2] ابتسام مرعي خلف الله : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، (524- 936هـ/ 1139- 1529)منشورات دار المعارف، 1985م، ص311 .

2- الزعفران :

وكذلك يتم استيراد الزعفران من المناطق الجبلية وخاصة غريان وبعض المدن الأخرى إلى مدينة طرابلس[1] .

3- نبات الحلفا:

إن هذا النبات كان له دور كبير في دعم الاقتصاد المحلي وإمداد خزينة الولاية ببعض الموارد المالية خاصة في فترة حكم الأتراك لطرابلس كان نبات الحلفا من ضمن النباتات البرية تنمو في العديد من المناطق الليبية بشكل طبيعي دونما تدخل من الإنسان في زراعته، وكان هذا النبات ينمو بكميات وفيرة في طرابلس وبرقة[2].

لقد تمركز نمو هذا النبات بشكل خاص في مناطق مسلاتة وترهونة وبني وليد والتي تعرف بورفلة[(*)1] والجبل الغربي وغريان وورشفانة[(*)2] . كان أهالي هذه المناطق يجمعون وينقلون هذا النبات على ظهور الإبل إلى مدينة طرابلس لبيعه واستبداله بالسلع الأخرى من مدينة طرابلس في الوقت الذي تقوم هذه المدينة بتصديره عبر البحر إلى أوروبا لدخوله في العديد من الصناعات ومنها الورق[4].

---

[1] شارل فيرو : الحوليات الليبية، المصدر السابق، ص 340 .
[2] جي مانيانو : الحلفا في طرابلس –فلورانسي ميلانو: آخوان تريغس 1913 . ترجمة مركز الجهاد غير منشورة ، ص 4 .
[(*)1] ورفلة : أوأرفلة : كلمة بربرية اسم لبطن من بطون قبيلة هوارة البربرية يقال له بنو ورفلة وقبيلة هوارة كانت من تاورغة الى غدامس وكل السواحل من مصراته الى صرمان وكان بنو ورفلة يسكنون المنطقة التى فيها وادي بن وليد وماحوله ولما تغلب عليهم العرب جلوا من مساكنهم وسكنها العرب واصبحت ملكهم ، أطلقت الكلمة على سكانه ايضا . الطاهر احمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 357 .
[(*)2] ورشفانة : من قبائل العرب من الزبايين احد بطون بني سليم بن منصور من العدنانية وكانت مواطنهم طرابلس الغرب وما اليها مثل تاجوراء وجنزور ، المرجع نفسه ، ص 352
[4] جي – مانينو : الحلفة في طرابلس المرجع السابق ، ص 4 – 5 .

4- العسل والخضروات والفواكه:

أما برقة وسرت فقد استوردت طرابلس منهما العسل والخضروات والفواكه كالخوخ والكمثرى والأعناب والشب والملح، والكحل والقطران والعطور والتوابل كل هذه السلع ترد إلى طرابلس[1].

5- التمور :

يتم تصدير التمور من مدن وواحات فزان إلى طرابلس خاصة وأن مدن فزان اشتهرت بإنتاج التمور كزويلة ومرزق وتراغن وسبها وودان وتعتبر الغذاء الرئيسي لسكان هذه المنطقة لكثرة إنتاج التمور في العديد من المدن والواحات الليبية فينقل إلى طرابلس ويصدر إلى معظم مناطق أوروبا كجزيرة كريت[*] وبلاد البلقان[*)1][2] .

غير أن إنتاج هذه المنطقة قليل في الحبوب وكذلك في الثروة الحيوانية لقد أشار أحد الرحالة إلى استجلاب التمور من مدن فزان سوكنة[*)2] وريش النعام من غدامس[3].

لقد شكلت المحاصيل الزراعية نسبة كبيرة في التبادل التجاري الداخلي خاصة وأن كثيراً من مدنه شهدت وفرة الإنتاج الزراعي بأنواعه وكثيراً ما كان يزيد عن

---

[1])البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المصدر السابق، ص 2 .

[*] كريت : هي اكبر الجزر اليونانية وخامس أكبر جزيرة في البحر المتوسط ومنذ زمن بعيد نشأت في هذه الجزيرة الحضارة المينوية نسبة الى الملك الاسطوري مينوس الذي اسس حضارة وعمران في تلك الجزيرة منذ ما يقارب 400 سنة ، وقد ظلت الجزيرة تابعة للامبرطورية البزنطية ، حتى فتحها ابو حفص عمر البلوطى الاندلسي الذي قام امارة فيها تم ما لبث ان استعادها منه الامبراطور البيزنطى تقفوز الثاني 961 م عرفت عند العرب باسم " اقريطشى" وعرفها الاتراك باسم "جزيت". ، سيد عبد المجيد بكر : الاقليات المسلمة في اوربا ، دار النشر والتوزيع القاهرة ، ط1، مصر ، د.ت ، ص 36 .

[*)1] البلقان : هي شبه جزيرة ومنطقة موجودة في جنوب شرق اوربا . اسم المنطقة نسبة الي سلسلة جبال البلقان الذي يمتد من بلجاريا وصولا الى سربيا . سعبد الفتاح عاشور تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، المرجع السابق ، ص55 .

[2])ابتسام مرعي خلف الله : العلاقات الموحدية والمشرق الإسلامي، المرجع السابق، ص 313 .

[*)2] سوكنة : إحدى واحات (الجفرة) فتحها بسر بن ارطاة كغيرها من واحات الجفرة ثم عقبة بن نافع ، وأهل سوكنة مشهورون بالزراعة ولهم عادات مميزة وهم اهل طرب وفن انشى بالقرب من سوكنة مشروع لتوطين البدو الرحل (قبيلة الرياح) الطاهر احمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص198 .

[3]) ليون : الرحلة من طرابلس إلى فزان ، المرجع السابق، ص 58 .

الحاجة وبهذا نجد كثيراً من الحبوب وخاصة القمح والشعير تجلب إلى مدينة طرابلس ومنها يصدر إلى الخارج.

6- الصوف والجلود:

إضافة إلى المنتوج الزراعي الذي يتم توريده من برقة (بنغازي) كذلك الصوف والجلود وخاصة وأن برقة وضواحيها اشتهرت بالمراعي وكثرة الحيوانات الأمر الذي ساهم في إنتاج الجلود التي يتم توريدها إلى طرابلس . كما أن العديد من تجار برقة يستوردون الجلود من السودان عبر اوجله ويتم تصديرها إلى مدينة بنغازي ومن ثم إلى مدينة طرابلس[1]، ومنها استوردت أيضاً الحيوانات للذبح[2] وفي المقابل يجلب إليها المنسوجات من الأقمشة والعباءات ومن المواد الغذائية التمر[3].

كما يتم جلب الصوف والألبان ومشتقاتها وبعض الحيوانات من جبل نفوسه والزنتان ومن بعض الأرياف والبوادي والجلود من غدامس ويتم توريدها إلى طرابلس .

ولعل ذلك من أجل صناعتها ودباغتها خاصة وأن مدينة طرابلس عرفت بأنها مركز صناعي مهم حيث توجد بها العديد من الصناعات قد تصل إلى مائة وخمسين صناعة وذلك خلال القرن السادس عشر الميلادي [4].

7- الأواني :

هذا وقد اهتموا بصناعة الأواني الفخارية والزجاجية وذلك لأجل حفظ الزيت بها كما قاموا بصناعة العديد من المعاصر لزيت الزيتون في تلك المدن وخاصة مدن الشمال الليبي . إذ تتوفر مجموعة من المعاصر الحديثة (الآلية) التي نافست المعاصر – معاصر الزيتون – التقليدية التي كانت تدار بالدواب، بدلاً من الكهرباء

---

(1) العياشي : الرحلة العياشية، ماء الموائد وضع فهارسها محمد محي، دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، ط2، 1977، 106 .
(2) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية المغرب، المصدر السابق، ص 205 .
(3) حسن الفقيه حسن : اليوميات، المصدر السابق، ص 400 ، 568 .
(4) العياشي : الرحلة العياشية، ج1، المصدر السابق، ص 107 .

– الآن – حيث يتم عرض المنتوج في الشوارع الرئيسية خاصة المؤدية إلى مدن الجنوب الليبي وكذلك في أماكن عرض خاصة بالمعاصر [1].

8- الأقمشة والمنسوجات :

تقوم مدينة طرابلس بدورها بالتصدير إلى المدن الأخرى الأقشمة والطواقي والعديد من مصنوعات مدينة طرابلس المحلية والمستوردة من المنسوجات حيث كانت مدن الجنوب الأوروبي لها نصيب الأسد من هذه السلع بالإضافة إلى الأسلحة والزجاج والخرز والمرايا والعطور والعقود والشالات وأدوات الزينة[2] . كما يورد إلى طرابلس الملابس والأكسية الصوفية من أجدابيا .

أما المدن والواحات الداخلية والمتمثلة في غدامس وزويلة وتراغن ومرزق وغات والتي تعتبر من أهم المراكز التجارية الليبية الجنوبية وهي على صلة بالمراكز والمحطات التجارية جنوب الصحراء ظلت هذه المدن والواحات الجنوبية حلقة وصل ورابط بين ولاية طرابلس وتلك المراكز الإفريقية الجنوبية .

وتعتبر مدن فزان كغيرها من المدن الليبية لها منتجاتها من إنتاج زراعي وحيواني وصناعي، أي منتجات محلية إضافة إلى المنتجات الواردة إليها سواء من الشمال أو الجنوب ما وراء الصحراء، فكانت هنالك حركة تبادل تجاري بين فزان وطرابلس حيث تصدر ولاية طرابلس إلى فزان والواحات الصحراوية الأقمشة والثياب الحريرية بأنواعها والأسلحة [3]، والبارود، والورق، والخرز والمرجان والزجاج، والسكر، والشاي، والشمع، والأساور، والأواني المعدنية، والمواد الحديدية والأرز

(1) محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 146 .
(2) مخطوطة : دار المحفوظات التاريخية (طرابلس لسنوات 1722 – 1727) سجل الشرعية رقم (2) ، ص 70 .
(3) فرانشيكو كورو : ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، المرجع السابق، ص 24 .

واخشاب الوقود (1)، وأن أغلب هذه السلع ثم توريدها إلى طرابلس من بلدان أخرى عن طريق البحر والبر .

إضافة إلى بعض السلع المحلية المجلوبة من المدن والقرى وتتمثل في الملابس وأغطية الرأس والبرانيص(*) والملاحف(*)1 والبسط(*)2 والحمول(*)3 والأردية الصوفية وكذلك المصنوعات التقليدية مثل الأحذية والحقائب الجلدية والقرب والحصائر والسروج ولجم الخيل، وأعمال الحدادة، النحاس، وأنواع البخور والعطور والتوابل وغيرها (2).

فقد ذكرت المصادر أن القوافل التجارية في حركة دؤوبة بين مدينة طرابلس والمدن الداخلية حيث يتم نقل جميع السلع والبضائع عبر المراكز التجارية الواقعة على طول طرق القوافل ومختلف السلع المحلية أو المستوردة من أوروبا وأسيا وبلاد المغرب العربي إلى مناطق فزان . ويبدو أن كثيراً من الرحالة الأجانب رافقوا تلك القوافل في أداء مهمتهم (3).

أما عن واردات ولاية طرابلس فزان العبيد بصفة خاصة وبعض مواد الصباغة والتبر الذي يستورد من بلاد السودان .

---

(1)فرانشيكو كورو : ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، المرجع السابق، ص 74 .

(*) البرانيص : هو ثوب من الصوف يلبس فوق الثياب وينسج قطعة واحدة ويترك مفتوح من الامام ولا يخاط منه الاما يقابل الصدر ليشده الى الجسم وللبرنس غطاء للراس موصول به من الخلف . محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج1 ، دار إحياء الكتب العربي ، ط1 ، 1963 م ، ص42 .

(*)1 الملاحف : جمع ملحفة ، وهي لباس المرأة الصحراوية العربية موحد من الساقية الحمراء على المحيط الاطلسي الى البحر الاحمر مرورا بشمال مالي وشمال النيجر وشمال التشاد وشمال السودان، تلبس المرأة العربية الصحراوية ثوباً طويلاً تخلله على كتافيها من الامام وتديره حول جسمها وتضع طرفه فوق راسها وتحدف الباقي على كتفها الايسر ويسمى ملحفه وهو من قماش القطن . محمد سعيد القشاط صحاء العرب الكبرى ، المرجع السابق ، ص176 .

(*)2 البسط : هي من المنسوجات الصوفية التى تحتل مكانه هامه في اهتمامات المواطن الليبي إذ انها مصدر كسانه وفراشه وهم المنتوجات الحوالى الرجالية والعباءه والبطانية والكليم (البساط) ، فرانسكو كورو : ليبيا اثناء العهد العثماني الثاني ، المرجع السابق ، ص 152 .

(*)3 الحمول : جمع حمل وهونوع من المنسوجات الصوفية الذي يستخدم كغطاء وفراش في البيت الليبي في السابق ، المرجع نفسه ، ص 152-153 .

(2) المختار عثمان العفيف: مدينة سوكنة دراسة تاريخية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، 1835 – 1911م . كلية الآداب، جامعة السابع من إبريل – الزاوية، ط1، 2002 ، ص 92 .

(3) ليون : الرحلة من طرابلس إلى فزان، المرجع السابق، ص ص 58 ، 129 .

كانت القوافل تجوب الصحراء لتصل فزان من كافة المدن والواحات والبوادي بصفة خاصة لغرض الحصول على التمور منها ولاشك في أن تجارة ولاية طرابلس مع فزان هذه لم تقصر على تجارة التمور فحسب بل هنالك العديد من السلع فيها وخاصة وإن فزان ترتبط بأغلب المدن والدول في الشمال الأفريقي وكذلك مع المشرق ومناطق الغرب العربي وجنوب الصحراء مما جعلها تستقبل العديد من السلع والبضائع الأخرى حيث ترد من بلاد السودان عبر أراضيها ويكون لتجار فزان دور في توريدها إلى مدينة طرابلس وبنغازي وغيرها من المدن الأخرى .

ولعل أهم هذه السلع، الذهب والعاج وريش النعام والحيوانات والجلود وكانت هنالك العديد من المدن بفزان أشتهرت بدباغتها وصناعتها[1] . ويظهر أن مدينة غدامس من هذه المدن الجنوبية التي اشتهرت بالتجارة والصناعة وخاصة صناعة ودباغة الجلود وتوريدها إلى ولاية طرابلس والمدن الأخرى.

لقد وصفها الحميري وصفاً دقيقاً حيث قال: " غدامس في الصحراء سبعة أيام من جبل نفوسه وهي مدينة قديمة أزلية ينسب إليها الجلد الغدامسي، وتلك الأراضي لم تكن صحراء وإنما كانت عامرة ومن غدامس يدخل تادمكة[*] أهلها من المسلمين"[2].

كما وصفها ياقوت الحموي أهم الصناعات بها فقال: غدامس مدينة بالمغرب ضاربة في بلاد السودان فيها الجلود الغدامسية وهي من اجود الدباغ لا شيء يفوقها في الجودة كأنها ثياب الخز في النعومة والإشراق[3] .

([1]) بشير أحمد طروم : مدينة زويلة منذ الفتح العربي الإسلامي حتى سقوط دولة بني الخطاب 22 هـ - 568 هـ/ 642م – 1172م، رسالة ماجستير غير منشورة، 2001 ، ص 75 – 76 .

([*]) تادمكة : على مسيرة بضعة ايام من وادي تلمس في منطقة ادارار الجبلية عند ايفوغناس احد اسواق الصحراء الهامة ، وأطلق عليه اسم السوق ، ومازالت خرائبها تحمل هذا الاسم وكانت في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تتبادل التجارة مع القيروان وغدامس في الشمال ومع السودان في الجنوب . زاهر رياض : المالك الاسلامية في غرب افريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية ، 1968 ، ص132 .

([2]) محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص 227 .

([3]) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج1، المصدر السابق، ص 187 .

ولتحقيق هذا النشاط التجاري لابد من وجود العديد من الأساليب التي بها يمكن تسهيل العملية التجارية فيما يختص مهمة التجار وديمومة وصول البضائع والسلع إلى تلك المدن دون تعقيد فقد عرفت ممارسة التجارة أساليب متعددة في العمل التجاري الداخلي والخارجي ومن هذه الأساليب المقايضة والسلف، والوكالة والشراكة، والقراض وغيرها .

وهكذا يمكن القول إن حركة التبادل التجاري قد انتعشت في هذه الحقبة التاريخية بشكل واسع بين مدن طرابلس الداخلية، وكثيراً ما كان يستورد التجار ما تفتقر إليه أسواق مدنهم ويصدرون ما يفيض من حاجة السكان سواء كان داخل الإقليم الواحد أو الأقاليم الأخرى، متحدين كافة المعوقات التي كثيراً ما كانت تسبب في عرقلة تحركاتهم من اضطرابات وثورات وضرائب.

الفصـــل الأول

طرق القوافــل الخارجيــة بين طرابلس ومراكـز الصحراء

- الطرق الخارجية .
- طريق طرابلس كانم برنو – عبر فزان
- طريق برقة وكانم عبر زويلة .
- طريق أوجلة ودّاي .
- طريق الحج .
- طريق البريد .

الطـرق الخارجيــة:

عند الحديث عن الطرق الخارجية التي كانت تسلكها القوافل التجارية من ولاية طرابلس إلى مختلف المناطق خارج الحدود الليبية .

نجد أن هذه الطرق قد شكلت شبكة واسعة متداخلة ربطت الأراضي الليبية ببعضها البعض كما ربطتها بمناطق دول الجوار سواء في جنوب الصحراء أو في الشمال والشرق والغرب لعل هذا ما وثقته الرسوم الحجرية وكتابات الرحالة الجغرافيين والإغريق والرومان ما يشير إلى وجود علاقات تجارية بين الشمال والجنوب.

فقد ذكر هيرودوت أن الليبيين كانوا يغيرون على الاثيوبين سكان الكهوف الذين تقع بلادهم جنوباً منهم[1] وأنهم كانوا في حالات السلم يتاجرون مع أقوام سود ولا يعرفون لغتهم وكانوا يتبادلون معهم السلع فيما يعرف بالتجارة الصامتة (المقايضة)[2].

في مطلع القرن الرابع الميلادي كانت الصحراء لم تقف عائقاً دون ربط الصلات بل كانت جسراً وحلقة وصل بين مناطق الشمال وجنوب الصحراء(السودان الغربي والأوسط). إن هذه العلاقات التجارية بين ولاية طرابلس ومناطق جنوب الصحراء ازدادت وتعززت بمجيء الإسلام والعرب الذين عن طريقهم أصبحت الصحراء ممالك يعبرها الكثير وذلك نتيجة خبرتهم الطويلة بالجمل والصحراء[3].

هذا ما أكده البكري عندما أشار إلى (بلاد التبر) وعرف ملوكها بملوك الذهب لعله أراد بذلك غانا إذ اشتهرت بعد ذلك بالذهب والتجارة فيه قدر أن ثلثي الذهب المتداول في منطقة البحر المتوسط خلال العصور الوسطى كان يرد عبر الصحراء

---

(1) هيردوت : تاريخ هيرودتس ، المصدر السابق ، ص133 .

(2) جاك تيري : تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ، المرجع السابق ، ص277-278 .

(3) الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، المصدر السابق ، ص100 .

من أواسط إفريقيا وعبر التجار العرب[1]، مما ساهم في خلق وإزدهار الكثير من المدن والمراكز التجارية .

لقد أصبحت الطرق التجارية عبر الصحراء هي الوسيلة والمنفذ الضروري للوصول إلى بلاد السودان الغربي والأوسط وذلك منذ ظهور الجمل في القرن الرابع الميلادي وحتى القرن التاسع عشر الميلادي رغم محاولة الأوروبيين في حوالي القرن الخامس عشر ميلادي الاستيلاء على تلك التجارة غير أنهم لم يتمكنوا من تحويلها إلى داخل القارة الا في القرن التاسع عشر الميلادي[2] .

وهكذا أصبحت الطرق التجارية هي الوسيلة الوحيدة في نقل كافة المؤثرات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تصل بين نقطة وأخرى وتوجد عشرات المحطات في كل طريق ومن كل طريق كانت تتفرع عدة مسالك وأهم هذه الطرق وأشهرها: طريق طرابلس غدامس غات تادمكة كاوكاو[*] يمر هذا الطريق في اتجاه الجنوب الغربي من طرابلس إلى جبل نفوسه ثم تسير القوافل في اتجاه مدينة غدامس وهو من أقدم الطرق التي ارتادتها القوافل الصحراوية.

لعل هذا الطريق قد عرف بهذا الاسم قبل ذلك بكثير فيه تسير القوافل في الصحراء حوالي سبعة أيام لتصل إلى غدامس، وهنا نلاحظ أن هنالك العديد من العوامل التي تؤثر في المسافة التي تقطعها القافلة منها الحمولة وتعداد القافلة والمناخ وطبيعة الأراضي التي تمر فيها القافلة. هذا ونجد القافلة تقطع حوالي (35كلم) .في فصل الصيف أما في فصل الشتاء تصل إلى حوالي(50كلم)[3] غير أن أغلب القوافل تسير في فصل الخريف والربيع لاعتدال المناخ فيهما .

---

(1) PEKKA MASONEN: The Transition Trade and the west African Discovey of the Mediterranean, hean, 2006. P.S.L28.

(2) فيصل محمد موسى : موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، كلية الأداب، جامعة النيلين، 1999م، ص33 .

(*) كاوكاو : تقع هذه البلدة في اقصى الجنوب من جمهورية افريقيا الوسطى على حدود جمهورية السودان في الجنوب الغربي ، ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار ، مجلد 3 ، المصدر السابق ، ص490 – 491 .

(3) إبراهيم بحاز بكير: الدولة الرستمية من 160-276هـ، دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، رسالة ماجستير، بغداد، 1980، ص232 .

ويظل هذا الطريق احتكار للتجار الغدامسيين المتصلين بولاية طرابلس ويعتبر هذا الطريق هو أطول الطرق التجارية مع المناطق الداخلية لأفريقيا حيث تستغرق القافلة مدة لا تقل عن ثمانية أو تسعة أشهر ذهاباً وإياباً[1]. ويبدو أن هذا الطريق أكثر الطرق تعرضاً للأخطار. وأصبح يربط طرابلس شمالاً بمناطق الجنوب مباشرة وذلك لأن مدينة طرابلس أحد أهم المحطات التجارية على ساحل البحر الأبيض المتوسط وباعتبارها بوابة ومدخل إلى قلب القارة الأفريقية[2] ومع وجود العديد من المحطات على هذا الطريق فقد ساعد القوافل الصحراوية التجارية للمكوث في مكان لمدة طويلة وذلك بسبب من الأسباب التي تتعرض لها القافلة من عراقيل كمرض وتأخير وصول البضائع أو تصريفها لتلك البضائع باعتبارها سوقاً للبيع [3] .

ومن الواحات الجنوبية (فزان) لا شك أنها كانت مقراً ومحطة للتجار الليبيين القادمين من مختلف المناطق وخاصة تجار طرابلس فعلى طريقها قامت طرابلس بالعديد من الصلات التجارية مع غانا وتمبكتو وكانم وبرنو وغيرها[4].

كما تعتبر مدينة غدامس ومدينة غات أهم مراكز على هذا الطريق حيث يتفرع منه طرق كثيرة فمدينة غدامس مدينة بها الكثير من النخل والمياه[5].

ذكرها ابن خلدون: وقال "بأن موقعها جعلها محطة للركاب الحجاج من السودان وقفل التجار إلى مصر والإسكندرية عند إراحتهم من قطع المفازه المعترضة طريقهم دون الأرياف والتلول، وباباً لولوج تلك المفازه للحاج والتجارة في مرجعهم "[6] .

كما بين جاك تيري أن هنالك طريقين كانا يصلان طرابلس تادمكة عبر جبل النفوسه وغدامس وذلك استناداً على ما تشير إليه المصادر الجغرافية العربية .

---

(1) محمود ناجي: تاريخ طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص 64 .
(2) عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا، ط1، مكتبة مد بولى، 1996م، ص58 .
(3) فرانشسكو كورو : ليبيا أثناء العهد العثماني، المرجع السابق، ص83 .
(4) كوستانزيويرنيا: طرابلس 1510- 1850م، ترجمة محمد التلسي، ط1، الدار الليبية بنغازي، 1985م، ص 56 .
(5) البكري : المسالك والممالك المصدر السابق ص182
(6) ابن خلدون : العبر، ج7، ص 122 .

فتادمكة تعتبر مفترق طرق يتفرع إلى كاوكاو وبمرحلة تسعة أيام في الصحراء ويعرف بطريق الملح وهو الطريق الذي تسير عليه القوافل إلى غانا ومن ثم إلى مالي وإلى تواث[*] وإلى ورقلة وإلى القيروان ومن الهقار[*1] إلى غات يمكن الذهاب إلى مرزق مركز فزان وإلى عين الصالح[*2] مركز الصحراء ويمكن الذهاب إلى تمبكتو وإلى المغرب الأقصى[1] .

كما يوجد أيضاً طريق غدامس، تادمكة مالي وطريق ورقلة – أوجلة– تادمكة كانو[2].

يذكر الرحالة رولفس: "أن القدامية قد وصلوا بين مناطق الشمال مثل طرابلس وتونس وربطو بين الجنوب حتى تواث وتمبكتو"[3]، عبر المراكز الصحراوية.

(*) تواث : تعد تواث من أهم المراكز التجارية التى تقوم بتنظيم القوافل التجارية وتوفير مواردها وتقع على الطريق التجاري الذي يربط الشمال الافريقي ببلاد السودان الغربي وقد اهتم اهلها بالتجارة . وهاجروا من اجلها واستقروا في السودان الغربي وكونوا جاليات كبيرة استقرت في مدنه الهامه ، ومارسوا التجارة ولعبوا دوراً هاماً في حياتها الثقافية ، ابن خلدون : العبر ، ج6 ، المصدر السابق ، ص 117 – 118 .

(*)1 الهقار : الهقار باللهجة التارقية تعني اسم لشجرة تدبغ بها الجلود ، وتقع جنوب الجزائر وتقع فيها مدينة (تمنغست) المرجع نفسه ص22 .

(*)2 عين الصالح : واحة شهيرة بجنوب الوسط الجزائر ، وتمر بها الطرق الصحراوية القادمة من الشمال (الجزائر) و (تونس) والمتجهة الى جنوب الصحراء ، المرجع نفسه ، ص 30

(1) جاك تيري: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، المرجع السابق ص 163 .

(2) الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية، ط2، 1999م، ص 188 .

(3) غير هاردرولفس: رحلة عبر أفريقيا، ترجمة عماد الدين غانم، جامعة طرابلس، ط1، 1996م، ص 200.

كانت هذه الطرق تنتهي بتمبكتو بسبب سوقها الكبير، هذا إلى جانب الطرق الأخرى والتي تخرج من تمبكتو إلى تونس ومن تمبكتو إلى تلمسان وتوات(1).

لقد اورد الحسن الوزان: عند وصفه لأفريقيا العديد من الطرق التي تمتد من الغرب إلى الشرق مثل طريق جاو ولاته جني، مالي، تمبكتو- غدامس، كاتسينا(*) تكدا(*)1 برنو، النوبة(*)2 حيث كانت المسالك الواقعة معظمها على نهر النيجر والتي تمر بها القوافل الصحراوية التي يسلكها التجار الذاهبون من ولاته إلى القاهرة لا شك أنها طريق طويلة لكنها مأمونة(2).

كما أن هنالك طريق يأتي من الواحات المصرية حتى واحة الكفرة ثم يتجه نحو الجنوب الغربي لكي يصل أواسط نهر النيجر ثم إلى كانم وبرنو(3).

طريق طرابلس كانم برنو – عبر فزان:

يمر وينطلق هذا الطريق من مدينة طرابلس الساحلية التي تمثل استقبال الحركة التجارية عبر البحر لأوروبا وعبر الصحراء من بلاد السودان (الغربي والأوسط) في انحاء الجنوب من طرابلس إلى جبل نفوسه زويلة – كاوار(*)3– كانم. تسير القوافل ثلاثة أيام حتى تصل جادو وهي تعد من أهم المحطات الأولى التي تنطلق منها

---

[1] -DELARONCiereCh:LA DE Couverte De LAFRlaue AU MoyehAge, T: J. LE Calre. 1934. OP. Cit. P160 .

(*) كاتسينا : او كاشنا : هي احد الدويلات السبع الاصلية وتعرف باسم هوسا باكواي أي ممالك الهوسة وكاتسينا هي اوسطها وسابقتها – كانو – أكثر بلاد الهوسة حضارة واهمية . حسن عيسى عبد الظاهر : الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني ، المرجع السابق ، ص162

(*)1 تكدا : من اهم المراكز التجارية خلف الصحراء الى الشرق من بلاد الهوسا ، اشتهرت بتجارة النحاس ، وجلب منها الرقيق ، ابن بطوطه :بن بطوطة ،المصدر السابق ، ص452 – 454

(*)2 النوبة : بلاد واسعة عريضة في جنوب مصر وهم نصارى أهل شده في العيش ، وقدمدحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال "من لم يكن له اخ فليتخدا له اخاً من النوبه " . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج5 ، ص356 .

(2) حسن الوزان: وصف افريقيا، المصدر السابق، ص 33.

(3) جلال يحي : تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،1999م، ص 88 .

(*)3 كاوار : تقع هذه المنطقة على الحدود الليبية – النيجرية الحالية ولازالت تحمل نفس التسمية اما عاصمتها الراهنة فهي مدينة (بلما) وهي ضمن حدود محافظة اغاديس بدولة النيجر ، وكانت من اهم المراكز التجارة الصحراوية علو الطريق الذي يصل طرابلس بما وراء الصحراء . محمد سعيد القشاط : الطوارق عرب الصحراء ، المرجع السابق ، ص 42 .

كاوار : تقع هذه المنطقة على الحدود الليبية – النيجرية الحالية ولازالت تحمل نفس التسمية اما عاصمتها الراهنة فهي مدينة (بلما) وهي ضمن حدود محافظة اغاديس بدولة النيجر ، وكانت من اهم المراكز التجارة الصحراوية على الطريق الذي يصل طرابلس بما وراء الصحراء . محمد سعيد القشاط : الطوارق عرب الصحراء ، المرجع السابق ، ص 42 .

القوافل التجارية نحو الجنوب في إتجاه زويلة أو الى حد بلاد السودان[1]. ذكر البكري في القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي هذا الطريق حيث قال:" إنه يبدو من مدينة طرابلس إلى مدينة جادو ثم يمتد في الصحراء إلى موضع يسمى تيري[*] وهو في سفح جبل في أبار حتى يصل إلى منطقة جبلية تسمى تارغين[*1] وهذه المنطقة يسكنها أقوام من قبيلة مزاتة[2] يتضح من هذا النص أن المسافة بين طرابلس وزويلة تقدر بخمسة عشر يوماً كذلك هنالك طريق أخر ينطلق من طرابلس ليصل إلى فزان ومن ثم إلى بلاد السودان عبر ودان من خلال قصر بن ميمون لمدة ثلاثة أيام إلى كوم من الحجارة واضح على ربوه تسمى كرزة [3]، ومن هذه الحجارة تسير القوافل ثلاثة أيام ثم تصل مدينة سبها عاصمة فزان الحالية بعد ثلاثة أيام أخرى يتم الوصول إلى بلدة تراغن وزويلة [4] .

ولا شك أن مدينة زويلة هي مفترق الطرق القادمة من الشرق والشمال والغرب والمتجهة إلى بلاد السودان الأوسط حيث تأخذ القوافل طريقها إلى كوار وتقدر المسافة بين زويلة وكوار بثمانية أيام[5] لقد ذكرها اليعقوبي بقوله: "ووراء زويلة على خمسة عشر مرحلة مدينة يقال لها كوار"[6] . ثم تسير القوافل حتى تصل بلما[*2] والجدير بالذكر هنا أن واحة بلما تعد موازية لمدينة تكدا التي تقع على جانب الطريق الغربي الذي يربط مدينة غات ببلاد الهوسا في السودان الأوسط . وقد تواصل القوافل الصحراوية سيرها حتى تصل إلى كانم التي تقع في شمال بحيرة تشاد ومن ثم إلى مدينة كوكا عاصمة البرنو والتي تتفرع منها عدة طرق لتصل إلى كانو أحد

([1]) محمد سليمان أيوب : مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 1911م، المرجع السابق ، ص98 .

([*]) تيري : منطقة حدوديه بين ليبيا والسودان الغربي ، البكري : المغرب في ذكر افريقيا والمغرب ، المصدر السابق ، ص10 .

([*1]) تارغين : منطقة حدودية بين ليبيا وتونس ، المصدر نفسه ، ص11 .

([2]) المصدر نفسه ، ص10 .

([3]) أبو الفداء : تقويم البلدن ، المصدر السابق ، 139.

([4]) المصدر نفسه ، ص 139 .

([5]) اليعقوبي: تاريخ البلدان، المصدر السابق ، ص 102 .

([6]) ت- ج نياني: تاريخ إفريقيا العام ، مجلد 4 ، المرجع السابق، ص 266 .

([*2]) بلما : احدى واحات صحراء النيجر الشمالية وتقع على الطريق القادمة من ليبيا وبها سبخة لاستخراج الملح . محمد سعيد القشاط : صحراء العرب الكبرى ، المرجع السابق ، ص41 .

إمارات الهوسا الشمالية . اصبح هذا الطريق من أهم وأشهر الطرق التجارية عبر الصحراء من القرن التاسع الميلادي وحتى فترة هذه الدراسة وبعدها.فقد كانت رحلة القوافل الصحراوية تسير ذهاباً وإياباً من مدينة طرابلس عبر ساحل البحر المتوسط إلى مدينة كانو جنوباً احد المراكز التجارية في إمارات الهوسا إلى ستة أشهر[1] .

يعد هذا الطريق الواصل إلى ممالك البرنو والهوسا من أقدم الطرق منذ زمن الجرمنت والرومان فقد عرف بطريق الجرمنت لمروه بمدينة جرمة كما عرف بطريق برنو والطريق الأوسط وهو يتقاطع مع طريق الحج[2] .

إن هذا الطريق لايزال إلى يومنا هذا يقوم بالدور الفاعل في نقل الكثير من الأنماط المعيشية في الحياة المعاشة لكل سكان ليبيا وسكان بلاد السودان الأوسط..

كما كان لهذا الطريق دور بارز في وصول الإسلام إلى بلاد السودان الأوسط بعد فتح الجيوش الإسلامية بقيادة عقبة بن نافع فزان وكاوار سنة 49هـ- 669 م[3] فقد نشر الإسلام عن طريقه واللغة العربية والثقافة الإسلامية في تلك الممالك الوثنية .

وظل هذا الطريق نقطة ارتكاز اعتمدت عليها ممالك هذه المنطقة يربطها عبر الصحراء بشمال إفريقية والمغرب مروراً بواحة كاوارومرزق وزويلة.

غير أن سقوط زويلة عاصمة فزان في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي على يد قراقوش وما حدث لهذا الطريق من فوضى واضطرابات فقد حرص أمراء كانم برنو في تلك الفترة التحكم به [4]. وتم تأمين هذا الطريق في النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي حينما بلغت كانم برنو أوج اتساعها وازدهارها من عهد ماي دونمه ديبالمي الذي بسط نفوذه على فزان شمالاً

---

(1) وثيقة مبين فيها المراحل التي تقطعها القوافل في رحلتها من فزان إلى برنو بتاريخ 1من ذي العقدة 1295هـ\127اكتوبر 1878م، نقلاً عن المختار عثمان العفيف: مدينة سوكنة دراسة تاريخية للأوضاع السياسية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، المرجع السابق، 1835-1911، ص289.

(2) رجب نصير الأبيض : مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 150.

(3) حسين مؤنس: فزان ودورها في انتشار الإسلام ، المرجع السابق ، ص 112 .

(4) محمد علي مسعود عمران : الأشراف العمرانيون وأثرهم في فزان، مطابع ليبيا، سبها ليبيا، ط1 ، 2002 هـ29.

وإتخذ من مدينة تراغن عاصمة له والتي تقع على الغرب من زويلة بنحو (90 كلم) استمرت حتى قيام دولة أولاد محمد[*] في سنة957هـ - 1550م عندما اتخذوا من مدينة مرزق عاصمة لهم [1].

لقد رافق العديد من الرحالة العرب والأجانب تلك القوافل الصحراوية في هذا الطريق. نذكر منهم على سبيل المثال جون فرانسيسي ليون في رحلته من طرابلس إلى مرزق وزويلة وجوزيف ريتشي في 1235 هـ - 1819م رفقه محمد المكنى بك النوبة أو (باي النوبة) كما اعتاد الناس نطقها ، وهو المكلف بجمع الضرائب من فزان. كما سلك هذا الطريق الرحالة غيرهارد رولفس من طرابلس إلى برنو عبر مرزق في 1310 هـ- 1866م وكذلك محمد بن عثمان الحشائشي التونسي الذي سلك هذا الطريق سنة 1897م[2].

وكذلك عبد القادر جامي وغيرهم وكانت القوافل التجارية تؤدى أتاوات عن حق العبور والدخول في المراكز التجارية في المناطق الشمالية وكانت البضائع الصادرة من كانم ومدن الصحراء تستبدل بتلك البضائع الواردة من طرابلس وبرقة ويتم استبدالها بالمقايضة .

ويبدوا أن نظام المقايضة يكاد يكون النظام الوحيد في التعامل مع تصريف البضائع دون الحاجة إلى النقود المتداولة.

لقد ذكر ابن فضل الله العمري في كتابه (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) عن أهالي بعض المدن الليبية في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي إذ قال : "سكان برقة أهل بادية لا يبتاعون إلا الأمتعة حتى أن منهم من يكون معه دراهم

(*) اولاد محمد : أن اولاد محمد الفاسي يرجع اصل هذه الاسرة الى فاس في المغرب قدموا الى فزان عن طريق القوافل القادمة من المغرب والساقية الحمراء والمتجهة الى المشرق ، عبد القادر جامي ، المصدر السابق ، ص 103 ، 104 .

(1)محمد علي مسعود عمران : الأشراف العمرانيون وأثرهم في فزان،المرجع نفسه، ص129 .

(2) عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد : الأوروبيون وأثرهم على تجارة القوافل الصحراوية من ولاية طرابلس الغرب في القرن التاسع عشر مطلع القرن العشرين، جامعة أم درمان، السودان، ص50-52.

فيعرضها للبيع فيقول: من يشتري من هذه الدراهم لأنها ليست عندهم نقداً ولا معاملة"[1].

من أهم السلع التي تمر بهذه الطرق والتي تصدرها هذه المدن الجلود وريش النعام والمنسوجات والعاج- ويتم استيراد الأقمشة والثياب والخيول والخرز والورق التي يحضرها تجار طرابلس .

وتأكيداً لأهمية هذا الطريق عبر فزان والأراضي الليبية خلال الفترة موضوع الدراسة إلى مطلع القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي، وقد حدثت بعض التغيرات والتبدلات على طرق التجارة الصحراوية التي تمر عبر المغرب الأوسط عندما قام البرتغاليون بتغير مسار التجارة من موانئ المحيط الأطلس إلى موانئ سواحل البحر المتوسط.

لقد بدأت تتضح نتائج هذا التحول مع مطلع القرن السابع عشر الميلادي عندما أصاب الركود العديد من المدن الجزائرية كورقلة وتواث تافلت[*] ذلك في الوقت التي استفادت المدن والواحات الليبية خاصة فزان من تلك التغيرات التي حدثت على تلك الطرق، ولعل وقوع فزان تحت حكم أسرة أولاد محمد في هذه الفترة جعلها تتمتع بالأمن والاستقرار وتعكس ذلك على طرق القوافل التي تعبر هذه المنطقة مما جعلها في حركة دائبة ونشطة بين الشمال ومناطق جنوب الصحراء خاصة في العهد العثماني الأول والأسرة القرمانلية والذين بعثوا العديد من الحملات التأديبية لاستباب الأمن والقضاء على حركات التمرد التي تحدث بين الحين والأخر على هذا الطريق[2].

---

(1) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ص 252 .

(*) تافلت : وتسمى ايضا تافلات ، تقع عند اطراف الصحراء المغرب الجنوبية ، كان بها ابار وواحات تتزود منها القوافل قبل التوغل في الصحراء وكانت موطنا لعشائر القريشيين الاشراف من ال الحسن بن علي رضي الله عنه . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المصدر السابق ، ص 272 .

(2) محمد المدني الحضيري: الطريق من طرابلس إلى فزان، المرجع السابق، ص 111، - جمال الدين الديناصوري: جغرافية فزان، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1967م، ص 268 .

طريق برقه وكانم عبر زويلة :

ينطلق هذا الطريق من بنغازي مروراً بإجدابيا آوجلة والكفرة ومنها إلى بلاد السودان . يعتبر هذا الطريق مكملاً لطريق طرابلس – بلاد كانم حيث تلتقي الطرق في بعض الواحات والمراكز العمرانية والتي أصبحت بمثابة مدن ومنها مدينة زويله ومرزق حيث يلتقي فيها هذا الطريق الذي يربط المحطات التجارية الشرقية من الأرض الليبية مع بلاد السودان كافة فقد ساهمت عدة عوامل في أن يكون لهذا الطريق أهمية حيوية وذلك نتيجة التواصل في الحركة التجارية بين مصر الأراضي الليبيه فضلاً عن وجود العديد من المدن والمراكز التجارية على سواحل الشرقية من ليبيا والتي عن طريقه تعبر قوافل الحج القادمة من السودان الغربي والأوسط إلى الأراضي المقدسة[1] .

يبدأ سير القوافل التجارية رحلتها من المدن المصرية إلى الأراضي الليبية الشرقية ومن ثم تواصل سيرها إلى الجنوب .

لقد أورد الإدريسي المراحل التي تقطعها القوافل أثناء سيرها في هذا الطريق فقال: "ومن الإسكندرية إلى برقه إحدى وعشرون مرحلة"[2] ومن برقه إلى أوجله عشر مراحل، وكذلك من برقة إلى اجدابيا ست مراحل وهي من الأميال مائة واثنان وخمسون ميلاً .

وهكذا كان لهذا الطريق دور تجاري هام في شمال أفريقيا وذلك بمرور التجارة من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق فقد كانت السلع المتداولة على هذا الطريق كالرقيق والإبل والحبوب والتمور والعاج والجلود كما هاجرت العديد من الجماعات البشرية عبر هذا الطريق إلى المناطق الداخلية خاصة بعد الفتح الإسلامي – ونتيجة الصراعات والثورات التي ظهرت في المشرق وشمال أفريقيا، كهجرة بنى هلال وبنى سليم .

([1]) نقولا زيادة : التجارة وطرقها في العصور الإسلامية ، المرجع السابق، ص 11 .
([2]) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المصدر السابق، ص 110 .

طريــق أوجـلة ودَّاي[*]:

ينطلق هذا الطريق من بنغازي إلى واحات أوجله والكفرة ثم جبال تبستي وداي وكانت مدة الرحلة ذهاباً وإياباً تتراوح من ثمانية إلى عشرة أشهر ولا يوجد في هذا الطريق قبائل تقوم بتأجير الإبل كالطوارق في طريق غات كانو مما يضطر أصحاب القوافل إلى شراء العدد اللازم من الجمال للرحلة من طرابلس أو بنغازي ويتراوح ثمن الجمل الواحد 150- 300 ليرة .

والحقيقة أن هذا الطريق ظهر في فترة متأخرة بالنسبة للطرق الأخرى التي تسلكها القوافل العابرة للصحراء وذلك بسبب قلة مصادر المياه كما أنه غير آمن ومحفوف بالمخاطر نتيجة لهجمات التبو سكان جبال تبستي وخاصة وأن العلاقات بين ولاية طرابلس وسلاطين وداي ليست دائماً على ما يرام[1] .

غير أن الأمور أخذت في التبدل والتغير في الآونة الأخيرة حتى وأن كانت في فترة ما بعد الدراسة على هذا الطريق بسبب الحركة السنوسية، وما حققته الزوايا والتكايا في نشر الإسلام في مناطق جنوب الصحراء فقد كان لها الفضل في الأمن والاستقرار في المنطقة الشرقية (برقة) التي كانت تعيش حالة من الفوضى والنهب والسلب والغزوات والتي لم تسلم منها حتى قوافل الحجاج التي تعبر هذه المنطقة .

ويظهر أن بعد استتباب الأمن أخذت البضائع تنقل من طرابلس وبنغازي إلى بلاد السودان الأوسط (برنو والوداي) يذكر الحشائشي الذي زار الكفرة حيث قال:"ومنذ سنتين نظم بعض التجار من طرابلس وبنغازي قافلة تنطلق من هذه المدينة (بنغازي) وتذهب إلى ودَّاي تحمل أصنافاً مختلفة من السلع كالأقمشة والسكر والشاهي وتقضى ثلاثة أشهر في الطريق"[2] . ولا شك أن هذه القوافل عند العودة

(*) ودّاي : كانت تشمل الطرف الغربي من حوض بحر الغزال وأنهاره المتعددة، وتمتد شمالاً وشرقاً مكونة حاجز بين كردفان ودارفور في الشرق وبلاد كانم في الغرب تمتد شمالاً حتى السفوح الجنوبية لجبال تبستي ويقع الآن جزء منها بجمهورية السودان ولجزء الآخر في جمهورية تشاد، وأما سكانها فهم خليط من مجموعة قبائل من مناطق التنجور والزغاوة والعرب : عطيه مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء، بنغازي، منشورات جامعة بنغازي، 1998، ص 228 – 229 .

(1) أحمد سعيد الفيتوري: المرجع السابق، ص 35 .

(2) محمد عثمان الحشائشي: المرجع السابق، ص 68 .

تأتي محملة بالجلود والعاج وريش النعام والذهب والرقيق والحيوانات وخاصة الإبل وبعض الطيور .

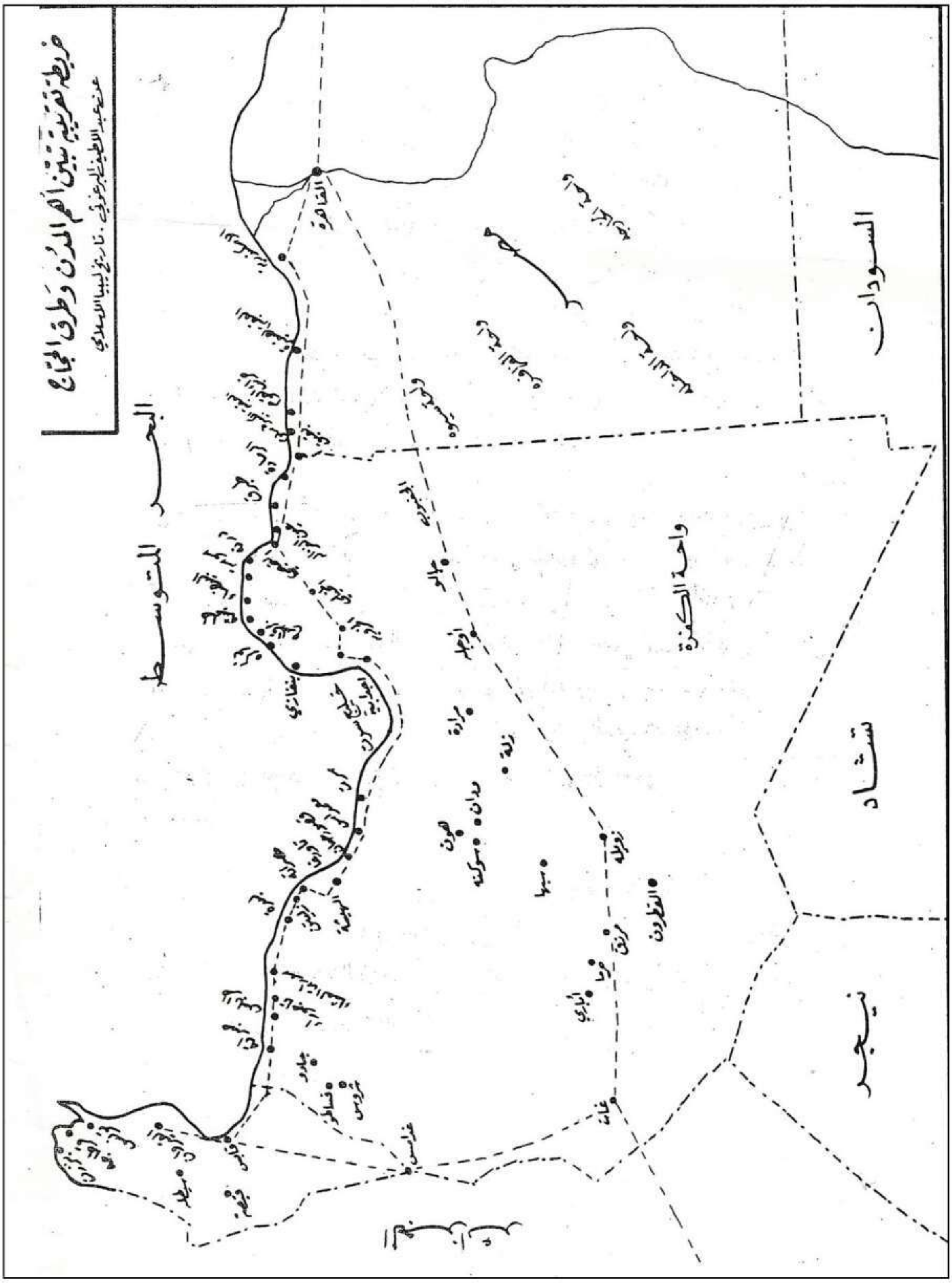
طــرق الحــج :

بعد انتشار الإسلام في مطلع القرن السابع الميلادي في المناطق الشمالية لأفريقيا ومنها امتد إلى المناطق الداخلية والغربية وانتشرت اللغة العربية والثقافة الإسلامية في ممالك ما وراء الصحراء . وقد تم تطبيق مبادئ الإسلام وعرف أن الحج أحد أركان الإسلام الخمسة التي فرضت على المسلمين .الأمر الذي أدى إلى ظهور مسالك جديدة للتجار قام بها الأغنياء من الحجاج وكان يرافقهم الحجاج الآخرون، وعبروا هذه المسالك إلى الأرض المقدسة وظلت تعرف بطرق الحج(1)

وكانت المدن والواحات الصحراوية كمدينة زويله ومرزق وغات وغدامس محطات هامة واقعة على طريق الحجيج القادم من بلاد السودان (الغربي والأوسط) ولقد ظهرت أهمية طرق الحج في العصر الوسيط وخاصة وأنه شهد ميلاد الممالك الإسلامية مثل مالي وتمبكتو وجنى وكانم وبرنو وغيرها . مما أدى إلى ظهور العديد من الطرق التي تسلكها الحجاج، طريق تمبكتو توات- غدامس – مروراً بجبل نفوسة طرابلس عبر الصحراء إلى الإسكندرية ثم الأراضي المقدسة .

---

(1) مصطفى عبد الله بعيو: دراسات في تاريخ اللوبي، المرجع السابق ص 183 .



صالح مصطفى مفتاح : ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، جامعة المسيرة الكبرى ، طبرق ، 2002 ،ص236 .

وكذلك طريق من بلاد الهوسا من مدن كانو كاتسينا مروراً بفزان ثم أوجله حتى مصر ومن ثم الحجاز ثمة طريق أخر من برنو يسير شمالاً عبر واحة بلما ويلتقي مع طريق فزان ثم يسير إلى الأراضي المقدسة، إضافة إلى أفريقيا شرقي الطريقين السابقين ويربط عاصمة ودَّاي ويلتقي بالطرق الأخرى في فزان ثم يتجه إلى الكفرة ثم إلى برقة.

وكذلك طريق درب الأربعين والذي يربط الفاشر عاصمة دارفور وهو يعبر الصحراء شمالاً حتى واحة سليمة والخارجة إلى أسيوط في مصر[1] .

كما أن هنالك طريق يمتد من المغرب الأقصى عبر الواحات الجنوبية (فزان) إلى المشرق حيث ينطلق هذا الطريق من سجلماسة السنغال – مالي تمبكتو– توات ورقلة غدامس أوباري جرمة –مرزق– زويلة– زلة – برقة – مصر – الأراضي المقدسة. إن هذا الطريق الذي سلكه السلطان محمد الفاسي أحد المهتمين بقوافل الحج القادمة من المغرب العربي والسنغال والمتجهة للأراضي المقدسة عبر فزان، ويبدو نتيجة العلاقة الحسنة مع أهالي فزان الذين كان يدفع لهم رسوم مرور القوافل بأرضهم وكان ملم بكافة أوضاع فزان خاصة بعد أن أصابها الضعف والاضطرابات وغارات الطوارق عليها الأمر الذي جعل شيوخ فزان يطلبون منه أن يحكمهم وينقذ البلاد بما أصابها وبالفعل استطاع محمد الفاسى أن يحكم فزان منذ 957 هـ – 1550م وذلك بناء على طلب أهلها وكون دولة وراثية عرفت بدولة أولاد محمد الفاسي[2] .

([1]) رجب نصير الأبيض، المرجع السابق، ص 226 .

([2]) محمد سليمان أيوب: مختصر تاريخ فزان، المرجع السابق ص 101 .- فوزية عبد الكريم بلقاسم: تجارة الصحراء في عهد الأسرة القرمانلية 1711- 1835، جامعة عمر المختار- طرابلس 2003 ، ص105 رسالة ماجستير غير منشورة، ص 26 .

طريـق البريـد :

ينطلق هذا الطريق من الشرق منذ الأيام الأولى للدولة العربية الإسلامية نحو المغرب، قبل أن يتجه إلى الساحل فكان ينطلق من مصر طريقان عظيمان إلى بلاد المغرب الاول يمر بجانب الساحل والثاني يسير جنوباً وكان أغلب البريد يمر بالطريق الثاني غير أنه سرعان ما اتخذ طريق البريد الساحلي من المشرق مصر طرابلس القيروان – السوس[*] .

أما الطريق الجنوبي كان يعبر الواحات الداخلية والكفرة ويتجه إلى السودان (الغربي والأوسط) غير أنه استبدل عنه بطريق سجلماسة وذلك لأنه غير آمن نتيجة الرياح واللصوص [1] .

وعندما سيطر العثمانيون على ولاية طرابلس كان الاتراك يرسلون بريدهم على الطرق العامة التي تسلكها القوافل الصحراوية الذي يبدأ من طرابلس نحو جبال غريان ويمر ببني وليد ومنها إلى سوكنة ثم يتجه جنوباً نحو ودّاي الشاطئ (براك)[*][1] حيث يتفرع إلى فرعين أولهما نحو مرزق عاصمة فزان ليتابع سيره جنوباً حتى كوكه أما الأخير يسير إلى بلدة غات ومنها إلى توات تمبكتو تادمكة[2].

---

[*] السوس : هي منطقة جغرافية تقع جنوب المغرب وتضم مجموعة مدن فيها خيرات كثيرة يجري فيها نهر وادي ماسة ، مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الانصار ، المصدر السابق ، ص211 .212 .

([1]) أدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة حمد الهادي الوريدة، فهرسة رفعت البدراوي، القاهرة، مكتبة الخانجي (د.ت) مج2، ص 419 .

[*][1] براك : واحة كبيرة من واحات فزان وتنقسم الى ثلاث قرى رانسية : ابراك القصر ، ابراك الزاوية ، وابراك العافية ، وهناك ثلاث قرى اخرى تسمى براك وهي براك المسلى ، وبراك النزله ، وبراك الاشراف ، الطاهر احمد الزاوي : معجم البلدان الليبية ، المرجع السابق ، ص 52 .

([2]) عبد القادر جامي: من طرابلس الغرب إلى الصحراء ألكبرى، المصدر السابق، ص 288 .

الفصــل الثــاني

التجارة بين طرابلس ومدن السودان الغربي والأوسط

أولاً : التجارة بين طرابلس والسودان الغربي

1- مدينة غدامس
2- مدينة غات
3- مدينة سجلماسة
4- مدينة تكدا
5- مدينة كومبي صالح
6 - مدينة جني
7- مدينة جاو
8- مدينة اودغست
9- مدينة تادمكه
10- مدينة تمبكتو

ثانيـاُ التجـارة بين طرابلس والسـودان الأوسط .

1- مدينة جرمة
2- مدينة زويلة
3- مدينة تراغن
4- مدينة ودان
5- مدينة مرزق
6 - مدينة اوجلة
7- جبل نفوسة
8- مدينة كانو
9- مدينة بلما
10- مدينة كوكا
11- اغادس .

السلع التجارية بين طرابلس والسودان الغربي والأوسط

أولاً : السلع التجارية بين طرابلس والسودان الغربي.

الملـح، الكتـب والمخطوطـات، الأقشـمة والمنسـوجات القطنيـة والصـوفية والحريريـة، الذهب والرقيق .

ثانياً : السلع التجارية بين طرابلس والسودان الأوسط

الخيـول والأسـلحة، الملـح ، المنسـوجات، العطـور وأدوات الزينـة ، الـودع، الزعفران والذهب ، الرقيق ، الجلود، الشب ، بيض، ريش النعام، العاج، الثياب.

التجارة بين ولاية طرابلس ومدن السودان الغربي والأوسط:

قبل الحديث عن التجارة بين ولاية طرابلس ومناطق ما وراء الصحراء تحديداً في منطقة (السودان الغربي والأوسط) هنالك العديد من التساؤلات التي لابد من طرحها في هذا الصدد وهي : ما هي أهم المراكز الصحراوية التي ارتبطت بعلاقات تجارية مع طرابلس ومناطق الشمال ؟ وما دور كل منها في الحركة التجارية ؟ وماهي أهم السلع المتبادلة بين مدينة طرابلس وتلك المراكز ؟

كانت المراكز التجارية التي تقع على أطراف الصحراء وعلى طرق القوافل التجارية في حركة دائمة وانتعاش وذلك لوقوعها في واحات خصبة مما ساعد على توفر الماء والغذاء والادلاء واستبدال الجمال والبضائع[1] . وأن كافة هذه الأمور تتم مع السكان المستقرين وبدو الصحراء فمنذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وحتى فترة الدراسة .

شهد جانبي الصحراء الشمالي والجنوبي نشوء المدن التجارية إذ بدأت تلك المراكز في التجمع والانتعاش وزاد عدد سكانها الذين دفعتهم ظروف الحياة عبور الصحراء مما أدى إلى قيام مدن على هذه الطرق . ولعل نمو التجارة ساهم في نمو تلك المدن فقد عمل هؤلاء السكان المتواجدون بها من مختلف العناصر في النشاط التجاري والدخول في خدمة تلك القوافل. هذا ونجد مع مرور الوقت قد تغير معالم الحياة في تلك المراكز من حياة بسيطة إلى حياة أكثر تحضراً[2] فقد نمت هذه المراكز وتوسعت وامتدت حدودها حتى أصبحت دولاً وشهدت العديد من الصراعات من أجل السيطرة على هذه المراكز .

لا شك أن الصحراء الكبرى لم تكن قاحلة منذ وقت بعيد ولم تكن عائقاً بين الشعوب ولا خالية من السكان، بل سكنتها أقوام وشعوب عاشت حياة البداوة والترحال فأقامت علاقات وطيدة مع سكان مناطق الشمال الإفريقي وجنوب الصحراء ولقد

---

(1) عبد الله محمد الحواسي : التجارة بين شمال إفريقيا وبلاد جنوب الصحراء وأثرها في نشر الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طرابلس ، 2005 ، ص 86 .

(2) البكري : المسالك والممالك، المصدر السابق، 15،14 . الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المصدر السابق، ص29، 30 إبن حوقل : صورة الأرض: المصدر السابق، ص 155 .

أصبحت الصحراء منذ مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي وحتى التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي منطقة عبور لهذه الشعوب والأقوام الأمر الذي ساهم في ازدهار العديد من المراكز التجارية الصحراوية التي كانت لها ارتباطاً وثيقاً بالأمصار الكبرى شمال الصحراء [1].

واتصلت هذه المراكز بطرق التجارة العالمية البرية والبحرية فكانت صلات هذه المراكز التجارية بموانئ سواحل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي [2].

فقد شهدت بعض من مدن الصحراء كمراكز اتصال بين الشمال والجنوب وأمتهن أهلها التجارة .

أولاً : عن التجارة بين طرابلس والسودان الغربي .

تشير المصادر التاريخية إلى متانة الصلات وتطورها عبر العصور بين طرابلس ودول جنوب الصحراء الإسلامية التي قامت في السودان الغربي فتدفقت الهجرات المتبادلة عبر الصحراء خاصة بعد ظهور الإسلام حيث نمت وازدهرت الصلات التجارية والثقافية والسياسية والاجتماعية والتي ساهمت في تأسيس العديد من المراكز التجارية في السودان الغربي .

ولعل أهم هذه المراكز التي كانت لها علاقات تجارية مع طرابلس ومناطق الشمال الإفريقي والمغرب العربي هي:

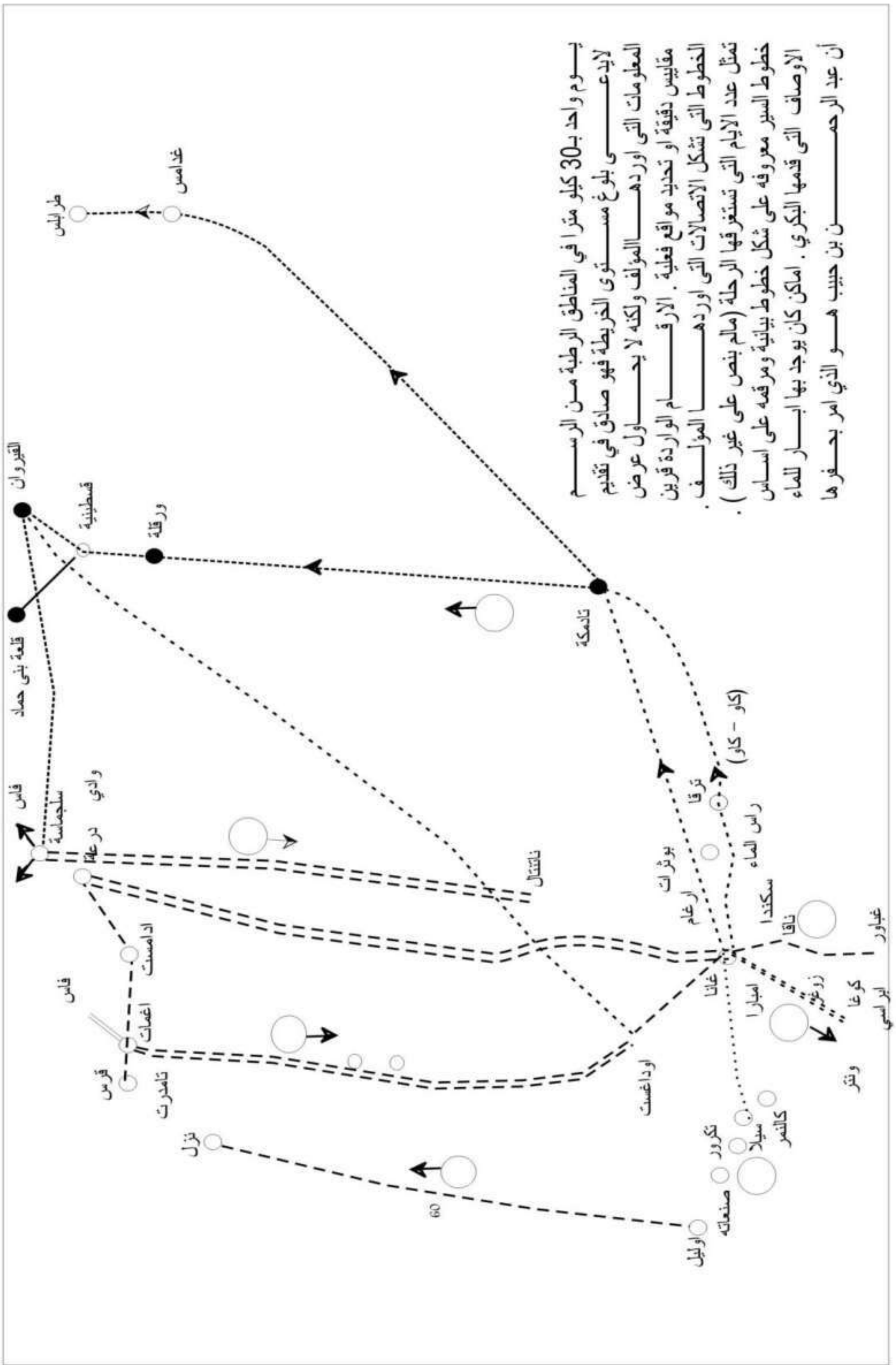
مدينة غدامس :

تقع مدينة غدامس في الجنوب الغربي من طرابلس وتتمتع بموقع استراتيجي جعلها مركزاً تجارياً منذ العهد الروماني وقد سماها الرومان (سيداموس) فكانت حصناً تجارياً وحربياً للرومان على طريق جرمة جنوباً [3].

---

(1) نقولا زيادة: سكان الصحراء والسودان الغربي مجلة الفكر العربي، عدد 51 ،حزيران 1988م ص49 .
(2) أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر، مصر، 1325هـ ج1، ص187 .
(3) حسن الوزان : المصدر السابق، ج1، ص 164 .

الطرق التجارية كما وصفها البكري :



المرجع لنج ديفس ، التجارة و الطرق التجارية في غرب افريقيا ، ص 449 ، تاريخ افريقيا العام ، مجلد 3 ، فصل 14 .

نقلا عن ديفس:التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا – ص 449 ، تاريخ أفريقيا العام، مج3، ص 14 .

إن مدينة غدامس تقع عند التقاء الحدود الليبية مع تونس والجزائر ولقد لعبت دوراً هاماً خاصةً في العهد الاسلامي بعد حملات عقبة بن نافع الفهري على فزان والمغرب[1]. حيث قامت بتسهيل مرور القوافل التجارية بين الشمال والجنوب وذلك باعتبار أنها تقع عند مفترق الطرق القادمة من تونس وطرابلس والجزائر فهي بحق بوابة الصحراء مما أتاح لها فرصة التبادل التجاري بين المناطق الافريقية . يعتبر سوقها الذي يقع وسط المدينة أحد أهم الأسواق التجارية وهو يعج بالكثير من التجار القادمين من بلاد المغرب العربي كالجزائر وتونس والمغرب الاقصى[2].

وكان سكانها من الغدامسين يقومون بتوفير السلع المطلوبة سواء السلع المحلية أو المستوردة من خارج المدينة. وأهم هذه السلع المنسوجات الصوفية والجلود التي قامت عليها العديد من الصناعات[3] .

إلى جانب توفير فرص العمل وخاصة أن سكان هذه المدينة يمتازون بالنشاط التجاري فقد كان السكان يقومون بتعويد الأطفال على تعلم فنون التجارة منذ الصغر. وذكر الحشائشي: "عندما يبلغ هؤلاء – يقصد الأولاد – سبع سنوات من العمر ويحفظون نصيباً من القرآن يرسلونهم إلى تونس للقيام بالتدريب على التجارة وهنالك يتعلم هؤلاء الشبان معرفة قيمة المال وينمون ذكاءهم ولهذا كانت عقول جميع الغدامسيين متفتحة غير متخلفة وهم أكثر ذكراً من اليهود أنفسهم في شؤن التجارة"[4].

يتضح من هذا النص أن الغدامسيين استطاعوا بذكائهم ونشاطهم السيطرة لفترة طويلة على أسواق تجارة القوافل القادمة من طرابلس والمتجهة إلى غات وكانو إلى

---

(1) عزالدين عمر موسى : طريق عبر الصحراء الليبية من المغرب الأقصى إلى مصر، مجلة البحوث التاريخية، 1983م، ص23.
(2) المرجع نفسه ، ص24 .
(3) Bohen: Briouh: The Sahara and Sudan (1888-1886): Clarehdom press, oxford, 1964 , p113 .
(4) الحشائشي: الرحلة الصحراوية، المصدر السابق، ص167 .

تـوات وتمبكتـو الأمـر الـذي جعـل هـؤلاء السكان يجنـون أمـوالاً طائلـة حتـى أصـبح الغدامسي يكيل الذهب كيلاً .

يؤكد حسن الوزان ذلك عندما يصف مدينـة غدامس قائلاً: بأنها منطقة كبيرة مسكونة حيث القصـور العديدة والقرى المأهولـة موكداً الدور التجاري للمدينـة وتـأثير علـى اقتصـادها بقولـه: سكانها أغنيـاء لهم بسـاتين وأموال لأنهم يتـاجرون مـع بـلاد السودان[1].

يتبين من هذا النص أن معظم تجار غدامس علـى صـلات وعلاقات تجاريـة مع بلاد السودان الغربي والأوسط فيما يتعلق بتجارة الذهب والرقيق والملح . كما أن الحميري وصفها وصف دقيقاً حيث قال : "غدامس في الصحراء سبعة أيام من جبل نفوسة وهي مدينـة قديمـة أزلية إليها ينسب الجلد الغدامسـي وبها دواميس[*] وكهوف كانـت سـجوناً للملكـة[*1]. وتلـك الأرض لـم تكـن صـحراء وإنمـا كانـت عـامرة ومـن غدامس يدخل تادمكة أهلها من المسلمين" [2] .

أما ياقوت الحموي فيصف أهم الصناعات بها فقال: "غدامس مدينـة بـالمغرب ضـاربة فـي بـلاد السودان فيهـا الجلـود الغدامسية وهـي مـن أجـود أنـواع الـدباغ شـيء يفوقها من الجودة كأنها ثياب الخز في النعومة والاشراق"[3].

ظلت غدامس فـي غايـة الاهميـة حيث ارتبطت تجاريـاً بمدينـة تمبكتـو[4] وجـاو وأغادس فصارت محطة مهمة بين طرابلس وبلاد السودان الغربي [5].

---

(1) حسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، المصدر السابق، ص164-165 .

(*) دواميس : هو عبارة هو عبارة عن نظام سكن أي بناء من الحجر او على شكل كهوف تسمي بالدامس أو الداموس وهي مغارات منحوتة في الجبل ، صالح معيوف مفتاح : جبل نفوسه وعلاقته بالدولة الرستومية ، المرجع السابق : ص208 .

(*)1 الملكة الكاهنة إسمها داهية بنت ماتيةالزناتية أو بنت تاتية وهي من قبيلة جراوة زناتة وكانت بارعة في علم الكهانة وكونت قوة إستطاعت بها أن تملي إرادتها على قومها وتحكمهم وقد يشمل نفوذها أكثر إفريقيا وكان الروم يهاجموها وإستعملوها ضد المسلمين . الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المرجع السابق، ص 134.

(2) الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار، المصدر السابق، ص427-428 .

(3) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج4 ، المصدر السابق ، ص187 .

(4) الأمين عوض الله: تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي (تجارة القوافل ودورها الحضاري في نهاية القرن تاسع عشر) ، بغداد معهد البحوث والدراسات العربية 1984 ، ص80 .

(5) إبن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ج2، المصدر السابق، ص 709 .

كما إن لها طريقاً أخر إلى أغادس ثم كانم ويتجه طريق آخر إلى مرزق ومنها بلما ثم برنو [1]. إضافة إلى ذلك إن أهل غدامس تجار يزاولون مهنة التجارة ولقد ذكر إبن بطوطة عند مرافقته لقافلة كبيرة من الغدامسين من كوكو على نهر النيجر إلى تكدا . "إن غدامس ليست حلقة وصل بين طرابلس وجنوب الصحراء فقط بل كان لها دور بارز في التواصل التجاري بين المغرب الأوسط والأدنى والأقصى وذلك لإلتقاء القوافل التجارية وقوافل الحج على أراضيها وإنطلاقها منها إلى كافة الجهات"[2] .

مدينة غات :

تقع غات في الطرف الجنوبي من ولاية طرابلس[3] . وتعد أولى المحطات التي يستريح فيها التجار القادمون من السودان، ويتفرع منها عدة طرق يمكن الاتجاه منها إلى مرزق أو غدامس كما أنها ترتبط بطريق توات السودان الغربي[4]. وأصبحت مدينة غات من أهم المراكز على طرق القوافل الصحراوية التي تمر منها قادمة من ولاية طرابلس عن طريق غدامس إلى كانو، وغالباً ما تمر بها قافلتين في العام، إضافة إلى بعض القوافل الصغيرة التي تنطلق منها والتي تنظم إليها لبعض القوافل القادمة من الواحات الليبية الأخرى، كما تأتي إليها القوافل من الجزائر عبر مدينة جانت[*] المدينة الحدودية[5] .

([1])يحيى بوعزيز: طرق القوافل والاسواق التجارية بالصحراء الكبرى، ندوة التجارة ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، بغداد ، معهد البحوث والدراسات العربية، 1984م ، ص131 .

([2]) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، المصدر السابق، ج2، ص146 .

([3]) إبراهيم مختار: المرجع السابق، ص 59 .

([4]) اليعقوبي : تاريخ البلدان، تحقيق دي غوية ليون، 1892م، ص 345 .

(*) جانت : اسم واحة حالياً تقع داخل الاراضي الجزائرية وبها خمس قرى تقع في سهل فسيح يعرف باسم سهل ادمار يقع عند سفوح الجنوبية لسلسلة جبال هضبة (تاسيلى) ويشكل سهل أدمار مع الوديان التى تهبط من جنوب منحدر مياه جبال تاسيلي ، وتعتبر مرعى للطوارق وتقع على بعد (150كلم) من بلدة غات وتقع على الطرق المستقيم بين غات وكانو ، محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب ، المرجع السابق ، 192 .

([5]) عبد القادر جامي: المرجع السابق، ص 13 .

إن أهمية مدينة غات تتمثل في موقعها في منتصف المسافة تقريباً بين ولاية طرابلس في الشمال وبرنو ونهر النيجر في الجنوب مما جعلها مركزاً أو محطة مهمة لطرق القوافل للراحة وللتزويد بالماء والزاد واستبدال الأبل والأدلآء[1] .

كانت قبائل الطوارق المنتشرة بهذه المنطقة قد ساهمت في نجاح التجارة في مدينة غات وتقديم أفضل الخدمات لتلك القوافل لأنها تمثل مصدر عيشهم ورزقهم خاصة وإن تجارة القوافل يرتبط استمرارها بوجود الأمن والأمان في المناطق التي تمر بها وهي االتي تمثل موطن قبائل الطوارق.

لقد كان بمدينة غات سوقاً تجارياً رائجاً بالمنتجات والسلع مثل رئس النعام والجلود والحيوانات والرقيق. بالإضافة إلى السلع والمنتوجات الواردة إليها من طرابلس والمناطق الأخرى كما وفرت هذه المدينة للتجار القادمين إليها ورجال القوافل الزوار والوكلاء النزل لأجل الإقامة والسكن. وفي هذه المدينة يتم تصريف هذه البضائع عن طريق المقايضة كما يتم عقد الصفقات التجارية الكبيرة في الفنادق التي يقيم فيها أصحاب القافلة ووكلاء التجار[2].

مدينة سجلماسة :

بعد قدوم العرب المسلمين إلى مناطق الشمال الأفريقي والمغرب العربي، ازدادت الحركة[3] التجارية في المناطق الغربية من الصحراء الكبرى نتيجه توغل العرب في تلك المناطق مما أدى إلى نشأه هذه المدينة في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي فقد اتخذها الخوارج بنو مدرار عاصمة لهم حتى استولى عليها الفاطميون فأدرت عليهم أموالاً طائلة كما استولى عليها المرابطون في

(1) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 160 .
(2) عبد القادر جامي: المصدر السابق، ص 13- 14 .
(3) فرج محمد فرج:اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادين، الجزائر المؤسسة الوطنية لكتاب،1977م، ص66-67 .

منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وظلت هذه المدينة عامرة وخضعت لحكم الموحدين في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي[1] .

ولعل وقوع مدينة سجلماسة في أراضي خصبة ومكان فسيح وفي وادي كثير المياه فضلاً من قربها من أماكن إنتاج الذهب مما جعلها قادرة على احتواء حركة التجارة المتنامية، وكذلك وقوعها في بداية الصحراء قد مكنها من الوصول إلى الممالك الإفريقية ومنها إلى بلاد غانا[2]، وكانت لها تجارة مع بلاد السودان وربط الجغرافيون العرب اسمها بتجارة الذهب[3] . ويبدو أن سجلماسة قد حافظت على مكانتها التجارية لعدة قرون، حيث وصفها المقدسي: بأنها كثيرة الغرباء وبها معادن الذهب والفضة[4]، فمن أجل توافر الذهب والفضة بها أصبح سكانها أغنياء.

فالتجارة هي مصدر الثروة الكبيرة التي تجمعت بهذه المدينة وخاصة الثروة الذهبية التي كانت بأيدي سكانها وخاصة التجار[5].

ظلت مدينة سجلماسة من أهم المراكز التجارية في الصحراء التي يقصدها تجار طرابلس وجبل نفوسه وغدامس لجلب ما يتوفر فيها من سلع وخاصة الذهب والفضة وبعض السلع الأخرى، وقد وصفها ابن حوقل قائلاً: (ليس بالمغرب، كله أجمل ناحية أوفر وأغزر وأكثر خيراً منها، أهلها يضيفون المارة ويطعمون الطعام)[6] .

---

(1) حسن الوزان: وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص121 .
(2) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية المغرب، المصدر السابق، ص 149 .
(3) ابن حوقل : صورة الأرض، المصدر السابق، ص199،
- الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 37 .
- المقدسي : (شمس الدين ابن عبدالله محمد أحمد)، أحسن التقاسيم في معرفة أحوال الأقاليم، طبعة ليدن، ط2، ص 331 .
(4) المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نفس المصدر، بيروت، مكتبة الخياط، (د. ت)، ص 231 .
(5) الجنحاني : الحبيب: المغرب الإسلامي- الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، الدار التونسية للنشر، 1977م، ص 176 .
(6) ابن حوقل: صورة الأراضي : مصدر سابق، ص 99 .

يتضح من هذا النص أن مدينة سجلماسة لما تتمتع به من خصائص جعلها مركزاً مهماً يقصده التجار من الشمال الأفريقي وبلاد المغرب، كما ارتبطت بعلاقات وثيقة مع المراكز التجارية بالسودان الغربي[1] .

فكانت القوافل تنقل البضائع القادمة من الشمال وبلاد المغرب إلى السودان وتأتي بضائع السودان بما فيها التوابل والذهب وغيرها . ولا شك إن هذه العلاقات والمبادلات التجارية قد انعكست على سكان هذه المدينة حيث ازدادت ثرواتهم وأموالهم[2] .

ولعل هذه الرسالة التجارية توضح وتبين عمق الاتصالات التجارية وازدهارها بين بلاد المغرب العربي وبلاد السودان الغربي، فقد كانت من تاجر مغربي، يدعى حمدوالشان الفاسي، ... وكيله بالسودان الغربي ونصها:" الحمد لله وكل تشتاب من يضع اسمه عقب تاريخه أشرف حامد على ماله بذمة اشريف سميه وصى أحد وعشرون مثقالاً ذهب وعدد له ملح وأربعة حجر عدد 1000 مائة وعلى غيره الشريف عيسى أحد عشر مثقالاً توكل مفوض أقمه مقام نفسه، وبداء من على القرار ونكار على القبض وإقرار وإبطال بتاريخ أواخر شهر الله المعظم رمضان عام ستمائة وألف عبيد ربه حمدو (بياض) حمدو الشأن الفاسي كان الله له آمين"[3] .

مدينة تكدا:

من أهم المحطات والمراكز التجارية جنوب الصحراء فمدينة تكدا، تقع في الجنوب الغربي من مدينة تمبكتو بحوالي أربعمائة وخمسين كلم .

لقد ورد ذكر هذه المدينة في العديد من المصادر التاريخية وكتب الرحالة العرب المسلمين، وقد أوضحت مدى أهمية هذه المدينة ودورها في الحركة التجارية،

---

(1) البكري: المغرب في ذكر بلاد المغرب وافريقيا، المصدر السابق، ص151- 153 .
(2) الإدريسي: المصدر السابق، ج1، 105. حسن الوزان: وصف أفريقيا، المصدر السابق، ص127، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ: الدار البيضاء، دار الرشد الحديثة، 1984م، ج2، ص181 .
(3) حمدوالشان الفاسي: يبعث برسالة تجارية إلى وكليلة في السودان الغربي، الشريف حامد، مخطوط، مركز الشيخ المختار الكنتي، دون تصنيف ورقة واحدة تاريخها 1106هـ .ب

ذكرها ابن فضل الله العمري في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. وكذلك القلقشندي الذي نقل عنه في القرن التاسع /الهجري الخامس عشر الميلادي، والذي ذكر أن بها مناجم غنية تنتج كميات كبيرة من النحاس[1] .

كما ذكرها ابن بطوطه الذي زارها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، واصفاً معدن النحاس وطريقة تعدينه حيث يقول: "يحفر عليه في الأرض، ويأتون به إلى البلد فيسكبونه في دورهم، ويوزع بعد ذلك في بلاد السودان" [2].

أصبحت تكدا من المدن التجارية الهامة والتي بها أسواق يتردد عليها تجار القوافل وخاصة بعد اكتشاف معدن النحاس وتعدينه وكذلك الملح بها مما جعل أهلها على درجة كبيرة من الثراء ونالت هذه المدينة شهرة عظيمة وظل تجار القوافل الصحراوية يصلون إليها قادمين من مصر وبرقه وطرابلس وفزان وتونس وكافة بلاد المغرب لإستيراد النحاس وكذلك جلب الرقيق.

مدينة كومبي صالح:

تقع مدينة كومبي صالح والتى سميت على صالح بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنه. في الجزء الجنوبي الغربي من مدينة تمبكتو وهي عاصمة مملكة غانا التي أسسها قوم من العرب القادمين من أقليم برقه بليبيا[3] .

إذ تشير بعض المصادر التاريخية إنها بنيت سنة 300م أيام أسرة البيض الأولى التي حكمت غانا كما أخذت هذه المدينة في النمو والازدهار على يد حكامها وسلاطينها من السوننك[4] .

(1) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تعليق أيمن فؤاد السيد، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي، للآثار الشرقية 1985م، ص74- 75. القلشندي: المصدر السابق، ج5، ص 29 .
(2) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 697 .
(3) محمد سعيد القشاط: الطوارق عبر الصحراء الكبرى: دار الرواد طرابلس ليبيا، ط1، 1994م، ص 26 .
(4) إبراهيم طرخان علي: امبراطورية البرنو الإسلامية،الهيئة العامة للتأليف، 1970م، ص 31 .

فقد ذكر البكري قائلاً: "غانا مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنى عشر مسجداً" [1] .

ويبدو أن هذه المدينة التي يوجد بها العرب المسلمون والتجار تحتوي على العديد من المساجد والمدارس لتعليم القرآن وأصول الدين، فقد كانت تعج بأرباب العلم الذين يقومون بتثقيف أهالي تلك البلاد بعد دخول الإسلام إليها في الأمور الدينية وكذلك تزويدهم بكافة العلوم الأخرى .

أما عن المدينة الأخرى كان يوجد بها الملك وحاشيته وتبعد حوالي ستة أميال عن المدينة التي يقطنها العرب المسلمون[2] .

اصبحت مدينة كومبي صالح بموقعها المتميز أحد المحطات والمراكز التي تتحكم في منافذ تجارة الصحراء حيث كان تجار بلاد المغرب من فاس والقيروان وتونس وطرابلس وفزان وغدامس وغات تقصدها القوافل التجارية العابرة الصحراء من أجل الحصول على معدن الذهب .

في الوقت نفسه يأتي إليها أهل بلاد السودان من الجنوب وحاملين بضائعهم وخاصة الذهب راغبين في استبداله بالملح أحد السلع المهمة الواردة من الشمال[3].

وهكذا ظلت مدينة كومبي صالح العاصمة الغانية حلقة وصل وعلى صلة بكافة المراكز والمحطات التجارية الداخلية والخارجية التي تربط مناطق الشمال والجنوب.

مدينة جنى :

تقع جنى على بعد مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من مدينة تمبكتو[4] . وتعددت الآراء في تاريخ تأسيس هذه المدينة فبعضهم يرى أنها أسست في النصف الأول من

---

(1) البكري : الممالك والمسالك، المصدر السابق، ج2، ص 872 .

(2)مؤلف مجهول الاستبصار : المصدر السابق، ص 220. عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا 1038- 1221م ، بيروت، دار القرب الإسلامي، 1988م، ص 111 .

(3)الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المصدر السابق، ص7. - بوفيل تجارة الذهب، المرجع السابق، ص82 .

(4) أحمد شلبي: الموسوعة الإسلامية، المرجع السابق، ج6، ص 99 .

القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ويرى البعض الأخر أنها أسست في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[1] .

غير أن مدينة جنى قد أسست في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي هذا ما أورده السعدي عندما قال عن مدينة جنى: "هي عظيم من أسواق المسلمين وفيها يلتقي أرباب الملح من معدن التفازا وأرباب الذهب (......) ابتدأت في الكفر في أوسط القرن الثاني من الهجرة (.....) ثم أسلموا عند تمام القرن السادس والسلطان كثير هو الذي أسلم وأسلم أهلها بالسلامة ولما عزم على دخول في الإسلام وأمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا في المدينة وبلغوا أربعة ألف ومائتان عالماً فأسلم على أيديهم وأمرهم أن يدعوا له"[2] .

ولعل الرخاء الذي كان سائداً في هذه المدينة هو الذي مكن الملك الأسكيا محمد الكبير من الذهاب إلى الحج وشراء العديد من الكتب وتشجيع العلماء.

ويبدو أن مدينة جنى التي يوجد بها العديد من البحيرات تخللها العديد من الأنهار والمزدحمة بالسكان كانت في القرن الرابع عشر من أهم المراكز والأسواق المزدهرة في غرب أفريقيا حيث لعبت دوراً تجارياً وثقافياً في تلك الفترة كما كانت من المدن التي تنافست مدينة تمبكتو.

ويقصدها التجار والعلماء من طرابلس وجبل نفوسه وغدامس وفزان وكذلك كافة مناطق المغرب العربي عبر الصحراء[3] .

مدينة جاو :

تقع في شمال شرق مالي على الضفة اليسرى لنهر النيجر وهو مسلك صالح للملاحة ففي طريقه يمكن الوصول لعدد من الأسواق[4] ، أصبحت جاو عاصمة

([1]) حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، المرجع السابق، ص 217 .

([2]) عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، المرجع السابق، ص 12- 13 .

([3]) محمد الشريف: الغرب الإسلامي، نصوص دفينة ودراسات، ط2، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، 1999م، ص 142 .

([4]) شوقي عطا الله جمل: تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة، القاهرة، 1984م، ص42 .

لإمبراطورية سنغي منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي فقد قامت هذه المدينة على أنقاض مدينة كاوكاو وهي تعني العاصمة القديمة كوكيا والتي كانت معاصرة لمملكة غانا . ذكر السعدي أن عاصمة السونغي الأولى كانت كوكيا[*] وبدخول سونغي ميدان التجارة العابرة للصحراء نشأت مدينة جاو الجديدة شمال كوكيا كمحطة للطرق الصحراوية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[1] .

إن جاو تتكون من مدينتين فالملك ونبلائه يعيشون على الضفة الغربية للنهر أما الضفة الشرقية فهي المدينة التجارية الحركة إليها دائبة من كل الأنحاء حيث فيها البضائع والسلع من بلاد السودان وتأتي إليها القوافل التجارية من شمال سواء من طرابلس أو جادو وزويلة[2] . وكثيراً ما يرافق هؤلاء التجار العديد من العلماء والفقهاء ولهذا يوجد بها العديد من المساجد ومدارس لتعليم القرآن وأصول الدين، كان الملك ونبلائة يلبسون العمامة[3] .

مدينة جاو كانت لها علاقات تجارية مع طرابلس وجبل نفوسه في عهد الدولة الرسمتية ودولة أبن الخطاب المعافري عبر ورقلة وزويلة في فزان فقد بلغت أقصى إتساعها وازدهارها وذلك لوقوعها عند نهاية الطرق الصحراوية التي تعبر المنطقتين الشرقية والوسطى من الصحراء الكبرى المتجه نحو حوض نهر النيجر يذكر اليعقوبي في القرن الثالث الهجري قائلاً : "بأنها أعظم مناطق السودان"[4].

كما يذكر حسن الوزان "إن مدينة جاو كان يتردد عليها عدد كبير من الزنوج لشراء الأقمشة التي تجلب من الشمال الأفريقي وأوروبا كما لها أماكن لبيع الرقيق"[5]، خاصة في الأوقات التي يجتمع فيها التجار يتضح من هذا النص إن

(*) كوكيا : تقع في المنطقة الشمالية الغربية من حدود نيجريا الحالية ، عطية مخزوم الفيتوري ، المرجع السابق ، 302 .

(1) عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 14 .

(2) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ط 1، النهضة المصرية، القاهرة، 1983م، ص 207 .

(3) المرجع نفسه، ص 207 .

(4) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج1، ط1، 1900، ص 193 .

(5) حسن الوزان: وصف أفريقيا، المصدر السابق، ص 169 .

مدينة جاو كانت ذات شهرة عظيمة وأن أغلب السكان الذين يعيشون فيها هم تجار القوافل على جانب كبير من الثراء وسوق تداول فيه مختلف البضائع والرقيق إضافة إلى معدن الذهب. لقد تحدث الوزان عن الذهب فيها حيث قال: "إن وفرة الذهب في جاو، وذلك بدرجة أن جعل التجار لا يستطيعون دائماً بيع كل ما يجلبونه إلى السوق وأحياناً يرجعون بما تبقى لديهم من هذا المعدن الثمين"[1] .

وهكذا ظلت مدينة جاو من أهم المراكز والمحطات التجارية التي لعبت دوراً سياسياً واقتصادياً في بلاد السودان الغربي ردحاً من الزمن غير أنها في أواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، دخل حكام هذه المدنية في صراع ونزاع مع سلطان مراكش بشأن مناجم الملح في الصحراء[2] .

مدينة أودغست :

أودغست مدينة من مدن السودان الغربي وهي من أهم المراكز والمحطات التجارية والثقافية الإسلامية حيث كانت عاصمة دولة المرابطين بعد مدينة أزوقي[*] ذكرت في العديد من الكتابات العربية الإسلامية فقد ذكر البكري "إنها تقع بين بلاد الزنزج ومدينة سجلماسة واحد وخمسين يوماً من غانا"[3] .

كما ذكر ياقوت الحموي: "إنها تقع بين جبليين إلى الجنوب من مدينة سجلماسة المغربية والمسافة بين المدينتين أربعين مرحلة"[4] .

ومدينة أودغست يسكنها مزيج من العرب المسلمين وقبائل السوننكي[*][1] وكانت السلطة في هذه المدينة للمتونة أحد قبائل صنهاجة[1] . هذا ما يوضح لنا أن

([1])حسن الوزان: وصف أفريقيا، المصدر السابق، ص 169- 170 .

([2]) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، 270، دنيسي يولم: الحضارات الأفريقية، ترجمة علي شاهين، مكتبة الحياة، بيروت، 1974م، ص 51-52 .

(*) آزوقي: تقع هذه المدينة قرب مدينة آطار الحالية وهي الآن غير موجودة وأن شعب الياقور قام بناها قبل مجيء العرب إلى تلك المناطق . محمد سعيد القشاط: الطوارق عرب الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص 25 .

([3]) البكري : الممالك والمسالك، المصدر السابق، ص 159.

([4]) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 227 .

(*)[1] السوننكى Soninke : وهم أحد فروع الماندي ومنهم الديولا ، ولهذه القبيلة تسميات مختلفة فقد عرف اهلها بالسوننك او السراكولى او مركا وهم الذين شكلو تاريخيا عصبياً بمملكة غانا منذ عهدها الوثني ، وهم يتميزون بقوة جسمانية وعادات وتقاليد اجتماعية فريدة ، وقد انتشر نفوذهم في اجاء واسعة من السودان الغربي ، وقد حدث نمادج بين السوننكى والقبائل المهاجرة والوافدة على المنطقة من الشمال الافريقي منذ القدم ، شوقي عطاالله الجمل : تاريخ المسلمين ومشكالاتهم ، المرجع السابق ، ص101 .

المؤثرات العربية الإسلامية وصلت إلى هذه المناطق في فترة مبكرة من خلال تدفق الهجرات العربية التي أخترقت آفاق الصحراء واختلطت وامتزجت واستقرت في تلك المناطق .

أصبحت مدنية أودغست والتي تتمتع بموقع جغرافي مميز أن تكون مركزاً تجارياً هاما وذلك لوقوعها على حدود بلاد السودان فهي ملتقى لجميع القوافل التجارية القادمة من الشمال الأفريقي والمغرب الأقصى والمحملة بكافة السلع والبضائع من الحبوب والفواكه والملح والأقمشة والحرير والأدوات النحاسية ويتم استبدال تلك البضائع بالذهب[2] وذهب أودغست من أجود الذهب[3] . من التجار الذين أرتادواأودغست من ليبيا، أبو رستم النفوس من جبل نفوسة غرب مدينة طرابلس[4] .

كما يصف صاحب الاستبصار، مدينة أودغست حين قال: " لهم أسواق حافلة عامرة الدهر كله لا يكاد يسمع الإنسان جليسه لكثرة غوغاء الناس"[5] .

يتبين لنا من هذا النص أن مدينة أدوغست قد شهدت حركة تجارية نشطة وذلك لكثرة التجار الوافدين عليها من كافة المناطق الشمالية بأفريقيا .

ومن المناطق المجاورة لها حتى أن الجليس لا يسمع جليسه من كثرة زحام والتحاور بين الناس في تلك الأسواق . فقد أزدهرت هذه المدينة نتيجة ارتباطها بعدة طرق تجارية سواء برية من بلاد المغرب أو بمراكز الصحراوية المؤدية إلى بلاد السودان فضلاً عن ارتباطها بحرياً عبر المحيط الأطلسي تأتي إليها البضائع والسلع من كل بلد خاصة الملح والذهب .

---

(1) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، المرجع السابق، ص 215. أبو الفداء، المصدر السابق، ص 37 .

(2) الاستصبار : المصدر السابق، ص 216 .

(3) البكري : المسالك والممالك، المصدر السابق، ص 848- 849 .

(4) مقرين بن محمد البقطوري: سيرة أهل نفوسة، مخطوط ورقة رقم 56 .

- البكري: المسالك والممالك، المصدر السابق، ص 848- 849 .

(5) الاستبصار: المصدر السابق، ص 215 .

مدينة تادمكة:

تقع مدينة تادمكة في شمال شرق مدينة جاو على بعد تسعة أيام منها وكذلك على بعد واحد وأربعين مرحلة من مدينة غدامس الليبية . تعد تادمكة من أهم المحطات التجارية في العصر الوسيط فقد كانت حلقة وصل وملتقى لعديد من القوافل الصحراوية القادمة من مدينة طرابلس وغدامس وجبل نفوسة وغات ومنها إلى مدينة جاو في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلاد[1].

كانت تحتوي وتزخر بالعديد من العناصر السكانية المختلفة حيث يتردد عليها تجار الشمال الإفريقي وخاصة الأباضية من جبل نفوسة وغدامس وجادو وزويلة والقيروان ورقلة لتسويق بضائعهم واستجلاب الذهب منها التي ياتيها من المناطق الأخرى .

يصف ابن حوقل سلاطين تادمكة قائلاً: " حكامها بني تأنماك بأنهم سودان أبيضت ابشارهم " [2] لاشك أن هذه العبارة تكشف لنا مدى الاختلاط والامتزاج والتصاهر بين العرب المسلمين القادمين من الشمال الإفريقي والمغرب الأقصى مع أهل بلاد السودان الأصليين. إن مدينة تادمكة. فقد ازدهرت وأصبحت لها شهرة تفوق مدينة جاو ومدينة غانة من الناحية العمرانية[3] وكذلك الاقتصادية نتيجة ازدياد الحركة التجارية بها واتصالها مع بلاد السودان[4].

مدينة تمبكتو:

تقع تمبكتو في شمالي مالي عند الأطراف الجنوبية من الصحراء الكبرى بالمنطقة المعروفة بمنحنى النيجر، وتبعد هذه المدينة عن مجرى نهر النيجر بمسافة

---

(1) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا، المصدر السابق، ص 182 ، 183، الاستبصار، المصدر السابق، ص 225 .
(2) ابن حوقل : صورة الأرض، المصدر السابق، ص 105.
(3) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا، المصدر السابق، ص 181 .
(4) ابن سعيد : الجغرافيا، المصدر السابق، ص 115.

تقدر بأثنى عشر ميلاً[1]. ولعل قربها من هذا النهر قد جعل هذه المدينة ذات أهمية باعتبار هذا النهر حلقة وصل بينها وبين البحر في عملية النقل والتواصل . نشأت تمبكتو على يد الطوارق إبمفراشن[*] في أواخر القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي بعد سقوط مدينة ولاتة[*] . فقد أصبحت تمبكتو مركزاً وملتقى تجارياً هاما خاصة بعد استقرار الأوضاع في عهد المرابطين. حيث قصدها التجار والعلماء من الشمال الأفريقي والأندلس وأحاط بها طلاب العلم من أبناء بلاد السودان من النيجر كانم وبرنو والهوسا والسنغال فقد ذاع صيتها.

واعتبرت في فترة من الفترات الوسيطة جامعة إسلامية لتعليم الدين الإسلامي وتحفيظ القرآن وعلوم اللغة العربية، قال عنها: عبد الرحمن السعدي: "ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن، مأوى العلماء والعابدين"[2].

أما من الناحية الاقتصادية فقد أزدهرت تمبكتو وكان ذلك نتيجة تجارة المرور بها خاصة الذهب والملح فكانت لها أسواق كبيرة تتجمع فيها المنتجات والسلع من الشمال وجنوب القارة ووسطها هذا واخذ التجار يتوافدون عليها وخاصة من الشمال الأفريقي، ومنهم تجار من ليبيا من غدامس وزويله وطرابلس وغات، إضافة إلى تجار المغرب الأوسط والأقصى حيث كانوا في حركة دورية معها يحملون إليها بضائعهم، ويعودون محملين بالذهب، والرقيق والعاج وريش النعام وغيرها[3]. ويبدو أن مدينة تمبكتو بلغت درجة عالية من التقدم والرقي الاقتصادي باعتبارها منجماً

([1]) حسن الوزان، وصف أفريقيا، المصدر السابق،ص 539 .

([*]) الطوارق ابمفراشن : كانوا يقطنون بين تمبكتو واروان ، احمد بابير الاروانى : الجواهر الحسان في أخبار السودان ، المصدر السابق ، ص10 .

([*])[1] ولاته مدينة تقع شمال تمبكتو على بعد 500 ميل كان لها شأن عظيم وتجارة واسعة، حسن الوزان، نفس المصدر، ص 161 .

([2]) عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان، باريس ، نشر هوداس ويتوه 1964م، ص 9 .

([3]) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1984م، ص 218 .

للحصول على الذهب الذي كانت تتم مبادلته بالملح بما يساوي 80 مثقالاً من الذهب[1] .

ولا شك أن معدن الذهب استقطب العديد من التجار لهذه المدينة وإلى سوقها مما جعلها من أهم المحطات والمراكز التجارية التي تقصدها القوافل الصحراوية القادمة من كافة المدن التجارية في أفريقيا لبيع والشراء ففي سنة 751هـ/1350م قد بلغت القوافل القادمة إليها من الشمال الأفريقي اثنى عشر ألف جمل[2] . وهذا إن دل إنما يدل على أن مدينة تمبكتو كانت بها خيرات كثيرة وأسواق وحوانيت تمتلئ بكافة المنتجات الإفريقية إضافة إلى المنتجات الأوروبية من المنسوجات والأقمشة القطنية .

كما أن هذه المدينة كان يتردد عليها العديد من كبار التجار من مختلف المناطق ولعل هذا ما أكده ابن بطوطة عندما قال : "أن تمبكتو بها قبر سراج الدين بن كويك أحد كبار التجار المصرين من مدينة الإسكندرية"[3] .

لقد أوضح عبد الرحمن السعدي، بأن تمبكتو ملتقى للتجار وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة من كل بلاد[4] . لقد كانت هذه المدينة أحد المحطات والمراكز التجارية الزاخرة في غرب أفريقيا حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي . حيث كانت تمبكتو لها صلات وعلاقات تجارية مع طرابلس فالبضائع الوافدة من الأسواق الأوروبية عبر البحر الأبيض المتوسط فكان تجار طرابلس وأوجله وفزان وبرقة هم حملة هذه البضائع إلى بلاد السودان الغربي .

كما ساعد على أزدهار الحركة التجارية بين المدن الليبية ومالي المصنوعات الغدامسية التي فاقت نظيراتها في إتقان الصنعة فكانت الجلود الغدامسية من أجود

---

(1) الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر الميلادي، الدار المصرية، القاهرة، ط1، 1999م، ص 308 .

(2) أحمد بابير الأرواني : الجواهر الحسان في أخبار السودان، مخطوط ورقة 13، نعيم قداح أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكم كونا كرى، 1969م، ص 55 .

(3) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، المصدر السابق، ص 11 .

(4) lientprefonton: Historirdetombucts de se FondationaL occupation Fran caiseciiseparis, 1942, p. 34.

أنواع الجلود في تلك الفترة[1] . ويبدو أن تجار طرابلس وجبل نفوسه وجادو وغدامس كانوا أكثر التجار تردداً على مدينة تمبكتو، حيث كانوا يجلبون السلع من بلادهم، ومن ثم توزع في الأقاليم الأخرى وتشمل هذه السلع على المنسوجات والأحذية والملح، ويتم مقايضتها الذهب والصمغ والعاج وريش النعام والبخور[2] .

ثانياً: التجارة بين طرابلس والسودان الأوسط:

أما عن الصلات التجارية بين طرابلس والسودان الأوسط، وخاصة كانم وبرنو، دخلت هذه المراكز في علاقات قوية مع طرابلس في فترة حكم الحفصيين ومن بعدهم العثمانيين والقرمانليين وكذلك مع بلدان شمال أفريقية ويبدو أن العلاقة التجارية كانت أكثر مع المدن الليبية دون غيرها وذلك لوقوعها عند ملتقى طرق القوافل التجارية بين دول جنوب الصحراء وشمال أفريقية حيث تشكلت الواحات محطات تجميع وتوزيع للقوافل فقد سهل إقليم فزان عملية الاتصال والتبادل التجاري وأحكم الصلة بين القوافل التجارية القادمة من كانم برنو وأغاديس وودّاي، بلما إلى شمال أفريقية، أو الوافدة من الشمال إلى هذه المدن وغيرها من بلاد السودان هذا ونجد العديد من المراكز التجارية التي انتشرت على أطراف الصحراء والشمال والجنوب والتي كان لها دور هام في العملية التجارية بين طرابلس والسودان الأوسط[3] وإن أهم هذه المراكز التجارية التي كانت تربط طرابلس بالسودان الأوسط هي:

مدينة جرمة:

---

(1) عامرين علي الشماقي: كتاب الإيضاح، بيروت، مطبعة الوطن العربي 1970م، ص76 .
(2) أحمد التمبكتي: ورقة 4- 20 .
(3) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص107.

جرمـة مدينـة تقـع بـوادي الآجـال، والـذي يعـرف اليـوم بـوادي الحيـاة، فـي اقلـيم فـزان وتعتبـر مـن أقـدم وأهـم المراكـز التجاريـة والحضـارية فـي جنـوب ليبيـا وكانـت لهـا حضـارة قديمـة عرفـت بالحضـارة الجرمنتيـة كمـا كانـت مملكـة وثنيـة فـي السـابق، وبـدخول الإسـلام إلـى فـزان منـذ 22هـــ/642 م بقيـادة عقبـة بـن نافع الذي نشر فيها الإسلام[1].

ولقـد ذكـرت المصـادر التاريخيـة والجغرافيـة جرمـة فـالبكرى تحـدث عـن فتحهـا علـى يـد عقبـة بـن نـافع، فقـال : "هـي مدينـة فـزان العظمـى سـار إليهـا عقبـة ثمـان ليـالي مـن ودان فلمـا دنـا أرسـل فـدعاهم للإسـلام فأجـابوا"[2]. وقـد وصـفها الإدريسـي حيـث قـال : "يلـي أرض زغـاوة فـزان وبهـا مـن الـبلاد مدينـة جرمـة مائهـا مـن الآبـار وعنـدها نخـيلات يزرعـون الـذرة والشـعير ويسـقون بالمـاء بـالآت يسـمونها أنجفـة وتسـمى بـبلاد المغـرب بالخطـار وعنـدهم معـدن الفضة"[3].

كانـت مدينـة جرمـة وهـي مدينـة فـزان الكبـرى ذات شـهرة كبيـرة قبـل الفـتح الإسـلامي للشـمال الأفريقـي وبـالفتح الإسـلامي احتلـت زويلـة مكـان الصـدارة لكونها مقراً للولاة ثم قاعدة لبلاد فزان[4].

أصـبحت جرمـة مـن أهـم المراكـز التجاريـة الجنوبيـة بليبيـا حيـث كانـت علـى صـلات مـع المنـاطق الشـمالية كمدينـة طـرابلس والمنـاطق مـا وراء الصـحراء فكانـت جرمـة تقـوم باسـتجلاب منتجـات أواسـط أفريقيـة مثـل العـاج والجلـود والحيوانـات وريـش النعـام والأخشـاب والـذهب ومـن ثـم تنتقـل إلـى المنـاطق الشـمالية مـن فـزان[5]. ويبـدو أن هـذه المدينـة بقيـت مزدهـرة حتـى

---

(1) أبوبكر عثمان القاضي : فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور ، المرجع السابق ، ص37.
(2) البكري : المسالك والممالك ، ج2، المصدر السابق ، ص661.
(3) الإدريسي : نزهة المشتاق، ج2، المصدر السابق، ص112.
(4) ابن سعيد : الجغرافيا ، المصدر السابق، ص127.
(5) حسين مؤنس : فزان ودورها في نشر الإسلام، المرجع السابق ، ص121.

القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي: وذكرها الإدريسي قائلاً:" إن الفزانيين كانوا أدلاء خبراء في الطرق القوافل الصحراوية"[1].

يتضح من هذا النص أن أهل فزان وخاصة مدينة جرمة قد إستفادوا من تجارة العبور فيما يتعلق بالرسوم والضرائب المفروضة على القوافل وكذلك حصول أبناء فزان على كثير من الوظائف فما يتعلق بحراسة القوافل وكخبراء الطرق والمسالك بين الشمال وجنوب الصحراء.

وعلى الرغم من أن مدينة جرمة أخذت في الضعف والإضمحلال خاصة بعد ازدهار مدينة زويلة التي أصبحت عاصمة فزان حتى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[2].

بعدها عادت جرمة من جديد في القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي، وذلك بعد ظهور "الخرمان"[*]، الذين اتخذوا من مدينة جرمة عاصمة لهم مرة أخرى إلى أن ظهرت أسره أخرى حكمت فزان واستقلت بها وعرفت بأسره أولاد محمد واتخذت مدينة مرزق عاصمة لها وذلك في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

مدينة زويلة:

تقع زويلة في إقليم فزان في جنوب ليبيا وهي إحدى المدن الصحراوية في المغرب العربي الذي فتحها عقبة بن نافع سنة 22هـ – 642م ، وفيها مقابر شهيرة يقال إنها للصحابة رضوان الله عليهم. ورد اسم

---

(1) الإدريسي : نزهة المشتاق، المصدر السابق، ج1، ص312.

(2) محمد سليمان أيوب : جرمة من تاريخ الحضارة، ص236.

(*) الخرمان : عرفوا بهذا الاسم وكانوا يسكنون وادي الحياة، وأختلف المؤرخون في أصل الخرمان فيرى البعض آينهم من أصل عربي، ويرى الشيخ فالح أحد الذين علقوا على ابن غليون، إنهم أمم يسكنون في وادي الحياة، بينما يرى محمد سليمان أيوب إن تحريفاً دخل على كلمة جرمة فأصبحت خرمة، وسمي أهلها (بالخرمان) بدلاً من الجرمنت مستندين في ذلك على استعمال الخرمان للخيول بدلاً من الجمال. ولكن ضعف هذا التحليل واضح – أبوبكر عثمان القاضي، فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، المرجع السابق، ص45،46.

زويلة منذ مطلع القرن الرابع 306هـ - 918 م ،كمركز تجاري عندما اتخذها أبن الخطاب عاصمة لهم[1].

ذكر الإدريسي في القرن السادس الهجري، الثاني عشر لميلادي، فقال: "زويلة بناها عبدالله بن خطاب الهواري وسكنها هو وبنو عمه في سنة 306هـ وهي منسوبة لهذا الرجل وبه اشتهر اسمها، وهي الآن عامرة وهي صغيرة وبها أسواق ومنها يدخل الجمل من بلاد السودان وشرب أهلها من آبار عذبة ولها نخل كثير وثمرها حسن والمسافرين يأتونها بأمتعة من جهازها وجمل من أمور يحتاج إليها[2].

يتضح من هذا النص أن مدينة زويلة تنسب إلى عبدالله ابن الخطاب الهواري مؤسس اسره ابن الخطاب التي حكمت فزان ما بين القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي/ السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. ويبدو أن أول آمر ابن الخطاب كعامل فيها للمنصور بن بلكين[3].

وبعد ذلك أصبحت زويلة مركزاً تجارياً مهماً ومعبراً لمرور القوافل من كانم وبرنو إلى طرابلس وبنغازي وبالعكس نالت هذه المدينة شهرة عظيمة باعتبارها مدخل لبلاد السودان الأوسط فكانت سوقاً للرقيق والمنسوجات والحيوانات ومحطة وملتقى للقوافل التي تتجه منها إلى كافة الاتجاهات وخاصة في الشمال الأفريقي. فقد ظلت محطة تربط بين بلاد السودان وموانئ البحر المتوسط لاشك أن ثراء زويلة لا يعود إلى تجارتها الذاتية فقط فهي ملتقى مهم للطرق العابرة للصحراء وتعاظمت مواردها من رسوم المرور التي كانت تحصل عليها من القوافل التي تعبرها. وهكذا فإن شب كوار ذا

---

(1) جاك تيري: تاريخ الصحراء الكبرى في العصور الوسطى، المرجع السابق، هي 371 – الحشائشي : الرحلة الصحراوية، المصدر السابق، ص171.

(2) الإدريسي : نزهة المشتاق عن كتاب ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، ص100.

(3) المنصور بن بلكين تولي إمارة أفريقية بعد وفاة والده بلكين بن زيري ويعد أول أمير في الدولة الصنهاجية فكان المنصور، جواداً وحازماً عادلاً دامت إمارته نحو 31 سنة توفي 386هـ. الطاهر أحمد الزاوى: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، المرجع السابق ، ص12.

الجودة والمشهور كان يصدر إلى كل من مصر في المشرق ونحو ورقله وبلاد المغرب الأقصى.

غير أن مع نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي استولى قراقوش على زويلة وقتل ملكها ودمر البلاد فتراجعت مكانة زويلة واخذ نفوذ حاكم برنو يتقدم شمالاً حتى وصل فزان، وبرزت تراغن عاصمة لهم وتقلص دور زويلة هنا[1].

مدينة تراغن:

تقع في إقليم فزان وهي شرق مدينة مرزق بنحوه 60 كلم. إن مدينة ترغن هي أحد المحطات التجارية التي أصبحت عاصمة لإقليم فزان وذلك في عهد ملك كانم دوناما ديبلامي الذي وجه حملة إلى فزان سنة656 هـ / 1258م لاستعانة أهالي فزان به لوضع حد للفوضى التي أثارها ابن قراقوش بعد سقوط زويلة على يد والده ففي مدينة ودان قتل قراقوش وابنه حيث نفذ إليه ملك كانم من قتله وكان ذلك في 656هـ/ 1258م[2].

ولعل الفراغ السياسي السائد في فزان بسبب الفتن، وكذلك كانت مملكة كانم بحاجة أن تضمن ممراً أخر للقوافل التجارية عبر واحات فزان خاصة ، وأن هنالك علاقات تجارية سائدة بين طرابلس وتونس وكانم، وتعتبر مدينة تراغن من أهم المراكز التجارية الحضارية في فزان ولقد قدمت لهذه المدينة العديد من الجماعات البشرية من السودان الأوسط كالزغاوة والتبو فاستقروا بها. فقد ذكر أن الشيخ سيدي حمزة بن سيدي تامر أحد المرابطين القادمين من الساقية الحمراء خلال القرن العاشر الهجري/

---

(1)التيجاني: رحلة التجاني ، المصدر السابق، ص112.

(2) أبوبكر عثمان القاضي : فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، المرجع السابق، ص45.

السادس عشر الميلادي استوطن تراغن وأسس فيها الزوايا لتعلم القرآن والعلوم الدينية فكان من أهل الفضل والبر والخير[1].

إن مدينة تراغن أصبحت أحد المراكز التجارية والحضارية العامرة بفزان حتى القرن السابع عشر الميلادي ، وذلك لما تتميز به من وفرة المياه وخصوبة التربة. فقد ذكرها جون ليون في أوائل القرن التاسع عشر قائلاً: "بلغنا حدائق وبساتين تراغن وبدأت لنا كأفضل منطقه مزروعة رأيناها"[2].

مدينة ودان:

تقع في المنطقة الوسطى من ليبيا والتي تعرف من ضمن مدن سهل جفارة: وهي سوكنه وهون وودان فهي تتوسط جميع المراكز التجارية الموجودة في مختلف الأرض الليبية . مما جعلها على مقربة فزان القريبة من بلاد السودان. وقد تم فتح المسلمون لها سنة 23هـ/643م، على يد بسر بن آبي أرطاه[*] وفرض على أهلها جزية باهظة بلغت (360) من الرقيق غير أنه عندما غادر ودان ارتد أهلها عن الإسلام وظلت هذه المدينة على ردتها إلى أن فتحها عقبة بن نافع وقضى على التمرد وأعيد الاتفاقية إلى سابق عهدها أي بدفع 360 عبداً سنوياً[3].

في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي دخل المذهب الإباضي ودان عن طريق مدن الشمال وخاصة طرابلس والذي كان أول داعية له من قبيلة الهوارة هو عبدالله بن مسعود التجيبي[4]. وظلت ودان في القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي تابعة لحكم برقة في ذلك يقول اليعقوبي: "ومن

([1]) أبوبكر عثمان القاضي : نشأة التصوف ودخول الطرق الصوفية لمناطق فزان، بنغازي ، ليبيا ، 2006، ص268.

([2]) جون فرنسيس ليون : من طرابلس إلى فزان 1818م – 1820م ت مصطفى جوده ليبيا تونس، الدار العربية لكتاب 1979م ، ص160.

([*]) بسر بن أبي أرطاة : وقيل يسمى بسر العامري ،كان بسر من المتحمسين لنصرة معاوية بن ابي سفيان ، حضر معركة صفين ضد الامام علي بن ابي طالب ، واشترك في فتح افريقيا وكان شجاعا وفيه قساوة البداوة ، تولى ولاية البصرة ، وقد اوقع بال البيت النبوة كثيرا من القتل والتشريد قال صاحب المروج الذهب (المسعودي) ، قتل ولدي عبد الله بن العباس وهما صغيران على ايدي امهما . بعدها فقدت أمهما عقلها ، وهامت على وجهها ، وقد دعا عليه الأمام (علي) بأن يطيل الله عمره ، ويذهب عقله ، فكأن كذلك . أبوبكر عثمان القاضي : فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور ، المرجع السابق ، ص 35 .

([3]) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها، المصدر السابق، ص272.

([4])الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المصدر السابق، ص43،37.

أعمـال برقـة المضـاف إليهـا ودان، وهـو بلـد يـؤتي مـن مفـازه، وهـو ممـا يضـاف إلـى عمـل سـرت، ومـن مدينـة سـرت إليـه ممـا يلـي القبلـة خمـس مراحـل، وبـه قـوم مسـلمون (يـدعون) أنهـم عـرب مـن يمـن وأكثـرهم مـن مزاتـه وهـم الغـالبون عليـه، وأكثر ما يحمل منه التمر فإن به أصناف التمور[1].

يتضـح ممـا ذكـره اليعقـوبي أن ودان كانـت تتبـع حكـم سـرت التـي كانـت تابعـة لبرقـة وكـان يسـكنها خـلال تلـك الفتـرة بعـض العـرب مـن الـيمن إلـى جانـب سـكانها الأصـليين مـن قبيلـة مزاتـه أحـد القبائـل البربريـة الليبيـة ثـم سـكنها عـرب بنـــي هـــلال وبنـــي ســـليم فقـــد أصـــبحت ودان مركـــزاً مهمـــاً للتجـــارة فـــي القـــرن الخـامس الهجري/الحـادي عشـر مـيلادي ويبـدو أن نتجـه تبعيـة منـاطق السـاحل للدولـة العباسـية حيـث تغيـرت المعـاملات التجاريـة مـن أوروبـا إلـى المشـرق إذ تحولـت المـوانئ وطـرق القوافـل مـن المـدن الغربيـة كصـبراته ومصـراته ولبـده إلى المدن والموانئ المتصلة بالمشرق مثل سرت واجدابيا وبنغازي .

والحقيقـة أن ودان زادت أهميتهـا فـي فتـرة حكـم أسـره ابـن الخطـاب فـي زويلـة فقد كانـت القوافـل التجاريـة تنطلـق لتمـر بهـا فـي طريقهـا إلـى المشـرق كمـا لـديها طـرق أخـرى تربطهـا بطـرابلس[2].إن ودان فـي القـرن السـابع الهجـري/ الثالـث عشـر المـيلادي إلتجـأ إليهـا قراقـوش فـاراً مـن عـدوه يحـي الميـورقي[*]، وحلفائـه مـن زعمـاء العـرب الهلاليـين فقـد تمـت محاصـرته حتـى سـلم وقتـل وهـو ولده من بعده وصلبه الميورقي في ودان وذلك سنة 609هـ/ 1212م[3].

---

(1) اليعقوبي : تاريخ البلدان، المصدر السابق، ص97.

(2) محمد سليمان أيوب : مختصر تاريخ فزان، المرجع السابق، ص103.

(*) يحي الميورقي : يدعى علي بن أسحاق الميروقي نسبة الى جزيرة مروقة إحد جزر البليار شرقي الاندلس الذى كان حاكماً عليها من قبل المرابطيين . ولقد لقب بأبن غانيه نسبة إلى جدتهم الأولي المرابطيه الاصل وتدعى غانية ، وهو أخر امراء بني غانية ، حارب الموحدين لكنه فشل ، مات شريداً في صحراء تلمسان سنة 633 هـ - 1235 م ، عبدالله إنبيه المعلوم : التواصل الثقافي بين مدن إفريقية خلال الدولة الحفصية ، المرجع السابق ، ص 286 .

(3) محمد سليمان أيوب : معالم أثرية من جنوب ليبيا، المرجع السابق، ص14.

ويظهر أنه بعد سيطرة الكانميون على المنطقة مدوا نفوذهم على فزان حتى ودان وغدامس وذلك في مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي.

وهكذا نجد ودان مقصد لكل الرحلات والقوافل القادمة من الشمال أو الجنوب حيث تزود القوافل والمارة بالماء والتمور والمؤن والإقامة بها لتصريف البضائع وتأخذ ما تحتاجه ومن ثم تواصل سيرها بعد الحصول على الأدلاء واستبدال الإبل[1].

مدينة مرزق:

تقع مدينة مرزق في منطقة فزان بجنوب ليبيا وتعد حلقة وصل بين ولاية طرابلس من جهة ومملكة كانم – برنو من جهة أخرى كما أنها تقع على الحوض الذي يعرف (بحوض مرزق) والذي يعتبر أحد الأودية الرئيسية التي تتوفر فيها المياه وأدى الشاطئ والآجال وحوض مرزق ويشمل الأخير سلسلة من الأودية المرتبطة ببعضها البعض مما جعل هذه المدينة تتمتع بوفرة المياه التي تحيطها أشجار النخيل، من جميع الجهات[2].

إن مدينة مرزق لم يرد ذكرها في المصادر التاريخية، في العصور الوسطى ولم تكن معروفة غير أنها أصبحت من أهم مدن فزان بعد سقوط زويلة وانهيارها زارها عدد من الرحالة منهم "ليون" والذي قال عنها "مدينة مسورة، وكان موقعها على طرق القوافل قد أعطاها أهمية كواحة من أهم المراكز والمحطات الصحراوية، باعتبارها حلقة وصل بين الشمال والجنوب وملتقى القوافل التجارية القادمة من القاهرة وبنغازي وطرابلس وغدامس تمبكتو غات ووادي، برنو وبلاد الهوسا وغيرها التي تحمل السلع الأوروبية

(1) المرجع نفسه ، ص11.
- رجب نصير الابيض : مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية، المرجع السابق، ص34.
(2) محمد سليمان أيوب : جرمة في تاريخ الحضارة، المرجع السابق، ص22.

والمحليـة[1]. كمـا وصـفها الحشائشـي قـائلاً : "مـرزق بلـد كثيـر العيـون والنخيـل ومائها في غاية العذوبة"[2].

وقد نتساءل هل كان لها دور بارز في مجال التبادل التجاري؟

تعتبـر مـرزق مـن أهـم مـدن إقلـيم فـزان، فقـد أزدهـرت بهـا التجـارة ولعبـت دوراً بـارزاً فـي تجـارة القوافـل عبـر الصـحراء وملتقـى لطريـق التجـار والحجـيج القـادمين مـن الشـمال ووسـط وغـرب أفريقيـا بـالطريق الأول هـو طريـق القوافـل المغربيـة الـذي يمـر بتلـك المحطـة ويمـر مـن مـراكش ويتجـه جنوبـاً إلـى درعـا[*] ثـم تـواث ومـن هنالـك يفتـرق الطريـق إلـى طـريقيين أحـدهما يتجـه شـمالاً إلـى ولايـة طـرابلس والأخـر يتجـه شـرقاً إلـى مـرزق ومنهـا إلـى المشـرق مصـر والأراضـي المقدسـة[3]. عنـد هـذا الطريـق يلتقـي حجـاج السـودان الأوسـط مـع حجـاج المغاربـة السـودان الغربـي فـي هـذه المدينـة ومـن ثـم يـذهب الجميـع إلـى الحـج فـي رحـلات مشـتركة ممـا يتـيح الفرصـة للتعـاون وتقويـة العلاقـات التجارية وحماية القوافل[4].

لا شـك أن هـذه القوافـل التجاريـة التـي كانـت تمـر بمدينـة مـرزق قادمـة مـن الشـمال أو مـن المغـرب العربـي أو مـن بـلاد السـودان الغربـي والأوسـط تتوقـف عنـدها للتـزود بالمـاء والطعـام والراحـة واسـتبدال الإبـل وتبـادل السـلع والتـزود بـالمؤن فـي هـذه المدينـة. كمـا يقـوم بـدفع رسـوم المـرور للقـلاع الكثيـرة

(1) جون فرنسيس ليون : من طرابلس إلى فزان 1818م، ت مصطفى جودة، ط5، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1976م، ص75.

(2) محمد بن عثمان الحشائشي : الرحلة الصحراوية في سائر أنحاء ليبيا، (طرابلس ، برقة ، فزان) المصدر السابق، ص79.

(*) درعا : مدينة تقع جنوب المغرب الاقصى وشرقي أقليم السوس ، بها نهر طويل يدعى نهر وادي درعة ينبع من جبل درن ويسير حتى يصب في المحيط الاطلسي ، وفي العصور الوسطى كانت مدينة درعة مركزاً تجارياً مرموقاً حيث تكثر بها الاسواق والمتأجر وكان لها تبادل تجاري خاصة مع بلاد السودان ، كما كان لها مكانه علمية مرموقه حيث نزلها العديد من العاماء الافاضل الذين ادوا دوراً مهماً في تنوير الفكر في منطقة السودان الغربي كما كانت بها مكتبات ذات شهرة عالمية ، أما عن تركيبة السكان فهي مزيج من العرب وصنهاجة ، البكري : في ذكر بلاد افريقيا والمغرب . المصدر السابق ، ص 153 .

(3) حبيب وداعة الحسناوي : الحج وأثره في دعم الصلات العربية الأفريقية ودور فزان في تسهيل قوافل حجاج السودان الأوسط في القرن الثامن (ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي خلال الفترة من 20-23-12-1995م) تقديم عبدالحميد الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية ط1، طرابلس 1998م، ص91.

(4) ابن مليح : أنس الساري والسارب، تحقيق محمد الفأسي، وزارة شئون الثقافية، فاس، 1986م، ص33.

القائمة من ضواحي مرزق[1]. ويبدو أن أصحاب تلك القلاع والحصون من أمراء الخرمان كانوا على خلاف دائم مع بعضهم البعض، الأمر الذي ساعد محمد الفاسي أحد أشراف المغرب في تأسيس أسرة أولاد محمد الفاسي مرزق957 هـ / 1550م. ثم بسط نفوذه على معظم أجزاء فزان واتخذ من مدينة مرزق عاصمة لحكمه.

يذكر الرحالة "دوفيرية Doverit"[*] إن مدينة مرزق قد أسسها أحد الأشراف في عام 710هـ/ 1310م وشيد بعض الأكواخ من سعف النخيل، ومدرسة لتدريس القرآن الكريم ومن ثم سار مؤسسها سلطاناً عليهم" غير انه لم نجد في المصادر ما يدعم ذلك [2].

وهكذا ظلت مدينة مرزق سوقاً رابحة لمختلف البضائع والسلع كما أنها ملتقى لتجار الواحات الداخلية حيث كان تجار طرابلس والمناطق الشمالية يأتون إلى سوق مرزق لتصريف بضائعهم فيها ويتلقون منها سلعاً مختلفة مثل التمور والحبال والألياف وتعتبر التمور الغذاء الرئيسي لسكان الواحات ويتم تبادل تلك السلع عن طريق، المقايضة بين واحات ولاية طرابلس وبلاد السودان الغربي والأوسط[3]. ولعل الاستقرار السياسي التي كانت تتمتع به هذه المدينة مكنها من توطيد صلات وعلاقات مع المناطق الأفريقية أنها ملتقى ومركزاً مهماً لعديد من البضائع المختلفة التي تحملها القوافل الذاهبة إلى بلاد السودان والقادمة منه[4].

---

(1) محمد سليمان أيوب : مختصر تاريخ فزان المرجع السابق، ص105.

(*) هنري دوفيريه (1840-1892) .رحالة فرنسي عرف برحلاته من منطقة الطوارق زار الوحات الليبية، غدامس وغات، مرزق، أصدر كتابه بالفرنسية 1864م، غيرها رد رولفس: المرجع السابق، ص38.

(2) رجب نصير الأبيض : مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، مركز الجهاد الليبي، طرابلس ليبيا 1988م، رسالة ماجستير منشورة، ص37.

(3)رجب نصير الأبيض : مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، مركز الجهاد الليبي، طرابلس ليبيا 1988م، رسالة ماجستير منشورة، ص37.

(4)عبداللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي ، المرجع السابق، ص150.

مدينـة أوجلة :

تقـع أوجلـة فـي جنـوب شـرق ليبيـا فهـي تقـع عنـد ملتقـى طـرق القوافـل التجاريـة لـبلاد السـودان مـع طـرق قوافـل الحـج المتجهـة إلـى المشـرق. ومدينـة أوجلـة مدينـة بربريـة يبـدو أنهـا قامـت علـى أنقـاض مدينـة قديمـة تعـرف باسـم (آرزاقيـة)[1]. تـم فتحهـا مـن قبـل المسـلمون علـى يـد عقبـة بـن نـافع فـي عهـد ولايـة عمـر بـن العـاص علـى مصـر وبهـا قبـر الصـحابي عبـدالله ابـن سـعد بـن أبـي سـرح أخ الخليفـة الراشـدي عثمـان بـن عفـان مـن الرضـاعة، حيـث دفـن فيهـا سـنة 36هــ،37هــ/ 656 م –657 م [2]. ولقـد عـرف عـن هـذه المدينـة أنهـا مـن المـدن التـي تقـع علـى طريـق بـلاد السـودان الشـرقي والأوسـط. هـذا وقـد ورد ذكرهـا فـي أغلـب المصـادر التاريخيـة والجغرافيـة عنـدما يـذكرونها بأنهـا عمـل تـابع لبرقـة[3]. لقـد اشـتهرت هـذه المدينـة بكثـرة إنتـاج التمـور والحبـوب وذلـك لـوفرة مياههـا فهـي تعتبـر مـن أهـم المراكـز الصـحراوية الغنيـة كمـا زاد مـن أهميـة هـذه المدينـة وغنائهـا، أنهـا تقـع علـى طريـق القوافـل الصـحراوية المنفـذ بـين برقـة ووداي ، وآن أغلـب الجماعـات الـذين يقـودون تلـك القوافـل عـن هـذا الطريـق من أهالي مدينة أوجلة[4].

جبل نفوسـة:

إن جبـل نفوسـة يقـع بـين العديـد مـن المـدن فهـو يقـع جنـوب غـرب مدينـة طـرابلس[5]. كمـا يعـد ملتقـى العديـد مـن القوافـل التجاريـة القادمـة مـن مصـر وطـرابلس أو تـونس والمتجهـة جنوبـاً إلـى المراكـز الداخليـة ومنهـا إلـى السـودان

([1]) الطاهر أحمد الزاوي : معجم البلدان الليبية مكتبة النور، طرابلس، ليبيا 1968م، ص42.
([2])المقريزي : المواعظ والاعتبار، مصدر سابق ، ج1، 260.
([3]) اليعقوبي : البلدان : المصدر السابق، ص102.
([4]) ابن خلدون : المقدمة، دار المعارف، النشر سوسة، (د.ت) ص36.
- فرانشيكو كورد (ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، المرجع السابق، ص147.
([5]) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، م6، المصدر السابق، ص168.

الأوسط أو الغربي. لقد كانت لمدينتي جبل نفوسة جادو وشروس[*]، دور هام في ربط مناطق الشمال بالواحات الداخلية تجارياً بواسطة القوافل التي كانت تسير من طرابلس إلى جادو عبر مدينة جادو فقد كان لهذه المدن شهرة عظيمة وكذلك لأهميتها كسوق تجاري ومحط القوافل وانطلاقها [1].

ولقد أشار البكري إلى جبل نفوسة إشارة عابرة غير أنها ذات أهمية في إعطاء لمحة عن أوضاع هذا الجبل من الناحية السكانية والاقتصادية حيث قال: "ومن طرابلس إلى جبل نفوسة لمسيرة ثلاثة أيام وجبل نفوسة على مسيرة ستة أيام من القيروان وطول جبل نفوسه من الغرب إلى الشرق وتليهم قبيلة يقال لها بنو زمور ولهم حصن يسمى تيرقت في غاية المنعة، ولا يطمع فيه ولا يقدر عليه، وبعد هذا الحصن قبيلة بني تدرميت لهم ثلاث حصون، وفي وسط هذه القبائل مدينة كبيرة تسمى جادو لها أسواق ويسكنها يهود"[2].

يتضح من هذا النص أن مدن جبل نفوسة لها أسوقاً عامرة باعتبارها مركزاً تجارياً وبالرغم من عدم ذكر السلع المتداولة في هذا الجبل لأنها لا شك لا تتعدى الحبوب والزيتون والمواشي والمصنوعات الصوفية من ملابس وأكسية كما أنها محطة ومركز تجاري للقوافل التي كانت على صلة مع بلاد السودان الأوسط والغربي، الذي يجلب منه العبيد والذهب والعاج. ويبدو أن جبل نفوسه الذي كان على صلات وعلاقات تجارية مع بلاد السودان مما جعل أهل نفوسه يجيدون التحدث بلغة كانم إلى جانب

(*) شروس : هي مدينة كبيرة جليلة قديمة ، فيها اثار للاول وليس بها جامع ولا فيما حولها من قرى . مؤلف مجهول : الاستبصار ، المصدر السابق ، ص144 .ويذكر (ياقوت): معجم البلدان ج3 ، ص85 ، انها مدينة جليلة في جبل نفوسه من ناحية افريقيا ... وبينها وبين طرابلس حمسة أيام .

(1) محمد فرج دغيم : التواصل الثقافي الاجتماعي بين الأقطار الأفريقية الواقعة على جانبي الصحراء، دور ليبيا في هذا التواصل (ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية في الفترة 12-1998/5/14م مكتبة الدعوة الأفريقية، ط1، طرابلس 1999م، ص615.

(2) البكري : المسالك والممالك، تحقيق أدربان فان ليوضني، اندرية فيري، الدار العربية لكتاب، ج2، 1992م، ص655.

لغتهم العربية . فقد أكد البكري عندما قال: "بأن هنالك جماعات من كانم استقروا في اجناون الواقعة أسفل جادو عاصمة جبل نفوسة في طريق القوافل التجارية[1].

لقد ظل جبل نفوسة محطة انطلاق مهمة وخاصة فيما يتعلق بالتجارة الداخلية مع مراكز درج وسيناون وغدامس وكذلك التجارة الخارجية العابرة للصحراء إذ تنطلق القوافل التجارية منه إلى مدينة زويلة ومن ثم تسير إلى كانم ثم تعود القوافل محملة بالبضائع والرقيق إلى طرابلس عبر فزان لتقوم بدورها بنقلها إلى أوروبا وبلاد المشرق[2].

مدينة كانو :

تقع مدينة كانو شمال كوكة عاصمة برنو، ومدينة كانو هي عاصمة مملكة الهوسا. فكانت من أهم المحطات التجارية في بلاد السودان حيث تقصدها القوافل التجارية . رغم بعدها وصعوبة طبيعتها فقد كانت تحمل السلع والبضائع من طرابلس إليها وبالعكس[3].

ويبلغ عدد سكانها خلال فترة الدراسة حوالي خمسة عشر ألف نسمة إضافة إلى الطوارق الذين كانوا على اتصال بها والعرب التجار القادمين إليها من الشمال الأفريقي والمغرب العربي[4]. وصل الإسلام إليها في مطلع القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي فقد انتشر الإسلام واللغة العربية وقامت بها حضارة عربية إسلامية [5].

([1])البكري : المسالك والممالك، المصدر السابق ، ص656-657.

([2]) أبن سعيد : كتاب الجغرافيا تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1970م، ص145،146.

([3])Denhoam Dixon: Narrative of travels and discoveries in Northern and Central Africa, london : Muray,1826), P251.

([4]) جميلة محمد التكيتك: مملكة سنغاي الإسلامية عهد لاسيكا محمد، المرجع السابق، ص 68 .

([5])المرجع نفسه ، ص69.

هذا ونجد الكثير من التجار الليبيين سواء من طرابلس أو غدامس أو مرزق قد استقروا فيها ولهم أموال وبضائع ومن بين التجار الذين استقروا بها أبناء التاجر ابن أحمد وهم محمد الصغير وأحمد وعبدالله ومحمد الكبير الذي أصبحت له تجارة كبيرة في كل من غدامس وكانو يقومون بتصريف البضائع المرسلة من ريش النعام والعاج والحيوانات إلى المدن الليبية طرابلس ومرزق وغات(1). وقد تحصل كثير من هؤلاء التجار على مناصب عليا في كانو نتيجه للعلاقات مع زعماء شيوخ هذه المدينة فمنهم التاجر محمد بوزمالة وصل إلى منصب مساعد (وزير) حاكم كانو.

وهكذا ظلت الحركة التجارية نشطة بين المدن الليبية ومملكة كانو التي تنطلق القوافل إليها والتي قد يصل عددها إلى ثلاثة آلاف جمل كل عام محملة بالسلع والبضائع القادمة من والشمال الأفريقي المتمثلة في الملابس وأدوات الزينة والزجاج وكل الأشياء المرغوبة في بلاد السودان فتمر هذه القوافل على كثير من المدن الليبية والواحات التي في طريقها للراحة والتزود بالطعام واستبدال الإبل واختيار الأدلاء وتوفير الحماية لتلك القوافل، مثل ما يحدث في مدينة غات باعتبارها محطة وسطى لتواصل القوافل رحلتها إلى كانو أو المدن الأخرى وبالعكس(2).

مدينة بلما:

وهي تقع بلما ما بين إقليم فزان جنوب ليبيا وشمال بحيرة تشاد وهي عاصمة لإقليم كوار في السودان الأوسط. وتعتبر بلما إحدى المحطات والمراكز التجارية التي تعبرها القوافل الصحراوية القادمة من الشمال أو الجنوب(3). وقد ورد ذكرها في العديد من المصادر التاريخية والجغرافية. فقد

---

(1) بشير قاسم يوشع : وثائق غدامس وثائق تجارية تاريخية، ج2، وثيقة رقم 20، 1289هـ/1872، 73،72.

(2) فرانشسكو كورو : ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، المرجع السابق، ص104،103.

(3) فبيج جي دي : تاريخ غر ب أفريقيا، ترجمة السيد يوسف، القاهرة، دار المعارف، 1982، ص257.

وصف ياقوت الحموي هذه المدينة وسكانها حيث قال: "يلبسون ثياب الصوف وفي بلادهم أسواق ومياه جارية ونخل كثير"[1]. كما أكد ذلك الإدريسي أن منطقة كوار تمر بها القوافل المتجهة إلى بلاد كانم وكان لهؤلاء السكان دور هام في تجارة الشب الكاواري وكذلك التمور.[2]

يتضح أن مما سبق ذكره إن مدينة بلما من أهم المحطات التجارية في الصحراء الكبرى فوقوعها على طرق القوافل التي تصل مدينة طرابلس بمملكة كانم والذي يعرف بالطريق الأوسط الذي يعبر الصحراء مما جعلها مدينة مزدهرة وتتاجر بما تملكه من موارد في هذه المنطقة[3].

مدينة كوكا:

تعد هذه المدينة أحد المراكز التجارية الهامة وهي عاصمة برنو التي أسسها محمد الأمين الكانمي الذي ولد في إقليم فزان من آب ليبي وأم كانمية[4]. ويظهر أن وقوع هذه المدينة جنوب إقليم فزان واتصالها به مما جعلها لها علاقات سياسية واقتصادية متينة مع ليبيا لاسيما في عهد الأسرة القرمانلية وخاصة يوسف باشا القرمانلي الذي ساعد العديد من الرحالة الأجانب في الوصول إلى المراكز جنوب الصحراء فقد زار محمد الكانمي في كوكا الرحالة الانجليزي دنهام وكلابرتون[5].

ظلت مدينة كوكا حلقة وصل بين مناطق الشمال الأفريقي ووسطها فعندها تتوقف القوافل المتجهة من طرابلس والمدن الليبية الأخرى عند كوكا التي كانت المركز والمقر والميناء الداخلي الذي تلتقي فيه القوافل القادمة من مختلف المناطق، فيتم تصريف بضائع الشمال إلى المناطق المجاورة

---

(1) ياقوت الحموي : معجم البلدان، مصدر سابق، ج4، ص 90.

(2) فضل كلود : الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبرطورية كانم، طرابلس كلية الدعوة الإسلامية، 1998م، ص277.

(3) حسن الوزان : وصف أفريقيا، المصدر السابق، ص176.

(4) حسن إبراهيم : انتشار الإسلام في القارة الأفريقي ة، المرجع السابق، ص127.

(5) شارل فيرو: الحوليات الليبية، المصدر السابق، ص555.

علـى أن يـتم مقايضــة هـذه السـلع بـالرقيق وخاصــة مـع بـاجرمي[*] الـذي يعتبـر المورد الرئيسي لهذه السلعة[1].

وقـد نــتج عــن الحركــة التجاريــة النشــطة الدءوبــة بــين المــدن الليبيــة وأسـواق كـانم وبرنـو ظهـور العديـد مـن التجـار المنافسـين لبعضـهم الـبعض سـواء مـن مـرزق أو غـدامس أو غـات أو القطـرون وامتهنـوا حرفـة التجـارة بـين البلـدين وكثيـراً مـنـهم مـن اسـتقر فـي كـانم وبرنـو[2]. خاصــة فـي مدينـة كوكـا كالتـاجر محمـد بـن محمـد ميمـون والتـاجر الطـاهر بـن محمـد هيبـه[3]. أو غيـرهم ممـن تـاجروا عبـر أسـواقها المتعـددة حيـث تنتقـل قوافـل العبيـد والعـاج والعطـور وريـش النعـام إلـى فـزان ومـن ثـم إلـى مـدن السـاحل ومـن ثـم إلـى أوروبـا[4]. إن كوكـا اشـتهرت بأسـواقها التـي تعـرض فيهـا منتجـات بـلاد السـودان والسـلع الأوروبيـة المجلوبــة مــن الشــمال الأفريقــي كالأقمشــة واللؤلــؤ والمرايــا والخيــول والملــح والتوابـل وقـد توافـد العديـد مـن التجـار علـى هـذه المنـاطق ذلـك لإعطـاء ضـريبة الجمارك والمرور فيها[5].

أغادس:

أغــادس هــي أحــد المراكــز الصــحراوية وتقــع فــي شــمال دولــة النيجر (الحــالي) وتسـكنها قبائــل صــنهاجة البربريــة[6]. فكانــت ملتقــى ومحطــة للقوافل بين طرابلس وواحاتها ومملكة الكانم– برنو.

(*) باجرمي : نتيجة لنزوح العرب المنطقة السودان الاوسط تكونت هذه المنطقة واصبحت سلطنة اسلامية في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادى وظلت هكذا حتى احتلها في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، رابح السوداني الذي جعل من السلطنات الاسلامية الثلاثة (كانم برنو ، ووداي ، باجرمي) مركز للمملكة منذ عام 1895م ولكن الغزو الفرنسي لغرب افريقيا استولى على هذه السلطنات بعد مقتل رابح في معركة 1900 م . رأفت غنيمي الشيخ : دراسات افريقية في التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، مصر ، 2011 ف ، ص33 .

(1)Britain The Boem: Sahara and the western sudan (1788-1861).1964, P120.

(2) حسن المدني : علاقة ليبيا ببلدان ما وراء الصحراء (1882- 1975). جامعة قاريونس، بنغازي، 2005م، ص 95.

(3) محمد عثمان الحشانشي : مصدر سابق، ص129.

(4) كولا فوليان : ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ترجمة عبدالقادر المحيشي.- مراجعة صلاح الدين السوري طرابلس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م ، ص119.

(5) غيرهارد رولفس : المصدر السابق، ص454.

(6)أحمد بابا التمبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبدالحميد الهرامة، منشورات، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس 1989م، ص353.

وصـفها الحسـن الـوزان قـائلاً: "بأنهـا مملكـة وإن سـكانها بعضـهم مـن التجـار الغربـاء"[1]. لا شـك أن هـذه المدينـة لهـا صـلات تجاريـة مـع الشـمال الأفريقـي عبـر فـزان، ويبـدو أن دخـل هـذه المدينـة يعتمـد علـى الضـرائب مـن التجـار الوافـدين عليهـا مـن المنـاطق الليبيـة كتجـار فـزان وغـدامس وزويلـة ويـتم التبادل هذه البضائع بالذهب والبخور[2].

ونظـراً لمـا تتمتـع بـه مـن المراعـي الغنيـة فقـد تمكـن هـؤلاء التجـار مـن تزويـد القوافـل والإبـل المتجهـة نحـو الأراضـي والمـدن الليبيـة وغيرهـا بالأعلاف[3].

السلع التجارية بين طرابلس والسودان الغربي والاوسط :

كـان للطلـب علـى السـلع المتنوعـة دور كبيـر فـي قيـام الحركـة التجاريـة بـين طـرابلس ومراكـز جنـوب الصـحراء فمدينـة طـرابلس كانـت تصـدر العديـد مـن السـلع المختلفة والمتنوعة إلى بلاد السودان (الغربي والاوسط) وقد اختلفت هذه السلع ما بـين المحليـة والاوروبيـة كمـا أنهـا تسـتورد كـل مـا تحتـاج إليـه مـن السـلع والبضـائع مختلفـة مـن تلـك البلـدان، فكانـت هـذه السـلع منهـا مـا يسـتهلك محليـاً ومنهـا مـا يـتم تصديره إلى أوروبا والمشرق.

لا شك أن طرابلس كانت حلقة وصل بين تلك السلع والأسواق العالمية لبلدان مـا وراء الصـحراء، كمـا سـاهم تجـار الواحـات والمراكـز الليبيـة الداخليـة فـي تنشـيط القوافل التجارية العابرة من حيث توفير احتياجات القوافل التجاريـة ومشاركتهم الماليـة ومرافقتهم بتلك القوافل، أو عن طريق عملائهم أو وكلائهم في المراكز الاخرى[4]. ونظراً لبعد المسافة بين طرابلس ووسط الصحراء وغربها فقد روعيت عدة اعتبارات

(1)حسن الوزان : وصف أفريقيا، ج2، المصدر السابق، ص171، 172.
(2) موسى بن أحمد السعدي : زهور البساتين في التاريخ السودانيين مخطوط 320.
Barth Henri: VoyagagesetDecouvertesI,AfrigueSeptenrionraetcecentral,vol I paris 1860.
(3) محمد سعيد القشاط : الطوارق عرب الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص42.
(4) المختار عثمان العفيفي: مدينة سوكنة ، المرجع السابق، ص1-2.

فـي نقل السـلع، منهـا أن يكـون لهـذه السـلع الطلـب كبيـر فـي أسـواقها وأن تتميـز بـالرخص والـوفرة وسـهولة الحمـل فوق ظهـور الجمـال وتتحمـل السفر والمنـاخ أي لا تكون سريعة التلف وذات ربح ومردود مجز لها [1] .

لقد أدى النشـاط الاقتصـادي إلـى ازدهـار المراكـز التجاريـة وإلـى توسـع حركـة التبادل السلع بين الشمال والجنوب كما تنوعت مصادر هذه السلع وهي سلع واردة من طرابلس وسلع صادرة من مناطق السودان الغربي والاوسط وهي كالاتي:

أولاً: السلع الواردة إلى السودان الغربي: لقد وصلت إلى السودان الغربي العديد من السلع بعضها من البحر الابيض المتوسط والبعض الآخر من داخل الصحراء ومن أهم السلع.

الملـح:

كان الملح من السلع المهمة في تجارة الصحراء منذ فترة طويلة وقبل وصول العرب المسلمين إلى افريقيا[2]. ولعل ذلك يعود لقلته في بلاد السودان ولعدم سد متطلبات السكان في تلك المنطقة. هذا وتشير المصادر التاريخية والجغرافية على أن أوليل كانت تنتج الملح وتصدره إلى السودان الغربي[3]. غير أن وقوعها في أقصى غرب السودان جعل من الصعوبة بمكان وصول منتوجاتها إلى باقي بلاد السودان، وذلك لعدم توفر الموصلات التي تساعد في عملية النقل آنذاك، في الوقت الذي كان أهالي التكرور يتاجرون في ملح أوليل عبر نهر السنغال[4].حيث يتم توزيعه على مناطق السودان الغربي[5] . كما كان للتجار الليبيين من طرابلس وغدامس وفزان دور كبير في تجارة الملح مع مناطق السودان الغربي . ثمة رسالة

([1])Bohem: The Sahara and the Western sudan, 1788,1861-P122.

([2]) كان الملح من المواد التي تاجر الرومان مع أهالي السودان الغربي وحصلوا على أرباح هائلة ، محمد سليمان أيوب : مختصر تابع فزان، المرجع السابق ، ص189 .

([3]) موسى بن أحمد السعدي :زهور البساتين في تاريخ السودانيين، مخطوط ورقة 50 .

([4]) بوفيل : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، المرجع السابق، ص83 .

([5])مجهول :رسالة تجارية من ورقة واحد لأحد تجار تمبكتو يبعث بها إلى الحاج محمد بن أحمد ومحمد مغورأالغدامسيات . الهادي المبروك الدالى : التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا، المرجع السابق، ص324

لمؤلف مجهول تبين ذلك الدور حيث جاء فيها ما يلي : "(الحمد لله وحده وصلى على محمد وسلم زمام ماعلمنا في غارب عزم ماذكره الحاج محمد ابن أحمد محمد مغوراً الغدامسيات أربعمائة حجرة مائتان حجرة من الخارج ابن با أحمد، ثم مائتان حجرة من محمد مغوراً متاعك ... عشرين حجرة معه ليشتري أحدهما بالملاحف الحريرية والاخرى وينقص)" . يتضح من هذه الرسالة إن لتجار ليبيا دور هام في حركة الاقتصاد بلاد السودان الغربي كما كانت توجد تجارة مزدهرة بالملح يبين مناطق شمال الصحراء وجنوبها وإن مادة الملح الذي يعد من المواد المهمة في المتاجرة كانت قبائل الطوارق تتولى نقله بواسطة قوافلهم من كل تغازا[(*)] وبلما وتاوديني[1(*)] وولاته . وقد أشار ابن بطوطة إلى منطقة تغازا وإن قبائل مسوفة الصنهاجية تسيطر عليه ويتم التنقيب عنه بواسطة عبيدها [(1)].

لقد كانت قيمة الملح الشرائية مرتفعة وذلك بوزنه ذهباً . وقد كانت مدينة جاو من أهم المراكز ومحطة لأهم أنواع السلع التي تأتي إليها من طرابلس وغدامس كان أغلى أنواع السلع فيها هو الملح [(2)].

الكتب والمخطوطات :

لقد عرف عن التجار العرب المسلمين انهم كان لهم دور هام في نشر الاسلام في بلاد السودان (الغربي والاوسط) حيث رافق تلك القوافل العديد من الكتب الدينية التي نشرت تعاليم الاسلام ، ولا شك أن العديد من الكتب نقلت من طرابلس وبعض المدن الليبية الاخرى إلى تلك الممالك السودانية . فقد وصل إلى بلاد السودان صحيح البخاري للإمام البخاري وكذلك في النحو والصرف كتاب قطر الندى وبل الصدى لابن هشام وغيرها من الكتب الإسلامية الاخرى التي ساهمت في نشر

(*) تغازا (teghaza) تقع في المناطق الحدودية مابين المغرب الاقصى والسوادان الغربي ، وشهرتها انها المصدر الاساسي لمادة الملح ، ذات الاهمية التجارية عبر العصور المختلفة ، الغشتالي ، عبد العزيز : مناهل الصفاء في ماثر موالينا الشرفاء ، دراسة وتحقيق : عبد الكريم كريم ، الرباط ، مطبوعات وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية والثقافية ، 1977 م ، ص55 .

(*)1 تاوديني : منطقة بمالي على غير مبعده من ملاحات تغازا .

(1) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، المصدر السابق، ص674 .

(2) حسن الوزان : وصف افريقيا، المصدر السابق، ص544 .

الإسلام والحضارة العربية بالإضافة إلى الورق (الكاغط) التي عرفة السودان واستعمل في مراسلاتهم ومخاطبتهم[1].

لقد أصبحت هذه الكتب من أبرز السلع المتداولة ويجني منها التجار أرباحاً طائلة بسبب إقبال أهالي المنطقة على اقتنائها وحاجة الأثرياء منهم كما كانت هذه الكتب ترد من المغرب ومصر والحجاز حيث كانت أثمانها مرتفعة وخاصة في مملكة سنغاي وكانت مدينة تمبكتو سوقاً رائجاً لها .

هذا وقد عرف السودان الغربي معظم المؤلفات المعروفة أنذاك في بلاد العرب والعالم الاسلامي [2].

إضافة إلى تجارة المخطوطات والتي تعتبر من السلع المهمة. ذكر الحسن الوزان حيث قال: إن هنالك مخطوطات كثيرة تأتي إلى المنطقة من الشمال الافريقي وتدر أرباحاً تفوق أرباح سائر البضائع[3].

الأقمشة والمنسوجات القطنية والصوفية والحريرية:

فضّل أهالي السودان الغربي اقتناء الأنواع المختلفة من الأقمشة والمنسوجات رائعة الصنع الواردة من المشرق وحوض البحر الأبيض المتوسط والشمال الافريقي وعلى الرغم من توفر القطن ببلاد السودان ووجود صناعة نسيج به [4].

يبدو أن الكميات التي أنتجوها لم تكن من الكثرة والجودة حتى تكفيهم مما دعاهم إلى استيراد هذه المنتجات عبر القوافل التجارية القادمة من مناطق الشمال الافريقي هذا ونجد الأقمشة بصنوفها مثل المحمودي والخام الكبير والعادي وقماش (كنبربك) والاقمشة الحريرية وشيلان حمراء اللون[5]. والاردية الجاهزة وغيرها كما تنقل عن طريق طرابلس العديد من المصنوعات من المدن الليبية الاخرى كالمنسوجات

---

(1) قريب الله محمد الناصر : الرسالة الجليلة لكاتبة نيجيريا العلمية ، قبرص، 1993 ص36.
(2) جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية العربية الافريقية القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية ، 1975م،45،44 .
(3) الحسن الوزان :: وصف افريقيا، المصدر السابق،ص167 .
(4) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المصدر السابق، ص 173. القلقشندي : المصدر السابق، ص270 . حسن الوزان : وصف افريقيا، المصد السابق، ص163. ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، المصدر السابق، ص321.
(5) سالم أحمد ميهوب القطعي : البنية الاقتصادية لمدينة غدامس واثرها على تجارة القوافل الصحراوية، المرجع السابق، ص143 .

الصوفية من اجدابيا وغريان ومصراتة ومن تونس من حوالي وبرانيس ومن مصر منسوجات قطنية وحريرية إلى جانب تزود القوافل بالملابس القطنية الأوروبية عبر طريق الصحراوي[4].

وقد وصف البكري أهالي تادمكة بقوله: " ويلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطن، وغير ذلك وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصاً أصفر وسروايل زرقاء" [5].

كما وصف ابن بطوطة ملابس أهل ولاته بأنها: ثياب مصرية حسان[6] ولاحظ ابن بطوطة أيضاً" ان أهل تكدا يتاجرون مع مصر ويجلبون منها ثياب حسان" [1].فقد كان سلاطين وحكام بلاد السودان الغربي يحرصون على اقتناء الثياب الجميلة القادمة من طرابلس كما كانت تصل إلى اودغست الثياب الملونة من الشمال الافريقي [2].

كما وصلت إلى السودان الغربي عبر الصحراء الكبرى بعض السلع مثل المعادن والاسلحة والأصباغ والعطور وبعض أنواع الاعشاب المستخدمة شعبياً وأدوات الزينة من خرز وأسورة وختم والودع والأواني الفخارية والخيول والقمح والتمور التي كانت تصدرها المدن الليبية سواء في الشمال أوفي الجنوب[3].

الذهب :

الذهب هو السلعة الأولى التي جذبت إليها التجار، منذ عهد الفينيقيين حيث تاجروا في الذهب مع بلاد السودان وقد كان للذهب دوراً إقتصادياً هاماً في حياة بلاد

---

(4) المرجع نفسه ، ص 44 .

(5) البكري: المغرب في ذكر بلاد المغربافريقيا، المصدر السابق ، ص181

(6) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، المصدر السابق،ص242.

(1) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، المصدر السابق ، ص453

(2) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب المصدر السابق ، ص159.

(3) المصدر نفسه،ص179 .

- منصور محمد البابور: مرزق التحضر والقاعدة الاقتصادية، ط2،جامعة قاريونس، ببنغازي، 1995م، ص25.

السودان الغربي، حيث ساهم في تنشيط التبادل التجاري عبر الصحراء منذ أيام مملكة غانة التي عرفت بإسم بلاد الذهب[1] .

إن تجارة الذهب لفتت انتباه العديد من الجغرافيين والرحالة العرب منذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي في تقديم العديد من البيانات وهي تحديد مواقع إنتاجه في منطقة السودان الغربي وخاصة على روافد نهري السنغال والنيجر[2] .

تعتبر طرابلس والمدن الليبية الأخرى كجادو وغدامس وزويله وجرمة ومرزق وغات مستفيدة من تجارة الذهب الذي زاد الطلب عليه في مناطق الشمال والمشرق ففي القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي فقد اشتهرت بلاد السودان بالذهب فكان يدخل إلى غدامس من تادمكة التي يقع بها الذهب من بلاد كوكيا أكثر بلاد السودان ذهباً كما كانت جادو تستقبل الذهب الآتي من بلاد التكرور[3] .

ويظهر أن الذهب الذي يحمل من بلاد السودان الغربي كان يغذي بلاد المغرب وجنوب أوروبا[4]، كان الذهب في السودان يبادل بالملح ويقال بأن الملح كان يباع بوزنه ذهباً هو أمر شائع في السودان . يبدو أن بعد الصحراء الليبية عن مصادر الذهب وقربها من بلاد الزغاوة ومن كانم وبرنو قد جعلت ثراء المدن والواحات الليبية يأتي أساساً من تجارة الرقيق[5].

اشتهرت بلاد السودان الغربي بالذهب وازدادت أهميته في عهد مملكة مالي ولعل الشهرة التي اكتسبتها هذه المملكة على أثر حج منسى موسى[*] إلى الأراضي المقدسة، وقد أدى ذلك الترف الذي ظهر به العاهل المالي إلى توافد التجار والعلماء

---

(1) محمود الأرواني: مخطوطة الترجمان تاريخ صحراء السودان وبلد تمبكتو وشنقيط ، دار دان، ونبذة من تاريخ الزمان في جميع البلدان، رقم(760) تمبكتو - مالي مركز أحمد بابا ورقة 4 – ص200 .

(2) الإدريسي : نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص 8 .

- ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، المصدر السابق، ص61 . عمر بن مظفر بن عمد: فريدة العجائب وفريدة الغرائب لشلان، 1822م، ص 152 .

(3) البكري : المسالك والممالك: المصدر السابق، ج2، ص 814. ، - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، ص 18 .

(4) بوفيل : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، المرجع السابق، ص 10 .

(5) جاك تيري: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص 656 .

(*) منسى موسى : هو ملك مالي في الفترة من 712 – 738 هـ/ 1312 – 1337 م واعظم حكامها وأكثرهم شهر ، وتعد حجته المشهورة 724 هـ / 1323 م من اشهر رحلات الحج الى الاراضي المقدسة التى عرفتها مجتمعات الممالك السودانية . ابن خلدون : العبر، ج6 ، المصدر السابق ، ص 414 ، ابن بطوطه : رحلة ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص304 .

والمهندسين إلى بلاد السودان الغربي، مما أدى إلى ظهور الأهمية العالمية لهذه المملكة وأصبحت المنطقة معروفة بأنها مصدر الذهب كما لفتت هذه الأهمية أنظار المجتمعات الأوروبية والتي وضعت سياسة وخطط لأستعمار هذه المناطق واستنزاف ثرواتها فيما بعد [1] .

غير أنه من الصعب تقدير الكميات التي كانت تصدرها بلاد السودان الغربي إلى مناطق الشمال الأفريقي والمغرب . قدر بعض المؤرخين[2]، الكمية بحوالي الطنين أو الثلاثة على الأكثر وأن هذا الرقم لا يتعدى حمولة ما يتراوح بين ثلاثين إلى أربعين من الجمال . طالما أن هنالك تزايد في أعداد المسافرين والقوافل التجارية في رحلاتها إلى بلاد ما وراء الصحراء مما يصعب تقدير الكمية المجلوبة .

وهكذا أصبح معدن الذهب والمتاجرة فيه له دور في نمو العلاقات مناطق الشمال الأفريقي ومنها طرابلس والمشرق العربي وبين بلاد السودان الغربي لعدة قرون . فقد ساعدت في عملية الاتصال والتواصل بين شعوبها وانتشار الإسلام والحضارة العربية في بلاد السودان . غير أنه يمكن القول في هذا الجانب إن ذهب بلاد السودان كان يغذي حاجة مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط من الذهب بما يساوي النصف[3] .

الرقيق:

كان الرقيق يمثل السلع التجارية الهامة التي مارسها الإنسان منذ أقدم العصور ولم تتوقف التجارة غير الانسانية إلا في القرن التاسع عشر منذ اتفاق الدول الاوروبية في 1231 هـ - 1815م بمؤتمر فيينا[*] على إلغاء تجارة الرقيق .

---

(1) أمين الطيبي: الحضارة الإسلامية وأثرها الإيجابي في السودان الغربي في القرون الوسطى ، المرجع السابق، ص 312

(2) قدر العالم الأثري مونى أن كميات الذهب المنقولة نحو الشمال بما يتروواح بين 8-6 طن من الذهب سنوياً، بازل ديفد سون: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد أحمد، دار الثقافة للطباعة والنشر بيروت، (د.ت)، ص 36 .

(3)Fisher, H.J: The eastrnMagrib (and sudan) , Cambridge History OF Africa, Vol. 111, 1977. 276 .

(*) مؤتمر فينيا : مؤتمر فينيا عبارة عن مؤتمر لسفراء الدول الاوربية تراسه رجل الدولة النمساوي كليمنسي فون مترنيش وعقد المؤتمر في فينيا في الفترة1229 – 1230 هـ / من سبتمبر 1814 – الى يونيو 1815م ، الذي كان هدفه تسوية العديد من القضايا ، يحي بو عزيزة : طرق القوافل والاسواق التجارية بالصحراء الكبرى ، المرجع السابق ، ص 99 .

وقد نتساءل هل تم استرقاق كل الأعراق السوداء في أفريقيا ؟ أم كانت تقتصر على عرق دون عرق؟ لقد استرقت كل الأعراق السوداء دون تمييز ولا تذكر لنا المصادر التاريخية أعداد الرقيق الذين جلبوا من السودان الغربي . غير أن ابن بطوطة أشار في ذلك عندما غادر تكدا نحو توات مع قافلة تحمل ستمائة عبد[1].

لقد كانت بلاد السودان الغربي أحد مصادر الرقيق الوارد إلى مدينة طرابلس ومدن الشمال الإفريقي ومناطق حوض البحر الابيض المتوسط . ويبد أن الرومان خلال سيطرتهم على المناطق الساحلية الليبية قد استخدموا الرقيق على نطاق واسع في دولتهم [2]. لا شك أن الرقيق الوافد من السودان يستغل في استعمالات متعددة بالرغم مرور الوقت لم يطرأ عليه تغير يذكر حيث تشير المصادر التاريخية والجغرافية أوجه استخدام الرقيق في المدن والواحات إلى فترة ليست ببعيدة كان هؤلاء يستعملون ويقومون بحراسة الحيوانات.

ذكر البكري قائلاً: إن هنالك أفراد من زناتة والعرب في أودغست لدى كل واحد منهم ألف من الرقيق **أو** أكثر[3]. كما ذكر أحد الرحالة الانجليز حيث قال (الغدامسية يلقون العبء في عزوفهم عن العمل الزراعي بأنهم أهل مدينة تمارس التجارة التي تتطلب الخلود إلى الراحة بعد العودة من أسفار طويلة مضنية ويتركون جل العمل على أكتاف العبيد [4]). هذا ويلاحظ أن منطقة السودان الغربي كانت أكثر المناطق تعرضاً لإستنزاف أسواق النخاسة العالمية على أثر اكتشاف الأمريكتين، وقد ساهم التجار الأوروبيين والعرب ووكالاتهم التجارية في نقل أعداد كبيرة من الوطنيين الأفارقة إلى خارج بلادهم[5]. لقد كان هؤلاء الرقيق

---

(1) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، المصدر السابق ،ص541،540

(2) تيسير بن موسى : المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، المرجع السابق، ص186-187

(3) البكري: المسالك والممالك :ج2 ، المصدر السابق، ص11 .

(4) ريتشاردسن: ترحال في الصحراء، المرجع السابق، ص166 .

(5) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوربي دراسات ونصوص، الجزائر المؤسسة الوطنية لكتاب 1989م ص39 .

يعرضون في أسواق بلاد السودان الغربي ويجلبون في غالب الأحيان من مناطق الغابات الجنوبية الوثنية (1) .

ويتم تسويقهم للقوافل التجارية القادمة من طرابلس وجادو وغدامس وغات ومرزق ويبدو أن هذا الرقيق المستجلب على طرابلس وبعض المدن والواحات الليبية الأخرى لم يستبقى بها بل كان جزء منه يصدر إلى بلدان الاوروبية وأن أفضل نوعيته هي التي يتم تصديرها إن تجارة سلعة الرقيق لم تكن نشاطاً اقتصادياً عابراً يمارسه وكلاء هذه التجارة على مراحل له بل كان نشاطاً مستمراً يخضع لطلب السوق في طرابلس والمدن الشمالية ومنطقة حوض البحر المتوسط(2).

سلع أخرى:

لقد ساهم السودان الغربي أيضاً بتصدير عدد من السلع الأخرى إلى جانب الذهب والرقيق والتي ارتكزت عليها تجارة الصحراء مثل العاج و الجلود والفول السوداني والزبد والعنبر وريش النعام وبيض النعام والقطن والدخن والشب.

ثانياً : التجارة بين طرابلس والسودان الأوسط :

أ. السلع الصادرة من طرابلس إلى السودان الأوسط :

بما أن طرابلس هي البوابات الشمالية للقارة الأفريقية كما أنها الوسيط البحري والمنفذ البحري للمعاملات التجارية للسودان الأوسط خاصة مملكة كانم برنو على ساحل البحر الأبيض المتوسط، لهذا حرص مايات(*) كانم برنو على توطيد علاقاتهم السياسية والتجارية مع حكام طرابلس وواحاتها ومن هذه السلع:

الخيول والأسلحة :

---

(1) المرجع نفسه، ص39 .

(2) - Brett M Ifrigiya as amarkct for saharahtrode from the 10 the to eleventh century Ad, journal Atrica History, vol . x . 3 . 1969p . 356

(*) مايات : تعني الملك الذي تعلى العرش ، عبد الجليل التميمى : الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وغرب افريقيا خلال العصر الحديث ، المرجع السابق ، ص12 .

كانت الخيول من السلع المهمة وذلك نتيجة الطلب الكبير عليها هنالك فقد استخدمت في جيوشهم . بسبب كثرة الحروب والصراعات والغارات المعادية بين القبائل، وقد أدرك مايات كانم برنو أهميتها في بناء جيوشهم[1] لتوسيع ممالكهم، وما يؤكد اعتماد هؤلاء المايات على الخيول إن عددها وصل في جيش دونمه دبالمي (618- 657 هـ/ 1221/ 1258م) إلى ألف فرس[2] .

ويبدو أن هذه الأعداد الكبيرة من الخيل كانت تصدر من طرابلس ومناطق الشمال الأفريقي والمغرب، كما حرص مايات السودان الأوسط على اقتنائها وتربيتها وتزين قصورهم بها وتبادلها كهدايا[3] .

وكثيراً ما يتم مقايضة هذه السلعة من قبل التجار بالرقيق[4] بدلاً من الذهب وربما يرجع هذا إلى قلة الذهب[5] في السودان الأوسط مقارنة مع بلاد السودان الغربي، حيث كان الحصان الجيد يساوي ما بين خمسة عشر إلى عشرين عبداً.

لقد قدم القلقشندي بيانات عن وصول هذه السلعة من برقة أحد المدن الليبية إلى بلاد السودان بقوله : "أما مواشيها فيها الخيل العربي المشابهة لخيل برقه"[6] .

أما الأسلحة فقد كان مايات كانم وبرنو حريصين على امتلاك الأسلحة النارية التي كان مصدرها الأول طرابلس ومدن بلاد المغرب، وقد أرسل إدريس ألوما سفارة إلى السلطان العثماني مراد على أمل الحصول منه على الأسلحة النارية لجيشه وقد حصل إدريس على بعض الأسلحة وذلك عن طريق تجار القوافل من طرابلس[7] .

---

(1) ابن بطوطه : رحلة بن بطوطه، المصدر السابق، ج2، ص 711 .
(2) المصدر نفسه، ص 711 .
(3) إبراهيم طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م،ص 170 .
(4) عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، جزائر (د.ت)، ص 223 .
(5) ابن بطوطه : رحلة بن بطوطه، المصدر السابق، ص 711- 712 .
(6) القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص 108 .
(7) الأدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المصدر السابق، ج1، ص 118 .

الملـح:

يعد الملح بالنسبة للسودان الأوسط أهم السلع ولا تقل أهميته عن أهمية الذهب بالنسبة لطرابلس ومناطق الشمال الأفريقي والمغرب[1] . لقد استخرج الملح من مملكة كوار في وسط أفريقيا إلا أن ملح طرابلس وواحاتها كان أجود منه فأصبح من السلع التجارية الهامة التي تحملها القوافل التجارية من طرابلس إلى السودان كانم وبرنو كانت تتم مبادلته بالذهب[2] .

لقد عرف تجار طرابلس ذلك وكانوا يبيعونه بأغلى الأثمان حتى بات الحمل من الملح يساوي ما بين مأتين وثلاثمائة دينار[3] .

ترى الباحثة أن بسبب ارتفاع سعر الملح في منطقة السودان الأوسط يعود إلى أن أغلب مصادره تقع في مناطق الشمال والمغرب الأقصى مما تعذر وصوله مباشرة إلى السودان الأوسط لذا أحتكر الليبيون هذه التجارة لوفرته في بلادهم وعرفت عنهم تجار الملح، حتى أن هنالك مثل يتردد عند الليبيين إلى يومنا هذا. يقال: (يكرون[*] عليك)[*1] الملح . وذلك عندما يرى الشخص مجهد متعب وغير قادر على العمل وهذا أن دل إنما يدل على أن الليبيين عرفوا المتاجرة بسلعة الملح ونقله من مكان إلى أخر .

المنسوجات:

وهي من أشهر البضائع التي تصدرها طرابلس وواحاتها إلى السودان الأوسط والتي كانت تصنع محلياً أو يتم استيرادها من أوروبا ومصر وتتمثل في الأقمشة . وبعض المنسوجات الممزوجة بالزعفران والثياب الحرير والأقمشة الصوفية والقطنية

---

(1) محمد بن صالح القيرواني: تكميل الصلحاء الأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان، تحقيق محمد العنابي، تونس، المكتبة العتيقة، 1970م، ص 304 .

(2) إدريس صالح الحرير: العلاقات الإقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1984م، ص 79 .

(3) التجاني: رحلة التجاني، المصدر السابق، ص 207 .

(*) يكرون: يرفعون الملح .

(*1) عليك : فوقك أي فوق ظهرك .

ملونة فضلاً عن الملابس المجلوبة من تونس على وجه الخصوص التي نالت محل إعجاب وقبول في بلاد السودان (كانم برنو) ففي عهد دونما دبيلامي كانت الثياب تحمل إليه من الحضرة التونسية التي ترد بلاد السودان هي السوسية(*)2 [1] .

كما صدرت المدن الليبية ومنها غدامس برانس قيمة وأنواع مختلفة من الشاشية(*)3وهي غالية الأثمان خاصة إذا كانت مصبوغة للطوارق والفرسود وهو [2] قماش هندي يصنع من جبة الصوف مجهز بالحرير[3]، لا شك لدى السودان الأوسط خاصة في مملكة كانم[4] .

أما العطور وأدوات الزينة :

فكانت تشمل الحلي الزجاجية وهي عبارة عن حبات تستعمل كعقود للنساء والأساور والخلاخيل الزجاجية والمسك والفرى كان من أهم المواد العطرية التي حصل عليها تجار طرابلس من حيوان المسك الذي كان يعيش بكثرة في الصحراء الطرابلسية[5] . كانت هذه السلع بنقلها تجار طرابلس إلى السودان الأوسط وقد لاقت هذه السلع أيضاً رواجاً وإقبالاً كبيراً في تلك الممالك خاصة لدى الأسرة الحاكمة والأثرياء منهم في مملكة كانم وبرنو[6] .

الودع :

لقد استخدم كعملة يتم تبادل سلع أخرى بها وكذلك كخرز للزينة مع قطع النحاس . ويبدو أن ممالك السودان الأوسط قد اعتمدت على ودع طرابلس وواحاتها

(*)2 الحرير السوس لحمه من الحرير وسداه من القطن . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، المصدر السابق، ص 12 .

(1) الحشائشي : رحلة الحشائشي الي ليبيا ، المرجع السابق ، ص163 .

(*)3 يقصد بالشاشية أغطية الرأس الرجالية وتعد من الصناعات التي كانت منتشرة في جبل نفوسة في ليبيا .- الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب (تحقيق إبراهيم طلاي، دار الفكر العربي بيروت، 1974م، ج2، ص 380 .

(2) الأدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المصدر السابق، ص 39 .

(3) الحشائشي : رحلة الحشائش إلى ليبيا، المرجع السابق، ص 163- 164 .

(4 عبد الفتاح حسين مقلد : سلطنة برنو حتى عام 1808م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1978م، ص 182 .

(5) دريد عبد القادر نوري: ازدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي بعد القرن الخامس الهجري، مجلة الكويت، العدد الأول، 1986م، ص 98 .

(6) نعييم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر1975م، ص 127.

الذي يتم استجلابه من المشرق والهند حيث كان يتخذ كحلى وعملة شائع الاستعمال في المجتمع السوداني(1) .

الزعفران :

يعتبر من أهم السلع التي تصدر إلى السودان الأوسط من طرابلس وواحاتها وكان مصدره جبال غريان(2) غرب مدينة طرابلس . وقد وصل إنتاج هذا النبات إلى ثلاثين قنطاراً سنوياً كما يعتبر من أجود أنواعه ولهذا كثر عليه الطلب من قبل ممالك السودان ولا يزال أهالي غريان إلى يومنا هذا يمارسون زراعة هذا النبات في مناطقهم(3) .

الذهب :

كان الذهب من السلع الرئيسية في حركة تجارة القوافل بين طرابلس وواحاتها والسودان الأوسط كما أنه من السلع الهامة عند سكان بلاد السودان ولهذا نجد أغلب معاملاتهم التجارية التي تتم بين طرابلس والمدن الليبية بالذهب وكان يرد عن طريق زويلة مرزق وغدامس الذي كانت تدخل منها القوافل إلى طرابلس(4). ويظهر أن طرابلس خلال القرن الثامن والتاسع الهجري/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين قامت بدور الوسيط في نقل هذه السلعة إلى الشمال، ليقوم ببيعه لتجار الأوروبين الذين أنشأوا في تلك الأونة العديد من النزل بها لممارسة تجاراتهم(5). كما نقل هذا المعدن إلى مصر وبلاد المشرق ولقلته في السودان الأوسط كان تجارها يحصلون عليه من مناطق السودان الغربي(6) .

تجارة الرقيق:

---

(1) حسن الوزان : وصف أفريقيا، المصدر السابق، ص 541 .
(2) جبريل أبوبكر: طرق القوافل وآثرها في تقوية العلاقات الثقافية بين ليبيا وجيرانها في جنوب الصحراء، "ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب خلال الفترة من 20- 23/ 1995/12م" مراجعة عبر الحميد الهرامة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، 1998م، ص 165 .
(3) ع. ف لايون: مدخل إلى الصحراء، ترجمة الهادي أبو لقمة، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1993م ، ص 35 .
(4) جبريل أبوبكر: طرق القوافل وآثرها في تقوية العلاقات الثقافية بين ليبيا وجيرانها في جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 85-86 .
(5) عبد الفتاح حسين بكر: سلطنة برنو حتى 1808م، المرجع السابق، ص 138 .
(6) حسن الوزان: وصف أفريقيا، المصدر السابق، ص 175 .

كان سلاطين وحكام السودان الأوسط يزودون طرابلس ومناطق الشمال بالرقيق وذلك بعد غارتهم على المناطق المجاورة من أواسط أفريقيا .ويظهر أن تجار الشمال يبقون في تلك الممالك إلى أن يتم إحضار هؤلاء الأسرى من تلك الغارات فيتم بيعهم لهم[1] .

كما كان لمدن وواحات فزان دور بارز في جلب الرقيق من بلاد السودان الأوسط إلى طرابلس ومناطق الساحل فقد اشتهرت زويله بأنها مركز التجمع للرقيق، حيث ذكر اليعقوبي قائلاً: "إن التجار البربر كانوا يجلبون إلى زويلة العديد من الرقيق السود"[2] . كما ذكر صاحب كتاب الاستبصار بقوله : "مجمع الرفاق وإليها يجلب الرقيق"[3]. لقد كانت مدينة زويلة مدخل بلاد السودان وأن قبائل الزغاوة لها علاقات وطيدة بتجارها .

لا شك أن هؤلاء يقومون بتصديره إلى بلدان مناطق الشمال وحوض البحر الأبيض المتوسط لقد اشتهرت العديد من المدن والواحات الليبية الجنوبية بممارسة تجارة هذه السلعة كغدامس ومرزق التي استمرت بهذه المتاجرة حتى سنة1267 هـ – 1850م رغم الممانعة الدولية لها .

يبدو أن السلطات العثمانية في ولاية طرابلس هي الأخرى لم تعارض هذه التجارة وذلك لما يعود عليها بالأرباح الطائلة منها، وتعتبر تجارة الرقيق بالنسبة لممالك السودان الأوسط أحد أهم الموارد الاقتصادية . ويظهر أن هذه التجارة في السودان الأوسط قد غطت على نقص معدن الذهب فيها مقارنة مع ممالك السودان الغربي والتي عرفت أن مادة الذهب هي السلعة المهمة في تجارتها مع الشمال الأفريقي والمغرب العربي، غير أنه مهما بلغت قيمة واردات تجارة الرقيق لبلاد

---

(1) أمين الطيبي: أثر الإسلام الحضاري في غانة ومالي في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص 125 .
(2) اليعقوبي: تاريخ البلدان، المصدر السابق، ص 92 .
(3) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 146 .

السودان الأوسط إلا أنها لم تحل محل الغلات الزراعية ومواردها الحيوانية إى لم تكن تجارة الرقيق المصدر الوحيد للأقتصاد في تلك الممالك[1] .

الجلود:

كانت الجلود الخام المجلوبة من بلاد كانم برنو إلى طرابلس وواحاتها[2] ذات قيمة صناعية كبيرة في ذلك الوقت حيث صنعت منها الأحذية وقرب المياه وسياط الخيل وقد اشتهرت مدينة غدامس بصناعة الجلود ودباغتها وكانت تصدر إلى المدن الأوروبية عبر مدينة طرابلس كما تأتي إلى غات الجلود السودانية المدبوغة وهي غالبيتها جلود ماعز حيث تربط في حزم تبلغ كل حزمه حوالي 10 قطع ويتم تسويقها في طرابلس هذا وقد شكلت الجلود أهم صادرات السودان الأوسط إلى طرابلس[3] .

الشب :

يعتبر من الموارد الطبيعية التي توجد ببلاد السودان الأوسط فقد عرفت بلدة كاوار به[4]. لقد ذكره الإدريسي عندما قال: "إن الشب الكواري لم يكن يعادله شيء في الطيب"[5]. إن هذا الشب كان يستعمل في أغراض الصباغة والدباغة وفي الأغراض الطبية أيضاً كما أشار أبو الفداء في القرن الثامن الهجري أيضاً ويستخرج الشب من بحيرة كوار وينقل عبر الأراضي الليبية إلى مصر[6] .

(1) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، المصدر السابق، ص11 .

(2) اليعقوبي: تاريخ البلدان، المصدر السابق، ص 345 .
(3) سلفاتوربونو: العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وايطاليا في العصر الوسيط ترجمة عمر محمد الباروني، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1981م، ص 327 .
- محمد سليمان أيوب: جرمة في عصر ازدهار، ليبيا في التاريخ، بنغازي جامعة قاريونس، 1968م، ص 192 .
(4) زين العابدين السراج : دولة كانم الإسلامية (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية الآداب، جامعة القاهرة 1977م، ص162 .
(5) الإدريسي : نزهة المشتاق ج1، المصدر السابق، ص 29- 116 .
(6) أبو الفداء : تقويم البلدان، المصدر السابق، ص 128 .

لقد جلب التجار الطرابلسيون هذه السلعة إلى الشمال عن طريق واحات فزان الجنوبية لمدينة طرابلس وتم تسويقه إلى أوروبا وغيرها[1] .

بيض وريش النعام:

من أهم السلع التي كانت ترد من المناطق الأفريقية إلى مناطق الشمال الأفريقي وكانت هذه السلعة غالية الثمن حيث أقبل التجار الطرابلسيون على هذه السلعة بشكل كبير وتعدد استخدامها فكانوا يصدرون الريش والبيض إلى أوروبا ليستخدم ريش النعام كمراوح للتهوية وللزينة في البيوت والقاعات، أما البيض فيدخل في تركيب الأدوية والزينة[2] .

العاج :

وهو المعروف بقيمته التجارية وهو من السلع التي تأتي من السودان الأوسط تعد قيمته قياسا بما يقابل وزنه بالقنطار ويتم تميزه ما بين نوع البرناوي وهو أكثر نعومة ومتانة ومصدره الرئيسي غالباً برنو وباجرمي أما النوع الثاني المعروف الوّداي فكان أقل جودة وقيمة تقدر قيمته بنصف قيمة النوع الأول .

لقد كانت ممالك السودان تصدر هذه السلع إلى الشمال حيث ذكر بوفيل أن التجار كانوا يقيمون في ولاته لجمع العاج من سائر أقاليم السودان ويصدرونه إلى المغرب ثم أوروبا[3] .

الثياب :

تعد الثياب والأقمشة من السلع المتبادلة بين طرفي الصحراء وقد تمكن أهل بلاد السودان الأوسط (كانم برنو) من صناعة نوع من القماش يسمى دندى[*]، وطول كل ثوب من هذا القماش عشر أذرع فأكثر وقد كانت أثواب تلك المملكة عادة

---

(1) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، المصدر السابق، ج2، ص 660- 661 .

(2) عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، المرجع السابق، ص 225-226 .

(3) الأمين عوض الله: تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية 1984م، ص 80 .

(*) دندى : هو من المنسوجات القطنية المحلية في بلاد السودان وخاصة في كانم . طوله عشرة ادرع ، والذراع 58 سم القلشندي ، صبح الأغشى ، ج5 ، المصدر السابق ، 270 .

مـا يـتم تجسـيدها بـالزعفران الـذي يـتم جلبـه مـن طـرابلس وتعـرف بالمنسـوجات المسجدة[1] .

هذا واشتهرت غدامس بأنواع شتى من هذه الأثواب وعرفت بأماكن تصنيعها في بلاد السودان فعرف الغدامسيون "حمو كوكا[(*)1]" ثوب كوكا وكتان زمبرما[(*)2] وغيرها .

([1]) الحسن الوزان : وصف أفريقيا، المصدر السابق، ص 479 .

[(*)1] حموا كوكا : هو نوع من الاقمشة التي تستورد من مدينة كوكا ببلاد السودان ، سالم أحمد القطعي : البنية الاقتصادية لمدينة اغدامس واثرها على تجارة القوافل الصحراوية ، المرجع السابق ، ص 138 .

[(*)2] زمبرما : كتان زمبرما هو نوع من الاقمشة التى تستوردها مدينة اغدامس من السودان الغربي : المرجع نفسه ، ص138 .

الفصـــل الثـالث

التجـارة بيـن طرابلس ودارفـور

1- أهم السلع المتداولة بينهما .

2- السلع المتبادلة بين طرابلس ودارفور .

3- الرقيق.

4- ريش النعام .

5- العاج .

التجــارة بين طرابلس ودارفـور

إن سلطنة الفور التي تأسست عام1059 هـ- 1649م في إقليم دارفور بزعامة (سليمان سلونج[*]) والتي دخلت في صراع مع سلطنة الفونج على كردفان من جهة وإيقاف زعامة الفونج على السودان من جهة أخرى. تعد هذه السلطنة امتداداً للإسلام بثقافته العربية إلى وسط أفريقيا وغربها [1].

وقد ارتبطت سلطنة دارفور بعلاقات اجتماعية وثقافية واقتصادية مع المراكز الحضارية في السودان الغربي والأوسط وساهمت في جعل العروبة والإسلام يمتدان من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي عبر دارفور والسودان الأوسط .

وقبل أن نتناول التجارة بين طرابلس ودارفور قد نتساءل هل هناك صلات وعلاقات تجارية تربط بين دارفور وطرابلس؟

وما هي أهم السلع المتداولة بينهما؟

لقد عرف عن إقليم دارفور أنه يتألف سكانه من العنصر الزنجي والعنصر الحامي وفي زمن غير محدد وقد يرجع إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

دخل إقليم دارفور شعب جاء من الشرق وهو شعب (الداجو[1][*]) وكون مملكة فيها ويظهر أن على دارفور بحكم اتصالها ببلاد المغرب عبر المسالك الصحرواية التي تنحدر من طرابلس نحو الجنوب أن تتأثر بالأحداث التي تعرضت لها بلاد

---

[*] سليمان سلونج : هو مؤسس سلطنة دار فور كان اشهر رجل في زمنه استطاع بتحالفه مع العرب ان يخضع ملوك قبائل المراريت والمساليت في الغرب والزغاوه في الشمال والبرقد والتنجر والبيقو في الشرق . كما انه كان جاد في نشر وتعميم الاسلام في دار فور التى لم يكن كل سكانها من المسلمين حيث انه كان صاحب البر والاحسان على نشر الاسلام وبنى المساجد للعبادة وأقام الخلاوي لتعليم القرآن وعلوم الدين ، يوسف فضل حسن : مقدمه في تاريخ الممالك في السودان الشرقي ، ط2 ، الدار السودانية ، 1972 ، ص 83 .

[1] رأفت غنيمي الشيخ : دراسات افريقية في التاريخ الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص 54

[*][1] الداجو : من الشعوب السودانية القديمة وقد حكموا البلاد قبل التنجور في عام 802هـ / 1400 م وأسسوا امبروطرية شرق الابيض وشرقي كادقلي ومنطقة القاوة وماجاورها من قرى بالجبال الغربية ، أحمد ابراهيم دياب : لمحات من التاريخ الافريقي الحديث ، 1981م ،ص43 .

المغرب. ففي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي تعرضت البلاد لهجرة جديدة هجرة شعب (التنجور[*])tungari. ويبدو أن هؤلاء المغاربة الذين جاءوا من طرابلس وتونس تركوا بلادهم هرباً من بنى هلال وبنى سليم في شمال إفريقية.

وقد عبر هؤلاء المهاجرين بلاد (برنو) و(وداى) حتى وصلوا دارفور ثم جاء غيرهم من الشرق[1] واختلطوا مع السكان الأصليين ونتج عن ذلك جنس مختلط بين الداجو والتنجور، يسمى شعب الفور لقد دخل الإسلام إلى هذه البلاد مع شعب التنجور كما يرجع انتشار الإسلام في كل من كردفان ودارفور إلى وصول التجار والدعاة من مختلف الاتجاهات، من الشرق ومن شمال أفريقيا أو من المغرب والسودان الغربي ثم تبعتهم القبائل العربية من الشرق والمنطقة السفلى للنيل[2].

ولا شك أن درب الأربعين لعب دوراً مهماً في حركة الاتصال بين دارفور وطرابلس وبلاد غرب إفريقيا، فكان أحد المسالك التي تسير عبر الصحراء الشرقية، كما كان يطلق عليه الطريق الليبي. أصبحت القوافل التجارية تجوب الصحراء ودرب الأربعين لتجلب منتجات دارفور من الذهب والملح والعاج والرقيق والحيوانات إلى طرابلس وقد زادت أهمية هذا الطريق بعد رغبة السلاطين للحصول على الأسلحة من شمال أفريقيا في تقوية ممالكهم. حيث أهتم سلاطين دارفور بهذا الطريق فحفروا الآبار وأقاموا الحبوس لتأديب قطاع الطرق والرباطات لعابري السبيل والحجاج.

ولعل السبب هو أن السلاطين كانوا من الممولين الأوائل لتلك القوافل التجارية كما ساهمت العديد من الواحات الليبية الجنوبية والشرقية في ازدهار وتنشيط تجارة القوافل عبر الصحراء وذلك نظراً لموقعها المتوسط والمتميز بين دول ساحل البحر

(*) التنجور: التنجور هم فرع من العناصر البربرية التى وفدت في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلادين من مناطق الشمال الافريقي كنتيجة مباشرة للهجرات الهلالية . الحافظ عبد الكريم سليمان : الدوري الحضاري والسياسي لفزان في القرن الثامن االهجري ، المرجع السابق ، ص230 .

(1)Trimingham Spencer: von Graunebaum, The uninersity of chilcago press, Lchicgolliois, U.S.A. 1955. P89.

(2) بدري محمد فهد: صلات العرب وأفريقيا (الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية) ط1، 2002ف، ص68.

الأبيض المتوسط وأفريقيا أن أهم هذه الواحات جالو وأوجلة والكفرة التي لها صلات وعلاقات مع السودان الشرقي والسودان الأوسط[1].

تشير المصادر التاريخية بأن سكان تلك الواحات كان لهم دوراً هاماً في ازدهار الحركة التجارية بين مناطق الشمال الأفريقي طرابلس وبنغازي وبلاد السودان التي لها علاقة وثيقة بها وكذلك حوض وادي النيل.

تعتبر هذه الواحات منذ القرن الحادي عشر الهجري /السابع عشر الميلادي، هي مركز القبائل المجابرة والزوية[*] التي كانت لهم علاقة تجارية وطيدة مع ودّاي ودارفور، ذكر فريدريك: حيث قال: "إن هؤلاء التجار كانوا يؤسسون بيوت تجارية في البلاد المجاورة لليبيا ويتواجد فيها أفراد القبيلة لتسهيل أعمالهم التجارية وتكون حلقة وصل مع القبيلة الأم في ليبيا [2].

أما فيما يتعلق بالتجار الطرابلسية المتعاملين مع بلاد السودان في هذه الفترة، فإنه قد وردت في سجلات المحكمة الشرعية إشارة عارضة إلى الحاج حسين بن حسين بن علي بن موسى الذي يبدو أنه ممن كانوا يتاجرون مع بلاد السودان الشرقي إذ يرد ذكره في إحدى الدعاوي كغائب (مفقود) في دارفور[3] . ورغم صمت السجلات واليوميات عن ذكر أسماء قبائل وأفراد لهم نشاط في بلاد السودان فإنه لا يستبعد وجودهم، خاصة وأن هناك علاقات دبلوماسية بين طرابلس وبلاد السودان الشرقي كما كان للحركة السنوسية الدور الكبير في عملية دعم الأمن بالسكن في هذه الجهات إذ كانت القوافل تمر بها في أمان واطمئنان وكذلك كان لدرب الأربعين

---

(1) أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الأفريقي الحديث، المرجع السابق، ص45،44.

(*) الزوية : هي من القبائل العربية الليبية تستقر بمنطقة (الكفرة) بجنوب شرق ليبيا ومنطقة تازربو ، وهاجرت مجموعات منها في تواريخ مختلفة واستقرت فى السودان الاوسط (فايا) و(وداي) و(فادا) وقد ساهم افرادها العلماء منهم في نشر الدين الاسلامي منهم في المنطقة . محمد سعيد القشاط : صحراء العرب الكبرى ، المرجع السابق ، ص 138-139 .

(2) فريد ريك هورنمان: رحلتان عبر ليبيا من القاهرة إلى مرزق(1797-1798م)، رحلة ورسائل الاسكندر جوردون لينج (1824-1826) المرجع السابق، ص59.

(3) محمد عمر مروان: سجلات محكمة طرابلس الشرعية رقم (21)، المرجع السابق، ص 77 .

دور ديني هام، حيث أن المتصوفين كانوا يسلكون هذا الطريق من الفقهاء والعلماء والذين كان لهم دور هام في نشر الإسلام في بلاد السودان الشرقي والأوسط[1].

كما كان درب الأربعين خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، معبراً إلى الحج حيث القادمون من الشمال وغرب أفريقيا يعبرون هذا الطريق وقد ظل هذا الطريق يمثل الملتقى الثقافي والتاريخي الهام . إضافة إلى جلب العديد من السلع عبره من السودان كالإبل والرقيق والعاج والذهب [2].

بعدها استعمل الطريق التجاري الذي يربط بين ودّاي والمدن الساحلية الليبية وذلك مع بداية القرن التاسع عشر بناء على دعوة سلطان ودّاي عوضاً عن طريق دارفور الذي كانت تفرض فيه جمارك عالية[3] .

ويظهر أنه خلال ثورة المهدي كانت تتم المتاجرة مع دارفور عبر طريق ودّاي بنغازي ويقدر قيمة تجارة وداي بما يعادل مليون ونصف المارك في العام[4]. ويمكن القول إن التجارة بين طرابلس ودارفور ظلت عبر طريق وداي بنغازي حتى العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي .

وأصبحت هذه التجارة نشطة ومزدهرة وقد ورد في التقارير القنصلية الانجليزية بمدينة بنغازي على سبيل المثال إنه بين عامي(1293 – 1295 هـ) – (1876–1879م) توجهت من ودّاي سبع عشرة قافلة وإن خمس عشرة قافلة كانت تحت سيطرة تجار من بنغازي وقدر عدد جمالها بـ(582) جملاً أما القافلتان الأخيرتان فهن لقبيلتي الزوية والمجابرة فالمجابرة يمتلكون (520) أما الزوية فلهم 1000جملاً.[5]

(1) محمد بن عمر التونسي : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، جامع تواريخ فاس، طبع بمدينة الرم 1878م، ص 28-29.
(2) محمد بن عثمان الحشائشي : الرحلة الصحراوية في سائر أنحاء ليبيا، طرابلس وبرقه وفزان، المصدر السابق ص68 .
(3) نجمي رجب ضياف : مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، المرجع السابق، ص 151 .
(4) المرجع نفسه ، ص 152 .
(5) سعيد عبد الرحمن الحنيدري : العلاقات الليبية التشادية 1883-1970م، المرجع السابق ص 63-64 .

وهكذا أصبحت تجارة القوافل بين وداي والمدن والواحات الليبية التي شهدت أوج أيامها عقب سقوط أم درمان في أيدي أتباع المهدي وقد أخذت في الانهيار من تاريخ احتلال الانجليز لتلك البلاد، فأخذت المنتوجات طريقها الطبيعي التصدير نحو الشمال بواسطة النيل وقد قضت الخطوط الحديدية التي أنشأها الإنجليز في عام 1900م على هذه التجارة قضاءً تاماً[1].

السلع المتبادلة بيـن طرابلس ودارفـور :

كانت طرابلس تحتفظ بالكثير من العلاقات التجارية مع العديد من الدول الأوروبية ومناطق جنوب الصحراء (السودان الغربي والأوسط والشرقي) الأمر الذي جعل تجار طرابلس من العرب المسلمين واليهود يحتكرون هذه التجارة أي يصدرون ويستوردون كل عام بضائع تبلغ قيمتها مابين 5–6 ملايين من الليرات.

لقد كانت القوافل التجارية التي تنطلق من طرابلس عبر فزان والمناطق الشرقية التى تتأجر مع دارفور سلكت الطرق التي ذكرت فيما سبق وقد حملت إلى أهل دارفور الجلود المدبوغة وأنواع النسيج المختلفة وكذلك الكتب والمخطوطات[2] التي كان أهل دارفور بحاجة إليها لفهم الإسلام بشكل صحيح إضافة إلى المنتجات الأوروبية المختلفة من المنسوجات والأقمشة وأدوات الزينة والخرز والأساور والزجاج والمرايا والأواني.

أما أهم السلع التي تجلب من دارفور إلى طرابلس عبر فزان تتمثل في تجارة: الرقيق، العاج، والحيوانات وريش النعام. [3]

كانت تجارة الرقيق نشطة بين طرابلس ودارفور عبر فزان حيث قام العديد من تجار السودان الشرقي وتجار كردفان والزغاوة والتبو بمزاولة هذه الحرفة والمتاجرة بها

---

(1) فرانشسكوا كورو: ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، المرجع السابق، ص88 .
(2) أحمد إبراهيم دياب : لمحات من التاريخ الافريقي الحديث، المرجع السابق، ص45 .
(3) المصدر نفسه، ص 46.

مع فزان وواحة الكفرة والذين يعرفون باسم (الجلابة). لقد شكل الرقيق عُشر أهل مرزق عاصمة إقليم فزان على الرغم من أن الكثيرون منهم جلبوا وهم صغار وإن الرقيق الذين يعملون في المنازل فإن نساءهم يبقون معهم ونادراً ما يباع هذا النوع من الرقيق[1].

أما عن أسعار العبيد يظهر أن الرقيق المجلوب من بلاد السودان الشرقي والأوسط كان ثمنه أكثر من المجلوب من السودان الغربي . ولا شك أن ارتفاع أسعار هؤلاء العبيد أدى إلى تفضيلهم على سواهم من عبيد السودان الغربي .

هذا ونجد خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر ميلادي كان ثمن العبد الواحد المجلوب من دارفور وودّاي وبرنو يساوي ثمانية قروش (القرش50 سولس[*]) وثمن العبد في فزان يساوي 24قرشاً وفي طرابلس يتراوح مابين 40إلى 60 قرشاً أي ما يعادل مائة أو مائة وخمسين جنيهاً فرنسياً[2]

يظهر أن ثمن الرقيق الواحد من مصدره إلى أخر سوق طرابلس قبل توزيعه على المناطق الأخرى يتضاعف ويكون أضعاف هذا في أوروبا . الأمر الذي حفز كثر من التجار للانخراط في المهنة وكان يتم تبادل السلع بين طرابلس وفزان سواء في طرابلس أو في سوق مرزق الذي يعتبر مكان المقايضة . إضافة إلى أصحاب القوافل من برنو وكردفان وزغاوة والتبو الذين يبادلون الرقيق والعاج والذهب بالبضائع التي يأتي بها التجار من طرابلس حيث كانت تصل طرابلس كل سنة قافلتان إلى فزان وتكون كل واحدة منها أكثر من مائة جمل وتخرج في ديسمبر لترجع في الربيع وبعدما تنتهي أحياناً المبادلات في فزان تغادر قوافل دارفور ووداي وبرنو إلى السودان وتعود قوافل طرابلس وكذلك بنغازي إلى موطنها[3] .

([1]) جون فرانسيس ليون: من طرابلس إلى فزان ، المرجع السابق، ص 217 .
([*]) سولسى : هي عملة متداوولة في وداي ودار فور. الحافظ عبد الكريم سليمان: الدور السياسي والحضاري لفزان، مرجع سابق، ص ، 199.
([2]) جان كلود زليتر: ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، طرابلس ملتقى أوروبا بلدان وسط إفريقيا 1500- 1795، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان مصراته- ليبيا، ط11، 2001، ص245 .
([3]) جاد كلود زليتر: طرابلس ملتقي أوربا بلدان وسط أفريقيا، المرجع السابق ، ص 347 .

لقد أصبحت تجارة طرابلس سنة 1163هـ/ 1750م مزدهرة ونشطة ولعل ذلك يرجع إلى ترسيخ السلطة المركزية بعدما تم توجيه حملة إلى فزان منذ سنة1145هـ- 1732م . ويبدو أن هذه الحملة لم يكن الهدف منها الحصول على الأتاوه، وإنما القضاء على قوة فزان وتحجيم دور سلطانها إلى مندوب[2].

ففي 31 يناير سنة 1170 هـ- 1756م وصلت قافلة من فزان إلى طرابلس كانت مكونة من أكثر من سبعمائة عبد كما وصلت قافلة أخرى إلى طرابلس من فزان كان منتظر وصولها منذ شهر مكونة من 680 عبداً وأمة وفي 1170هـ /1756م أسعد الطرابلسيون بوصول قافلتين أخرتين من فزان وغدامس أحضرتا معهما 1100 عبداً وأمة فضلاً إلى العديد من القوافل القادمة من تمبكتو وبلاد السودان الغربي[3]. ويبدو أن وصول هذه القوافل كثيراً ما ينعش تجارة طرابلس والتي قد يصيبها الركود بين الحين والأخر[4] .

لقد ظلت تجارة العبيد من أهم الواردات من السودان الشرقي وودَّاي Waddai وقد أشار إليها رولفس عندما قال: "أنه شاهد في أوجله مرور قافلتين بهما مجموعة من الرقيق تتراوح إعدادها بين 1000 إلى 1200 عبد وأن معظمهم من الأطفال"[5].

لقد استمرت تجارة العبيد حتى فترة متأخرة من هذه الدراسة في كل من طرابلس وواحات فزان وتأكيداً لذلك ففي مطلع القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي .إذ تبين الوثيقة[1] على أن أبو القاسم بن أحمد أحد مرابطي أبراك قد أشترى أمة من سوق السلطان بمرزق في عام 1121- 1709م وإنه تم دفع الثمن كاملاً غير مؤجل.

---

(2) أ. ج. هو بيكنز : التاريخ الاقتصادي للافريقيا الغربية ، ت : احمد فؤاد بلبع ، المجلس الاعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، 1998م ، ص357 – 359 .

(3) جاد كلود زليتر: طرابلس ملتقي أوربا بلدان وسط أفريقيا، المرجع السابق، ص 257 .

(4) أحمد النائب الانصاري : المنهل العذب ، المصدر السابق ،ص 232 .

(5) غير هارد رولفس : من طرابلس إلى الكفرة، المصدر السابق، ص265 .

(1) عبد القادر محمد أبو القاسم العاشوري : ابراك، وثائق دولة أولاد محمد بفزان، المجلد الأول جمع وتحقيق حبيب وداعة الحسناوي: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1994م، ص 485 .

وهكذا أصبحت ولاية طرابلس المحطة الأخيرة والتي منها يتم توزيع الرقيق للأسواق العالمية حيث كانت السفن الأوروبية ومنها الفرنسية تتولى نقل العبيد إلى بلدان أوروبا والمشرق وقد كون أصحاب هذه السفن ثروة طائلة . من هذه التجارة ولا شك أن القنصل الفرنسي كان له مساهمة في هذه التجارة والتي كسب منها أموالاً كثيرة[1] .

2. ريش النعام :

هو من السلع الأخرى التي كانت رائجة بين سلطنة دارفور وطرابلس فقد كان التجار يحملونه إلى مناطق الشمال الأفريقي، ومنها إلى أوروبا لقد شكلت هذه السلعة رواجاً كبيراً في الأسواق، وكان التجار يحملون منها كميات كبيرة أثناء رجوع قوافلهم من دارفور وخاصة وأن هذه المنطقة والمناطق المتاخمة لها كانت أحد مصادر ريش النعام والعاج حتى فترة متأخرة من الدراسة[3] .

ولعل ما يوضح ذلك الخطاب الذي بعثه السلطان بخيت أبو ريشة سلطان دارسلا[*] للسلطان علي دينار، أن المعاليا اعترضوا طريق قافلة تجارية واستولوا على عشرين قطعة من العاج ومائة وعشرين رزمة من ريش النعام[4].

ويبدو أن ريش النعام ذو أهمية ومردود مادي كبير لمختلف التجار الليبيين سواء كان من طرابلس أو فزان الأمر الذي جعل هؤلاء التجـار يتجهون بقوافلهم باستمرار نحو بلاد دارفور Darfur من أجل الحصول عليه[1] .

لقد ذكر التونسي خلال زيارته دارفور حيث قال : "أنه جاء بعض التجار من فزان يطلبون ريش النعام من دارفور ومعهم بعض الهدايا ومبلغ خمسين ريالاً"[2] . لا

---

(1) جان كلود زلينتر : طرابلس ملقى أوروبا وبلدان وسط أفريقيا، المرجع السابق، ص 345- 346 .

(3) الحافظ عبد الكريم سليمان : التجارة في فزان بين كتابات الجغرافيين العرب والرحالى الاوربين في الفترة من 1500 – 1750 م ، جامعة ام درمان الاسلامية كلية الآداب ، السودان ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، ص 229 -230 .

(*) دار سلا : هي منطقة في غرب دارفور (الجنينة) شرق تشاد حالياً بها قبيلة السلاطين .محمد سعيد القشاط : صحراء العرب الكبرى ، المرجع السابق ، ص65 .

(4) الن ثيوبولد: علي دينار آخر سلاطيني دارفور، ترجمة فؤاد عكود، الشركة العالمية للنشر والطباعة، 1426هـ/ 2005م، ص 38 .

(1) الن ثيوبولد: علي دينار آخر سلاطيني دارفور ، المرجع السابق ، ص 39 .

(2) محمد بن عمر التونسي: تشحيذ الأذهان سيرة بلاد العرب والسودان، المصدر السابق، ص 294 .

شك أن الأرباح الطائلة التي يجنيها هؤلاء التجار وخاصة تجار فزان من وراء هذه السلعة جعلهم يتوجهون إلى مصادره دون وسيط تجاري برغم ما يواجههم من متاعب وصعوبات في الوصول إليه .

3. العاج:

لقد عرف فيما سبق أن العاج يمثل أحد السلع المطلوبة في مناطق الشمال الأفريقي وطرابلس وهو من السلع الرائجة والمربحة .

كانت بلاد دارفور أهم مصادر العاج وكذلك المناطق المتاخمة لها لوفرته في تلك البلاد كان كثيراً ما يرسله السلطان علي دينار– سلطان دارفور– إلى الحاكم العام في الخرطوم، كما أعتبر العاج من ضمن الجزية التي يرسلها سلطان دارفور وقد وصلت في بعض الأحيان إلى أربعة قناطير[3] كما حملت القوافل التجارية هذه السلعة من دارفور إلى فزان ومن ثم إلى ولاية طرابلس بعدها توزع على الأسواق العالمية[4].

لقد استفادت طرابلس ومدن وواحات فزان من المتاجرة بهذه السلعة وذلك لما تجنى من أرباح طائلة من رسوم وإيرادات حيث توضح أحد الوثائق .

إن القنصل الإنجليزي في طرابلس كان هو الأخر يمارس تجارة العاج وهذا بدوره يدلل أن تجارته كانت تدر أرباحاً مجزية . فالقنصل الأنجليزي كان يرفض أن يدفع ضريبة الوارد تسعة قروش أسوة ببقية التجار وإنما أراد أن يؤخذ له ضريبة الصادر والوارد بنفس القيمة أي ثلاث قروش بدلاً من تسعة قروش[1] .

وهكذا أصبحت التجارة في هذه السلعة قائمة بين طرابلس ودارفور عبر واحات فزان حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي وكانت أهم السلع الرائجة هي عاج الفيل والذهب والعبيد، بالإضافة إلى بعض الحيوانات منها الأبل

---

(3) الن ثيوبولد: علي دينار آخر سلاطين دارفور، المرجع السابق، ص160 .

(4) المرجع نفسه ، ص161 .

(1) أحمد سعيد الفيتوري: ليبيا وتجارة القوافل، المصدر السابق، وثيقة رقم 18، ص 50 .

والتي يتم توريدها إلى طرابلس عبر فزان وواحات الكفرة خاصة وأن قبائل المجابرة والزوية الذين كانت لهم علاقات تجارية تربطهم بودّاي والفاشر .

ونتيجة الطلب المتزايد على هذه السلعة ارتفع إثمانها حيث وصل سعر ناب الفيل إلى مائة وخمسة وعشرين محبوب(*) وريش النعام الذي كان ثلاثة ونصف محبوب ارتفع وأصبح أربعة محابيب للريشة الواحدة وكذلك ارتفع ثمن القمح والشعير الصاع نصف محبوب والزيت ستة عشر محبوب للقفيز.[1]

(*) المحبوب : عمله تركية مصنوع من الفضة ، تعادل 20 قرشاً أو 800 باره أو أربعة فرنكات . محمد مصطفى التركي : صك وتداول النقود في طرابلس الغرب 1551 – 1911 م ، مركز الدراسات جهاد الليبين ضد الغزو الايطالي ، طرابلس ، 1991 ، ص23-25 .

(1) بشير قاسم يوشع : غدامس وثائق تجارية تاريخية إجتماعية: وثيقة رقم 51، المصدر السابق، ص 115- 117 .

الفصــل الرابــع

التجارة بين طرابلس وجزر البحر المتوسط وأثرها على مراكز جنوب الصحراء

1- الصادرات والواردات إلى جزر البحر الأبيض المتوسط .

أولاً : الصادرات :

أ) الجلود والصوف ب) الملح . ج) الحبوب .

د) الرقيق ح) المعادن .

ثانياً : الواردات :

أ) المعادن . ب) الأقمشة والعطور . ج) الأخشاب .

د) الخمور. هـ) الأسلحة .

التجارة بين طرابلس وجزر البحر الأبيض المتوسط

إن موقع العديد من المدن الليبية على البحر الأبيض المتوسط وخاصة مدينة طرابلس قد جعلها موانئ لتجارة القوافل الصحراوية والتي لا يمكن أن تزدهر وتنشط دون أن يقابلها نشاط بحري عبر تلك الموانئ حيث تصدر وتورد منها البضائع التي تحملها والتي تنتجها البلاد. إن كافة الموانئ على طول الساحل الليبي مرتبطة بالطرق الداخلية والتي تصلها بالطرق الرئيسية للقوافل التجارية عبر الصحراء، ولعل أهم هذه الموانئ ميناء طرابلس ومصراته (قصر أحمد) وسرت وبنغازي وطبرق وزوارة وزليطن وصبراته [1].

لقد شهدت هذه الموانئ على مر العصور نشاطات اقتصادية حيث تعتبر منافذ للاتصال بالخارج . في القرن العاشر الميلادي يصف ابن حوقل مدينة طرابلس قائلاً: "إنها من أغنى وأقوى المدن وذات أسواق واسعة والتجارة فيها وافرة، منها المحلى والأقمشة الزاهية الزرقاء والسوداء القيمة وتحمل هذه البضائع من السفن التي تأتي باستمرار من أوروبا والبلاد العربية"[2].

يتضح من هذا النص أن لمدينة طرابلس أهمية بحرية خلال العصور الوسطى وأن لها صلات وعلاقات تجارية تربطها بالمشرق والمغرب والسواحل الشمالية من البحر الأبيض المتوسط.

لقد أصبحت لطرابلس خلال القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي علاقات تجارية منظمة مع كثير من المدن الإيطالية واستقر فيها عدد من التجار الإيطاليين للعمل بالتجارة تحميهم.

---

(1) حسن الوزان : وصف أفريقيا، ج2، المصدر السابق، ص98.
(2) ابن حوقل صورة الأرض، المصدر السابق، ص142.

غير أن الأوضاع الاقتصادية في مطلع القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، قد تأثرت حركتها بالأوضاع السياسية والأمنية والاضطراب الداخلي والخارجي، وهي انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر والغزوة الهلالية[*] اضطرب الأمن ونشطت التجارة البحرية بين طرابلس والمواني الخارجية ثم زادت بعد سيطرة قراقوش وابن غانية على طرق التجارة البرية[1]. ومحاولتهم إعاقة سيرها أو شل نشاطها فكان ميناء طرابلس وغيره من المواني الليبية تفد إليها أو تصدر منها البضائع وظلت بها حركة تجارية نشطة[2].

هذا وقد احتلت جنوا المرتبة الأولى منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي أصبحت بها شركات تجارية كما قامت بتوقيع اتفاقيات مع مناطق الشمال الأفريقي وخاصة طرابلس في الفترة من (551 – 560 هـ /1156–1164م) كما قامت كل من بيزا والبندقية بفرض تواجدهما في السوق.

ويظهر أن الحركة التجارية في حوض البحر المتوسط في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي كانت بين سكان جنوا وبيزا والبندقية ومناطق الجنوب الفرنسي[3].

(*) الغزوة الهلالية : أن جميع القبائل الحالية التى من أصل عربي هي من جماعات التى جاءت في الرحلة الكبرى في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . وتسميها بالهلالية جاءت من بنى هلال االذين اندفعوا الى شمال افريقيا ولحق بهم بعد اعوام قبيلة بنوا سليم ففي سنة 279 هـ - 910 م قامت الدولة الفاطمية في شمال افريقيا بفضل مساعدة بربر كتامة وان هذه الخلافة قامت انقاض سلطان الاغالبة ، الأمراء السنيين التابعين لخلفاء بغداد (بني العباسي) حيث أن الفاطميين لا يعترفون باي سيادة لخلفاء بغداد . وهكذا اصبح للقبائل البربرية في افريقيا الشمالية سلاسة ملكية مستقلة ، وعندما ارتحل الخلفاء الفواطم في 361 هـ - 972 م ، من مقرهم في المهدية الى مصر تركوا الحكم في افريقيا لبنى زيري من القبائل البربرية ، صنهاجة . استمر بنو زيرى في الحكم باسم الفاطميين حتى سنة 437 هـ ، 1045 م . عندما قام المعز بن يوسف استبدال اسم الخليفة العباسي مكان اسم الخليفة الفاطمي في الصلوات العامة كما حرق الاعلام الفاطمي وقتل كل اتباعهم الشيعه واعلن تبعيته الى خليفة بغداد مباشرة . ولكى يرد الخليفة المستنصر الذي يعتلي العرش الفاطمى في مصر على هذا الخروج عن طاعته اصدر امره للعرب الرحل بمصر بالتحرك نحو شمال افريقيا وبقلب حكم البربر المنشقيين والاستيلاء على افريقيا ، وفرض لكل واحد من المشاركين في الزحف ديناراً ذهبياً وجملاً مقابل اتعاب الطريق . لقد وصلو افريقيا سنة 443 هـ - 1051 م وبعد ثلاث سنين من الحرب المستمرة تمكنوا من الاستيلاء على كل مدن افريقيا . (طرابلس الغرب و تونس) ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، المصدر السابق ، ص15 .

(1)حسن الوزان : وصف أفريقيا، ج2، المصدر السابق، ص98.

(2) خليفة محمد التليسي : حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية لكتاب، ليبيا، تونس، 1985م، ص28-29.

(3) كاماللومنغروتي: إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، ترجمة عمر محمد الباروني، 1988م، منشورات مركز الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي، ص32.

Scanned by CamScanner

خضعت طرابلس في منتصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي للسلطة الحفصية في تونس فقد سارعت الدول البحرية الإيطالية وهي أول الدول الأوربية لتجديد الاتفاقيات والمعاهدات التجارية مع الحفصيين فقد استطاع الأمير أبو زكريا عام (626 –647 هـ / 1228–1249م) والذي كان واعياً ومتسامحاً، خلق ظروف ملائمة لتبادل التجاري مع أوربا.[1]

فعقد اتفاقيات مع البندقية عام (629هـ / 1231م) [2]. هذه المعاهدة قد خولت للقنصل البندقي في مدينة طرابلس بالحرية التامة لتعيين نائب قنصل في أي مكان من البلاد الطرابلسية[3].كما عقدت معاهدة مع بيزا عام(631هـ/1234م)[4]. ومع جنوا (633هـ–1236م) والتي منحت الحق في إقامة محطات تجارية في الأراضي الحفصية لممارسة تلك التجارة وكانت من تلك المدن طرابلس[5]. لقد ضمنت تلك الاتفاقات حماية للأشخاص وحرية التبادل وكذلك حماية الممتلكات، وحرمة الكنائس والمقابر. ولعل تطور العلاقات السياسية والاقتصادية من خلال الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة مع الدولة الحفصية والدول الأوروبية وخاصة جمهوريات المدن الثلاثة[*]. قد جعل سلاطين الدولة الحفصية أكثر انفتاحاً وارتباطاً بالجزر والمدن الأوربية الجنوبية على حوض البحر المتوسط في الوقت الذي كانت لهم علاقات سياسية واقتصادية مع ممالك جنوب الصحراء وخاصة كانم التي

([1]) كاماللومنغروتي: إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، مرجع سابق، ص 33

([2]) روباربرنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي، المرجع السابق، ج1، ص56.

([3]) سلفاتوري : العلاقات التجارية بين البلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط، ترجمة عمر محمد الباروني، مجلة البحوث التاريخية منشورات مركز الجهاد الليبي، 1986م، ص321.

([4]) ابتسام خلف الله مرعي : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، (524-936هـ/1130-1529م) المرجع السابق، ص192.

([5]) كاماللومنفروتي : إيطاليا في الأحداث البرية الطرابلسية، المرجع السابق، ص33.

([*]) جمهوريات المدن الثلاثة : كانت ايطاليا الحالية مقسمة الى عدة امارات وممالك ، وبدأت هذه الامارات والممالك في الاتحاد الى أن تم لها ذلك في سنة 1287 م وجعل من مدينة روما عاصمة لها . محمد بن مصطفى التونسي : صفة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ، ط1 ، مصر 1303 هـ ، منشورات دار الصادر بيروت – لبنان ، ص45 .

وصلت إلى قمة ازدهارها ، تحت حكم دونما ديبالمي الذي بسط سيطرة كانم على فزان وفي هذه الفترة كانت العلاقات ودية بين الحفصيين والكانميين[1].

من خلال هذه المعاهدات والاتفاقيات امتدت الصلات وتوثقت بين الدولة الحفصية والجمهوريات الإيطالية حتى وصلت إلى أواسط القارة. كما ساعدت في ازدهار الحركة التجارية في مناطق ما وراء الصحراء. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل استمرت العلاقات التجارية بين الجمهوريات الإيطالية جنوا– البندقية بيزا على هذا الوضع أم تغير؟

لقد وقعت العديد من الأحداث خلال القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي فقد تسبب القراصنة[*] الأسبان في خلق صعوبة واضطراب كبيرين في تجارة البحر المتوسط، ولم تبدأ هذه التجارة في الازدهار إلا بعد ذلك بزمن طويل خلال العهد العثماني والقرمانلي الذين كان لهم علاقات وصلات تجارية مع الدول الأوروبية بعد سيطرتهم على ولاية طرابلس فالعثمانيون عندما بسطوا نفوذهم على ولاية طرابلس 946 هـ – 1551م منحوا العديد من الامتيازات للدول الأوربية مثل انجترا وإيطاليا وفرنسا وكانت لهم علاقات تجارية وسياسية تربطهم بها. أما القرمانليين الذين تولوا حكم طرابلس عام 1123 هـ – 1711م اهتموا بالأسطول البحري واستأنفوا التجارة في ولاية طرابلس وكانت لهم علاقات تجارية مع حوض البحر الأبيض المتوسط وكذلك مناطق جنوب الصحراء الأمر الذي دفعهم إلى تشييد العديد من النزل لراحة التجار ونشر الأمن في ربوع البلاد، فاطمأن التجار على أموالهم وأرواحهم فعمرت مدينة طرابلس وازدهرت وأصبحت هذه المدينة ملتقى التجار من مختلف الامصار[2].

([1])IBN KHALDUN,: Kitabalibar, Daral /kitallubnaniReyrtouth, 1968,7vol. p76.

([*]) القراصنة : تعني هذه الكلمة عمل المغامرين الأجلاف والقساة الذين لا يخضعون لقانون أو شرعية دولية أو إنسانية، العجيل : مختار أبوعجيلة : النشاط البحري المغربي (1500-1818م)، دراسة آلية في أسبانية ومفهومة، مجلة الشهيد : إصدار مركز جهاد الليبيين، طرابلس ليبيا، العددان 19،18، 1997م، 1998م، ص12.

([2]) عمر علي بن اسماعيل : أنهيار حكم الأسرة القرمانلية . ليبيا، مكتبة الفرجاني، ط، (د- ت) ص39.

الصادرات والواردات من طرابلس إلى جزر البحر الأبيض المتوسط:

سبق الحديث عن أن من دواعي العلاقات التجارية لأي منطقة هو الحاجة إلى بعض المواد التي لا تتوفر لديها وكذلك الرغبة في تصريف ما لديها من فائض في الإنتاج سواء كان زراعي أو صناعي.

ولعل هذا الذي جعل طرابلس تدخل في سلسلة من العلاقات التجارية مع الدول الاوربية ودول جنوب الصحراء مع المشرق العربي والإسلامي، ومع بقية دول المغرب الإسلامي حيث كانت تصدر بعض المنتجات المحلية والسلع المجلوبة من جنوب الصحراء فيتم تصديرها لتلك المناطق كما تستورد وبعض السلع التي في حاجة إليها.

أولاً : الصـــادرات:-

1. الجلود والصوف:

لقد كانت عملية تصديره متواصلة ولم تتوقف على مر العصور ولقيت هذه المادة رواجاً كبيراً من أفريقيا إلى أوربا . ففي القرنيين السابع الثامن الهجريين/ الثالث والرابع عشر الميلاديين كانت الجلود تصدر إلى أوربا أحياناً مهيأه ومعالجة واحياناً أخرى كما هي حيث كان الطلب لا يتوقف عنها في مصانع الأصواف في إيطاليا فقد كانت تصدر من ميناء طرابلس إلى مدن إيطاليا التجارية جنوا وبيزا والبندقية وغيرها من المدن الأخرى[1].

لقد ذكر أن طرابلس كانت تصدر الجلود والصوف بالإضافة لبعض المواد الأخرى حيث تستورد جلد الماعز المصبوغ بالأحمر والأصفر من السودان وتقوم

([1]) حنان صويد محمد : ليبيا خلال العهد الحفصي (625 – 916هـ / 1229 – 1510م) منشورات مركز الدراسات التاريخية طرابلس ليبيا، 2010م، ص213، 214.

بتصديرها بكميات وفيرة لأوروبا[1]. كما تصدر العباءات الزرقاء والحمراء التي كانت من منتجات مدينة طرابلس وأيضاً عباءات أجدابيا[2].

2. الملـــح :

هو من السلع الهامة التي كانت تصدر إلى أوربا بشكل مستمر فقد كانت المدن الإيطالية تشتري مادة الملح من بلاد المغرب وخاصة طرابلس لسد حاجتها ومن ثم توزيع الباقي على البلدان الأوروبية وقد نشطت تجارة الملح بين الدولة الحفصية والجزر الإيطالية، ففي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي كانت البندقية وفق المعاهدات المبرمة مع السلطان الحفصي لا ترغب إلا في تجارة سلعتين هما الملح والحبوب كما عقدت معاهدة مع بني مكي[*]عام (759هـ/1356م) من أجل استغلال ملاحة طرابلس والتي تعرف برأس المخبز والتي يستخرج منها الملح بكميات وفيرة ويصدر إلى أوربا وبلاد السودان[3].

3. الحبوب :

يعتبر القمح والذرة من السلع التي تصدر من الشمال الأفريقي إلى جزر أوروبا وما يدل على ذلك تلك المعاهدة التي صرح بها أحد نوابها سنة (793هـ/ 1391م)، مخاطباً فيها السلطان الحفصي أبا العباس قائلاً : "إن جمهوريتنا يقصد بها مدينة البندقية" لا تريد أن تستورد من بلادكم غير الحبوب والقمح"[4].

لقد ظلت المعاهدات والاتفاقيات مع البندقية هي خير دليل على ذلك، والتي تنص على إعفاء المدن الإيطالية من المكوس، أو الحقوق بنسبة معينة في حالة الجفاف. فقد أشارت بعض المصادر التاريخية أن الجنويين والبندقيين كانوا يتمتعون

([1]) محمد عبدالسلام الحراري : ليبيا عبر كتابات الرحالين المغاربة في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي، وحدة الكتاب طرابلس، شعبة التدقيق والتعبئة والإعلام، ط1، 1998م، ص245.

([2])إيثوري روس: ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، المرجع السابق، ص157.

([*]) بني مكي أسرة محلية كانت تحكم مدينة قابس حكم ذاتي وصارت طرابلس تابعة لهم حتى ممات أحمد بن مكي أمير مدينة قابس في عام (766هـ / 1364م) .عبداللطيف محمود البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، منشورات دار صادر، بيروت، لبنان، 1972، ص402.

([3]) محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب، المرجع السابق، ص146.

([4]) ابتسام مرعي خلف الله : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، المرجع السابق ص313.

بإعفاء كامل عندما لا يتعدى ثمن القمح في المغرب عشرين أو ثلاثة وعشرين فرنك وهو الثمن المتوسط للقمح[1] ببلاد المغرب خلال العصور الوسطى.

4. الرقيق :

يعتبر من السلع الهامة التي ترد إلى أسواق مدن طرابلس عبر الواحات الجنوبية كغدامس وغات ومرزق وزويلة حيث كانت القوافل التجارية الصحراوية تقوم بنقل الرقيق الأسود من أواسط أفريقيا إلى مناطق الشمال الأفريقي ومنه ينقل إلى المشرق وتركيا وأوروبا. ما كانت تجلبه القوافل عبر الصحراء من الرقيق ليس بتلك الكثافة أو الأعداد الكبيرة، كما حاولت المصادر الأوربية تصويره لتشويه سمعة المسلمين أمام الأفارقة الزنوج الذين استعمرهم الأوروبيون واستولوا على خيراتهم مع الإشارة إلى أن حصول رجال القافلة على الرقيق كان يتم عن طريق التراضي وعدم الإرغام أو الإكراه وذلك نتجه الظروف القاسية من فقر وحرمان وبؤس دفع الناس بيع ذويهم وأولادهم أو نتيجة سيطرة بعض الحكام المستبدين الذين يروا أن كل من هو داخل حدود سلطتهم ملك لهم.[2]

5. المعادن:

تعتبر من أهم السلع التي كانت تستوردها طرابلس وبعض المدن الليبية الأخرى من بلاد السودان الغربي والسودان الأوسط وتصدر لأروبا لإعادة تصنيعها حيث تصنع منها النقود وكما تستخدم كمواد زينة وتجميل. ففي القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي كان الذهب ينقل من طرابلس إلى جنوا وتحديداً ميناء بيزانو[*] وإلى بلاد البلقان[1].

([1]) عبدالهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، 1407هـ/1987م، ج6،ص262.

([2]) صالح السباني الصادق : مملكة كانم – برنو وعلاقاتها بأقطار الشمال الأفريقي من الثالث إلى العاشر الهجري، دبلوم دراسات عليا في التاريخ الوسيط، جامعة محمد الخامس، كلية الأداب – الرباط، المغرب 1988م، رسالة ماجستير غر منشورة، ص190- 191 .

[*] بيزانو : بيجه وهى تلى مدينة جنوا من الشرق على ساحل البحر ، اعظم منها ويشقها من الوسط نهر عظيم ويحمل اسمها ينحدر من الشمال ، اهلها اشد الناس باسا في الحرب وأكثرهم هندسة وحيلاً بحرية يشتغلون بالتجارة البحرية والبرية ومن منتوجاتهم الخشب والالات الحديدية مثل الدروع والرماح وقد وصل تجارهم الى اقصى الشام ومصر بلاد المغرب والاندلس ، الزهري : ابو عبدالله محمد بم ابى بكر : كتاب جغرافية وماذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافي كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوى على الاقاليم السبعة ومافي الارض من الاميال والفراسخ ، تحقيق محمد الحاج صادق ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد - مصر(د-ت)

ومن ضمن المواد التي تصدر إلى أوروبا والمدن الإيطالية الخزف والمرجان والزرابي الذي كانت تصدره مدينة طرابلس إضافة إلى بعض المواد الأخرى التي تصدر إلى المدن الإيطالية وأوربا مثل النيلة والشب والكبريت ومن بين المواد المصدرة أيضاً ريش النعام والعاج وناب الفيل وهي مواد تستوردها طرابلس من السودان بكميات كبيرة وتصدرها بكميات قليلة على أوربا[2].

الــواردات :

المعـــادن:

لقد عرفت مناطق الشمال الأفريقي بانها كانت تستورد التبر وسبائك الذهب من جنوب الصحراء وفي ذات الوقت ترد إلى طرابلس المعادن الثمينة والنقود والمجوهرات والمرجان المصنوع في المدن الأوروبية في شكل هدايا قيمة ترسل للحكام والسلاطين في مناطق الشمال الأفريقي أو مناطق ما وراء الصحراء[3].بالإضافة لهذه المعادن استوردت مدينة طرابلس النحاس والحديد والقصدير والفولاذ أيضاً من أوربا فكان تصل إليها سبائك من الحديد وكل أنواع الخردوات والأدوات الحديدية والأخشاب[4].

الأقمشة والعطور :

كانت طرابلس تستورد من إيطاليا ومرسيليا القماش وأثواب الصوف والحرير الخشن أو الرقيق، فمن مرسيليا كان يرد إلى المنطقة قماش الايتامين "وهو قماش

ص 78 .

(1) روباربرنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، المرجع السابق، ج2، ص275.

(2) محمد عبدالسلام الحراري : ليبيا عبر كتابات الرحالين المغاربة في القرنيين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، المرجع السابق، ص245.

(3) صالح السباني : ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، المرجع السابق، ص429.

(4) روباربرنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر المرجع السابق، ج2، ص272.

رقيق" والكتان كان يجلب ومن فلندريا(*) وعن طريق جنوا كانت تصل الأقمشة الصوفية، ومن فلورنسا(*)[1] تجلب المنسوجات القطنية[1].

إضافة إلى ثياب الصوف والأقمشة والتوابل الشرقية مثل القرنفل القرفة "الدار الصيني (*)[2] الزنجبيل، جوز الطيب، السنا، الزعفران، الصبر، الصمغ، الكافور، وكذلك الموارد الطبيعية والعطرية مثل "البخور والمسك، العنبر ومواد الصباغة النيلة الزرقاء حيث كانت التوابل والعطور والعقاقير تجلب من المناطق الشرقية إلى مدينة طرابلس والشمال الأفريقي عن طريق المواني الإيطالية[2].

بعد أن كانت تخزن فيها ومن ثم تساق إلى الشمال الأفريقي بلاد المغرب.

الأخشاب :

كانت من السلع الهامة التي تستورد من أوروبا حيث كانت سفن البندقية تجلب الأخشاب بمختلف أنواعها وكذلك الأدوات الخشبية المتعددة التي تلقي رواجاً كبيراً في مدن الشمال الأفريقي خاصة وأن مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة يشهد قلة الأخشاب نتيجة لتعرض أحراشه للقطع المتواصل مع الوقت، غير أن الأوروبيين وعلى رأسهم أحد المدن الإيطالية التي كانت تنعم بمساحات شاسعة من الأحراش الباقية التي اعتمدوا على قطعها والمتاجرة بها.

(*) فلندريا : هي بلد شمالي يقع في منطقة جمهورية فنلندا ، سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ اوروبا في العصور الوسطى ، المرجع السابق ، ص 35 .

(*)[1] فلورنسا : مدينة في الجزء الشمالي من وسط ايطاليا عاصمة مقاطعة فلورنسا واقليم توسكاناوهي اكبر واكثرها سكان وكانت عاصمة لايطاليا لفترة وجيزة بعد توحيد ايطاليا (1865 – 1871 م) وكانت فلورنسا في اوربا في العصور الوسطى مركزاً هاماً من الناحية الثقافية والتجارية والمالية ، المرجع نفسه ، ص 41 .

([1]) عبدالهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المرجع السابق، ج6، ص271،270.

- روباربرنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى الخامس عشر الميلادي، ج2، المرجع السابق، ص270.

(*)[2] الدار الصيني: أجوده ما كان قطعاً كبار وطعمه ورائحة ذكية، منه الدار أكثر منه في الأغذية، وأما الدار صيني الطيب فهو يسمى قرفة القرنفل وهو محبوب . جعفر بن علي الدمشقي: صيني الملفوف يدخل في صناعة الأدوية، الإشارة في محاسن التجارة ومعرفة جيد الأعراض ورديها وغشوش المدلسين فيها، منشورات جامعة الملك سعود، 1977م، ص12.

([2])عبدالهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المرجع السابق، ج6، ص271.

وكان أهم أنواع الأخشاب التي يتم التجارة بها الدردار[*] والزان الذي ينمو على ضفاف الأنهار والصنوبر المتوفر بكثرة في أعالي الجبال[1]. ولا شك أن المدن الإيطالية التي تقوم بالمتاجرة بالخشب كانت قد كونت ثروة طائلة خاصة مدينة البندقية[2].

كما تعد مدينة جنوا كذلك من أهم المراكز التجارية الأوربية ففي القرن التاسع والعاشر الهجري/الخامس عشر والسادس عشر الميلادي كان موقعها الهام والذي جعلها أن تكون حلقة وصل بين الشمال والجنوب لسواحل البحر الأبيض المتوسط فقد كان لها دور في نقل السلع من إقليم الفلاندرز[*1] والأندلس والمشرق[3]. وكانت لها علاقات مزدهرة مع طرابلس والشمال الأفريقي منذ عهد الفاطميين وحتى فترة الدراسة ظلت سفنها تحمل مختلف البضائع.

الخمور :

هي من السلع التي كانت تأتي من دول أوروبا من اليونان والأندلس وصقلية وفرنسا . ذكرت بعض الكتابات أن فرنسا كانت تصدر إلى جانب ذلك الورق والنبيذ والأقمشة وكذلك صقلية تصدر النبيذ إلى مدن الساحل الأفريقي، ويبدو أن لسلعة الخمور مخازن يتم الإشراف والرقابة عليها من قبل بعض الموظفين كما كانت النزل التي بها المسيحيون تقوم ببيع الخمور ، برغم أن هذه السلعة غير مرغوب المتاجرة بها، الأمر الذي جعل التجار الأجانب يمنحون الحمالة زيادة في قيمة هذا ونجد أن

---

[*] الدردار: هي من الاشجار جميلة المنظر وتستخدم لظلها وخشبها جيدة البناء وتوجد منها عشرين نوع في اوروبا واسيا الصغرى وتوجد بشكل رئيسى في شمال المنطقة معتدلة الحرارة . عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلماسي للمغرب من اغرب العصور الى اليوم ، المرجع السابق ، ج6 ، ص 271 .

([1]) الخاتم سمير على : الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرق البحر المتوسط في الفترة (1450-1517م) منشورات مؤسسة دار الريحاني للنشر والتوزيع 1989م، ص110.

([2]) جوزيف بورلو : الحضارة الإسلامية، ترجمة ريمة النوال، منشورات دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 2001م، ص107،106.

[*1] الفلاندرز : حالياً فلاندر أحد الأقاليم الفدرالية الرسمية في الاقليم الفلامندي (بالهولندية الثلاث التى تشكل مملكة بلجيكية الى جانب الاقليم الوالوفي واقليم بروكسل العاصمة). كاميللو مانغروفى : العلاقات البحرية بين ليبيا وايطاليا ، ترجمة ابراهيم احمد المهدوي ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ط 1 ، 1992 ، ص30 .

([3]) أمين الطيبي توفيق : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ج2، منشورات الدار العربية للكتاب، 1997م، ص138.

استعمالها كان مقصوراً على التجار الأجانب والسفراء (القناصل) والسجناء والمسيحيين[1].

الأسلحة :

كانت من ضمن السلع التي تجلب من أوربا بمختلف أنواعها رغم أن كثير من التجار الإيطاليين وغيرهم لم تكن لهم الحرية الكافية من الكنيسة، التي كانت تحظر عليهم تصدير بعض المواد إلى الدول الإسلامية. لأنها ستزيد من قوة المسلمين.

وكذلك بعض المواد الأولية الآخرى، القمح والشعير والذرة البيضاء والفول ودقيق وحبال القنب وغيرها مما يصنع به حبال السفن، ولا يتم تصديرها مثل هذه البضائع والسلع منها إلا بموافقة البابا، وعلى الرغم ذلك كان بعض التجار الأوروبيين ومنهم الإيطاليين يقومون بتوريد تلك السلع إلى طرابلس لتحقيق مآربهم الشخصية[2].

لم تكن كل الواردات من قبل السفن التجارية للمدن الإيطالية الثلاث من منتجات إيطاليا بحد ذاتها بل تعددت وتنوعت السلع الأوروبية التي كانت تحط في الموانئ الليبية وخاصة ميناء طرابلس للاستهلاك المحلى وجزء منه يصدر إلى مناطق جنوب الصحراء، ففي القرن العاشر والحادي عشر الهجري/السادس والسابع عشر الميلادي كانت طرابلس وبعض المدن الليبية الساحلية تستورد العديد من السلع من فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا وبلجيكيا والنمسا[3] وغيرها من المدن الأوربية وذلك خلال الحكم العثماني والأسرة القرمانلية في ولاية طرابلس الغرب.

---

(1) عبدالهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المرجع السابق، ج6، ص259،258.
(2) روبار برنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من 13 إلى نهاية 15م، المرجع السابق ج2، ص206، 267.
(3) محمد ناجي ومحمد نوري : طرابلس الغرب، ترجمة أكمل الدين محمد إحسان – طرابلس، دار الفكر، 1973م، ص49،48.
- روبار برنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من 13 إلى نهاية 15م، المرجع السابق، ج2، ص271،270.

الفصـــل الخامس
التجـارة بيـن طرابلس ومصـــر

1- السلع المتداولة بين ولاية طرابلس ومصر .

الصــــادرات والـواردات

أولاً : الصادرات:

الفاكهة – العسل – الحيوانات – القطران – الجلود والصوف – زيت الزيتون– الصابون – الحلفا– الحناء وجداري – التمور – الرقيق – الذهب.

ثانيـاً : الـواردات :

نسيج الكتان والسجاد – وقطع الأقمشة – الأرز – العدس – السكر – التبغ – الجلود – التوابل – الخرز والأساور .

التجــارة بيــن ولايــة طرابلس ومصــر

حظيت طرابلس بأهمية خاصة في علاقاتها الاقتصادية بمصر على مر العصور وقد عرف الليبيون الصلات التجارية بها منذ وقت مبكر، حيث تشير المصادر التاريخية أن مدينة طرابلس حتى قبل هيرودوت ما أورده هوميروس في ملحمته "الأوديسا" من أن رجلاً في مصر صادف تاجراً فينيقياً ذهبا معاً إلى طرابلس، مما يتضح أن التجارة كانت قائمة خاصة وأن الفينيقيين قد مارسوا التجارة مع شمال أفريقيا، منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وأصبحت سفنهم ترسو بانتظام على سواحل الإسكندرية وطرابلس في طريقها إلى الغرب. وقد ظلت مراكزهم التجارية مستوطنات تعج بالنشاط وكان لمصر تأثير اقتصادي واجتماعي معتبر على القبائل الصحراوية البدائية. الأمر الذي ساعد في وجود تجارة نشطة بين وادي النيل والغرب والجنوب الغربي[1] ،وما يؤكد تلك الصلات، فقد ورد في النصوص المصرية[2]. أن الملكة حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشرة حصلت من التحنو[*] على العاج ويقدر بسبعمائة سن فيل ومن الصعب الحصول على هذه الأشياء من أي مكان آخر عدا السودان، وكانت من بين الغنائم التي استولى عليها مرنيتاج[*1] من الليبيين أواني الفضة وكؤوس شراب من الفضة وتروس وسكاكين بلغ عددها 3174 قطعة[3]. كما أن هذا الملك غنم من المشواش[*2] سيوفاً من البرنز عددها 9111 سيفاً[4]. لقد

---

(1) جون رايت : تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، المرجع السابق، ص57.- علي محمد عبداللطيف : تمبكنتو أسطورة التاريخ، جمعة الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2001م، ص6.

(2)بوفيل : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، المرجع السابق، ص8 .

(*) التحنو : هي من القبائل البربرية الليبية القديمة التى تسكن برقة في شرق ليبيا . ابن غلبون : التذكار ، المصدر السابق ، ص40 .

(*)1 مرنيتاج : هو رابع ملوك الاسرة التاسعة بمصر وهو ابن الملك رمسيس الثاني من زوجته الثانية إيزيس نوفرت . وقد استمرت مدة حكم مرنتاج حوالى عشره سنوات ، جون رايت : تاريخ ليبيا ، منذ اقدم العصور ، المرجع السابق ، ص58 .

(3) أحمد بدوي محمد فهد: صلات العرب وأفريقيا الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، ج2، المرجع السابق، ص889.

(*)2 المشواش : هى من القبائل الليبية القديمة التى تسكن المنطقة الشرقية على حدود مصر . ابن غلبون : التذكار ، المصدر السابق ، ص31 .

(4) رأفت غنيمي الشيخ: دراسات أفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر، المرجع السابق ، ص16.

أشير إلى سيوف المشواش أيضاً في غنائم رمسيس الثالث[*] ويبدو أن هذه السيوف لفتت أنظار المصريين في طولها غير العادي الذي يبلغ ثلاثة إلى أربعة أذرع[1].

ومن الملاحظ أن المصادر التاريخية لم تشر إلى وجود معادن في الأراضي الليبية لعل هذه الأشياء التي ثم ذكرها قد تحصلت عليها القبائل الليبية من أوروبا عن طريق التبادل التجاري بينهما[2].

لا شك أن ازدهار وديمومة الحركة التجارية بين طرابلس ومصر والبلدان الأخرى تكمن في المراكز التجارية التي أقيمت على الساحل الليبي أو في مناطق المدن والواحات الداخلية والتي وفرت الحماية والاستقرار من خلال الأربطة والحصون والقصور التي انتشرت على طول الساحل والمناطق الداخلية فقد اهتم الأغالبة والفاطميون والحفصيون بشكل خاص بالطرق التجارية وتوفير المياه بها وإنشاء أماكن يستريح فيها المسافرون واهتموا بالأساطيل لحماية السواحل مما جعل تجارة الساحل أكثر انتعاشاً وارتباطاً بتجارة الصحراء القادمة من تمبكتووكانم وبرنو وغيرها[3].

وعندما نتناول الحديث عن التجارة بين ولاية طرابلس ومصر هنالك سؤال يتبادر إلى الذهن.

هل كانت هنالك حركة تجارية نشطة بين ولاية طرابلس ومصر؟ وما هي السلع المتداولة بينهما ؟ وكيف كانت تسير آلية الحركة التجارية؟

لقد كانت هناك تجارة وإلى يومنا هذا بين ولاية طرابلس ومصر ولعل الموقع الجغرافي والقرب المكاني والعلاقات الحسنة بين البلدين في كثير من الأحيان وتبعية

(*) رمسيس الثالث : حكم من 1192 – 1160 ق.م ، ثاني فراعنة مصر في الاسرة العشرين ويعتبر اخر ملوك الدولة المصرية الحديثة – كان ابن الملك ست ناخت ، وكان من أهم اعماله تشيد المعابد وخاض معارك كبيرة ضد شعوب البحر الذين حاولوا غزو مصر كما حاولت بعض القبائل الليبية من غزو مصر ولكنه طردهم من مصر ، جون رايت : تاريخ ليبيا منذ اقدم العصور ، المرجع السابق ، ص69 .

(1)رأفت غنيمي الشيخ: دراسات أفريقية في التاريخ الحديث والمعاصر، المرجع السابق ،ص16 17 .

(2) بوفيل : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، المرجع السابق، ص17.

(3) صالح مصطفى مفتاح : "ليبيا منذ الفتح حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر"، المرجع السابق، ص223.

كليهما للعثمانيين واهتمامهم بالتجارة وطرق النقل البرية والبحرية واستقرار الكثير من تجار طرابلس بمصر جعل هذه التجارة نشطة ومزدهرة بينهما[1]. خاصة وإن مدينة طرابلس ملتقى لطرق القوافل مصباً للتجارة الواردة من الجنوب كما اشتهرت طرابلس بكثرة الطرق التي تنطلق منها القوافل التجارية مثل طرق طرابلس سيوة والأقصر بمصر [2].

وطرابلس بنغازي عبر الساحل إلى الإسكندرية طريق طرابلس تمبكتو، وطريق طرابلس كوكة وطرابلس دارفور إن هذا الموقع جعل لها علاقاتها التجارية مع الشرق والغرب وأوربا وجنوب الصحراء مما جعل هذه المدينة في رخاء وانتعاش يترددوا عليها التجار من مختلف الأماكن[3].

ومن المناطق الساحلية التي أدت دوراً هاماً في تجارة القوافل مدينة برقة (بنغازي) حيث ارتبطت برقة ومصر منذ أقدم العصور بعلاقات تجارية متميزة، وكان لموقع البلدين الجغرافي أثره القوي في تطوير هذه العلاقات وفي توطيدها، فقد كانت برقة في العهد اليوناني على علاقة تجارية حسنة مع مصر[*]. تلك العلاقة التي توطدت بعد موت الإسكندر المقدوني وقيام دولة البطالمه بمصر، حيث كان سكان قوريني (شحات) يسافرون إلى مطروح لإحضار نوع من الأحجار الجيرية التي تستخدم في أعمال البناء بسبب متانتها وصلابتها كما كانوا يجلبون أيضاً اللآلى الزجاجية والخزفية فضلا عن ملح واحة سيوة، في المقابل كانت الإسكندرية سوقاً للسلع التجارية الواردة من برقة خاصة نبات السلفيوم[*]، وخشب الأرز والقمح

---

(1) الروزنامة : الحولية المصرية للوثائق العدد الخامس 2007م، دار الكتب الوثائق القومية بالقاهرة، 2008م، ص73.

(2) يحي بوعزيز : "طرق التواصل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19، بغداد ، 1984م، ص129-130.

(3) المرجع نفسه ، ص131 .

(*) عثر في مصر أكبر كمية من النقد القوريني خارج حدود قورينانية (برقة) نفسها، حيث كشف عنها في كل من نواقاطيسي (كوم حيف قرب قرية نقراشي)، وفي دمياط مما اعتبره بعضهم دليل على نشاط الحركة التجارية لقورينا مع مصر . غباشي عامر العليمي : مسألة الرق وتجارته في ممتلكات مصر الإفريقية، 1820 – 1863م. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، 201، ص 144 .

(*) كان نبات السلفيوم الفضل في جلب شهرة لبرقة وكان هاماً في دعم اقتصاد البلد لدرجة أنه رسم على نقودها. وقد انقرض الآن لدرجة يصعب معها تعريفه . ويقال أنه كان يستعمل دواء لشفاء أمرض الإنسان والحيوان ويعد طعاماً ممتاز للماشية ومطلوب في أرجاء العالم القديم وإنتاجه قاصر على برقة . جون رايت : المرجع السابق، ص 34 .

وزيت الزيتون، والسلع والنبيذ وعطر الورد والزعفران، وخيول السباق، وجلود الأبقار والماعز والصوف [1].

شهدت الحركة التجارية بين مصر وبرقة في العهد الإسلامي نشاطاً ملحوظاً، خاصة وأن القوافل التجارية والحجيج بين المغرب ومصر كان لابد لها من المرور عبر برقة فهي من أهم المراكز التجارية التي أشارت إليها كتابات اليعقوبي والبكري وابن خلدون وابن حوقل وأظهرت أهميتها التجارية واستقرارها الاقتصادي وذلك بحكم علاقاتها الوطيدة مع مصر والمناطق الجنوبية التي تسيطر على تجار العبور[2].

لقد ذكر البكري: " إن القوافل التي كانت تمر من برقة تحمل منتوجات السودان وغانه وحوض السنغال والنيجر إلى واحات مصر تحمل التبر وبعض السلع التي ينتجها إقليم الواحات"[3].

يتضح من هذا أن برقة لها علاقات تجارية مع مصر ومناطق جنوب الصحراء فيتم عن طريقها نقل مختلف السلع والمنتجات للواحات الداخلية بالإضافة إلى السلع الواردة من بلاد السودان (الغربي والأوسط والشرقي) فضلاً عن بعض المدن والوحات التي كانت لها صلات وعلاقات تجارية مع مصر والأسكندرية كمدينة أوجلة والكفرة ومرزق وغدامس في تجارة العبور وكذلك قوافل الحج عبر مصر للأرض المقدسة.

إن العلاقات التجارية بين ولاية طرابلس ومصر خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وثيقة بين الدولة الحفصية التي كانت طرابلس خاضعة لها والدولة الإيوبية ومن ثم المملوكية في مصر فكانت العلاقات بين الطرفين ودية وتوثقت أكثر فأكثر في مواسم الحج السنوية التي تمر عبر المنطقتين وكثيراً ما يتم

---

(1) المرجع نفسه ، ص35 .
(2) محمود أبوصوة : "رؤية جديدة للفتح الإسلامي لليبيا" مجلة البحوث التاريخية، 1986م، ص55.
(3) البكري : في ذكر المغرب وأفريقيا وبلاد المغرب، المصدر السابق، ص65.

تبادل الهدايا والمراسلات بين الطرفين[1] . والدليل على حسن العلاقة بينهما، وهي أن السلطان (برسباي المملوكي)[*] كان استقبل سفارة من السلطان الحفصي أبي فارس[*]1 حتى بلغه خبر وفاه هذا الأخير فأسرع بإرسال رسالة تعزية وتهاني إلى المنتصر سنة 338هـ/ 1434م[2] .

ويبدو أن هذه العلاقة استمرت حتى مجئ العثمانيون وسيطرتهم على مصر وولاية طرابلس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حتى فترة ما بعد الدراسة.

أصبحت المدن الليبية التي تقع على الساحل كطرابلس وزليتن ومصراته وبرقه هي أولى المحطات التي يلتقي فيها القادم من مصر والمشرق إلى المغرب وكان يجهز منها إلى مصر مختلف السلع والبضائع المحلية والمستوردة ويبدو أن أسعار البضائع في هذه المدن غالباً ما تكون رخيصة حيث يكثر فيها التجار والحجاج الذاهبين من المغرب إلى المشرق والعكس ولا شك أن هذه المدن التي تقع على البحر يسكنها العديد من اليهود الذين كانوا يمارسون التجارة الداخلية والخارجية تحت حماية العرب فمن ميناء برقه وطرابلس يحمل الشعير والعسل وزيت الزيتون والتمور في مراكب إلى الإسكندرية[3] في الوقت الذي لم تقتصر العلاقات التجارية بين طرابلس ومصر على المناطق الواقعة على ساحل البحر فحسب بل شملت المدن والواحات الداخلية كمرزق وغدامس وغات وخاصة وأن هنالك العديد من الطرق التي

([1]) محمد العروسي المطوى: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، لبنان، دار المغرب الإسلامي، مؤسسة نزيه كركي 1406هـ/ 1986م، ص 153 .

(*) برسباي المملوكي : هو الاشرف برسباي الذي حكم مصر من عام 824 – 841 هـ / 1421 – 1438 م في الدولة المملوكية . صالح الصادق السباني : ليبيا اثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية من القرن السادس – العاشر الهجري – الثاني عشر – السادس عشر الميلادي ، مرجع السابق ، ص402 .

(*)1 ابو فارس : هو عبد العزيز بن احمد بن محمد بن ابي بكر الحفصي الهنتاتي (671 – 837 هـ / 1360 – 1434 م) الملقب بعزوز من كبار الحفصيين ملوك تونس بويع بعد وفاة ابيه سنة 796 هـ /1394 م وحسنت سيرته ، وكان موفقاً حازماً ، وضم الى بلاده تلمسان ، وقابس ، وغزا مالطا وتوفي في الطريق الى تلمسان لقمع تورتها ، واستمرت مدة ولايته اربعون سنة واربعة اشهر ، عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد : الاربيون واثرهم في تجارة القوافل الصحراوية في ولاية طرابلس الغرب ، في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، المرجع السابق ، ص135

([2]) روباربرونشفيك: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، ج1، المرجع السابق، ص 292.

([3]) أبو الفداء: تقويم البلدان، المصدر السابق، ص 148- 149 .

تربط ولاية طرابلس والمدن والواحات الليبية بمصر منها الطريق الساحلي والذي سبق الحديث عنه وهذا أكثر الطرق الراحة بالنسبة للتجارة والمسافرين لكثرة الحصون[1] ويمر من الشمال محاذياً الساحل .

إضافة إلى طريق أخر تسلكه قوافل التجار وركب الحجيج قادمة من أقصى غربي أفريقيا نحو الأراضي المقدسة محملة تلك القوافل ببضائع وسلع لغرض التجارة إلى جانب تأديتها فريضة الحج وأن هذا الطريق لا شك أنه يعبر الواحات والمدن الليبية[2] كغدامس وغات وزويله وتراغن ومرزق التي تعتبر أحد المحطات الرئيسية على طريق الحج الوافدة من بلاد السودان عبر الصحراء الغربية فكانت تسير قوافل التجار والحجاج بالواحات الجنوبية في أتجاه المشرق مرورا بمصر منذ العصر الوسيط الذي شهد ميلاد الممالك الإسلامية مثل مالي وسنغاي وكانم وبرنو[4].

وكانت فزان منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي– منطلقاً ومعبراً لكثير من التجار والحجاج المتجهين إلى المشرق والعكس في اتجاه وادي النيل مروراً بمصر والسودان الشرقي في طريق الذهاب والإياب[5] .

ويظهر أن في موسم الحج تترافق قوافل التجار المحترفين الذين كانوا ينتهزون فرصة الحج لإنجاح التجارة كالعلماء والطلاب من ناحية ومن أجل الهروب والتملص من دفع الضرائب المفروضة عليهم.

لقد ذكر العياش: "أنه عند خروجهم من مدينة طرابلس متجهين للمشرق منعهم البوابون من الخروج طالبين المكوس زعماً منهم أن الأحمال التي يحملونها ليست

---

(1) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا المغرب، المصدر السابق، ص 4- 6- 24 .
(2) مصطفى عبد الله بعيو: المختار في مراجع تاريخ ليبيا، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 175م، ص184.
- أحمد صدقي التجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، 1971م، ص 257 .
(4) صالح مصطفى مفتاح : ليبيا منذ الفتح الاسلامي حتى انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر ، المرجع السابق ، ص235 .
(5) عمر عبد الرازق النقر: الحج في غرب أفريقيا دراسة تاريخية بإشارة خاصة للقرن التاسع عشر، ترجمة صفية صالح عيسي، الخرطوم 1989م، ص 161-162 .

للحجاج[1] ويتضح من هذا النص أن هنالك ضرائب مفروضه عند أبواب المدن، وعلى أن الحجاج الوحيدين المعفين من دفع الضرائب لذلك كان التجار ينتهزون فرصة مرور ركب الحجيج لكي ينضموا إليهم، ويستطيعوا الخروج إلى مصر للتجارة والمشرق بدون دفع المكوس المفروض عليهم" .

وعن العلاقات الاقتصادية بين المشرق والمغرب تشير وثائق جنيزة[*] أن هنالك تجاراً من شمال إفريقية اشتغلوا في تجارة الشرق فشواطئ شرق أفريقية وجنوب الجزيرة العربية والهند والسيلان[*]1 قد امتلأ بالناس جاءوا من شمال أفريقية ومن مدن المغرب مثل برقة وطرابلس ومصراته ونفوسة ومن تونس والمهدية[*]2 والقيروان وغيرها . ولا شك أن هذه البيانات تعكس تاريخ شمال أفريقيا الاقتصادي بصفة عامة وطرابلس بصفة خاصة، وأن هذه المنطقة جذبت إليها كثيراً من التجار من المشرق من (مصر وفارس والعراق وسوريا)[2] .

كما كانت هذه التجارة دافعاً إلى هجرة اليهود والعديد من الأسر الليبية إلى مصر وبلاد المشرق إذ تذكر هذه الوثائق أن غالبية التجار اليهود انخرطوا في تجارة الشرق واستقر عدد كبير منهم في مصر واليمن كما ورد في وثائق الجنيزة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، والتي تشير إلى اسم عائلة اللبدي نسبة إلى بلدة في ليبيا وكان رب هذه الأسرة الليبية يسمى بالتاجر الطرابلسي وقد لا يستبعد الأمر أن يكون هنالك العديد من أبناء هذه المدينة حمل

---

(1) العياشي : أبو سالم، الرحلة العاشية، ماء الموائد، وضع فهارسها محمد مجي، دار المغرب لتأليف والنشر، الرباط، ط2، 1977م،ج2، ص 89 .

(*) وثائق جنيزة : تطلق كلمة جنيزة على مجموعة من الاوراق والكتب والمخطوطات التى وجد اشهرها مدفونا في الكنس اليهودي في منطقة مصر القديمة والبساتين وتعود الى جماعة في العصر الفاطمي والعصر الايوبي وهي توضح مدى الحرية وحسن الجوار اللذين تتمتع بهما اليهود في ظل حكم المسلمين . أن هذه الوثائق قد تم اكتشافها عام 317 هـ - 1899 م في مقابر القرنيين في مصر القديمة والبساتين وهي تتضمن المراسلات اليهودية في مصر مع بلاد المغرب .محاسن محمد الوقاد : اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة (648 – 923 هـ / 1250 – 1517 م) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ت ، ص 44 .

(*)1 السيلان : سيلان هو الاسم القديم الذي كانت تسمي به سريلانكا وتقع السيلان في الشمال من المحيط الهندي والى الجنوب من شبه القارة الهندية ، ومن هنا فإن السيلان تقع في جنوب القارة الاسيوية وتشتهر بأنتاج الشاهي . احمد صدقي التجاني : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي ، المرجع السابق ، ص 380

(*)2 المهدية : بناها المهدي الفاطمي سنة 303 هـ - 915م ، وهي باقليم افريقية على الساحل قرب مدينة القيروان وهي مدينة كبيرة ومحصنة . ياقوت الحموى : مصدر سابق ، ج5 ، ص 229 .

(2)Coitein : The Cairo Geniza as a Source For The History Of Muslim Civilization, Studia in islamica, V. III, 1955, p80-81 .

هذا الأسم وأشتغل بالتجارة في مصر هذا وقد اشترى يوسف اللبدي منزلاً بالقاهرة بمبلغ 300 دينار واستقر بمصر منذ ذلك التاريخ.(1)

كما استقرت كثير من العائلات الطرابلسية في العديد من المدن المصرية وخاصة في القاهرة والإسكندرية خلال العهد العثماني وأن أغلبها عملت بالتجارة وأخذت تزود طرابلس بالأقمشة الكتانية والقطنية، حيث ذكرت سجلات محكمة طرابلس أسماء لبعض التجار الليبيين الذين يستوردون الأقمشة من مصر. فقد كان الحاج علي الشويرف من هؤلاء والذي إدعى على أخيه عبد الرحمن مطالباً أياه بـ 86 قندقلياً ثمن قماش كان أرسله من مصر بالإضافة إلى 10 "شدات" قماش أرسلها إليه من الأسكندرية(2). إضافة إلى استيراد الحبوب الزراعية من مصر مثل الأرز والعدس والفول والقمح وكذلك السلع المستوردة عبر البحر الأحمر ونجد أن أغلب الأسر الطرابلسية قد امتلكت في الأسكندرية شركات ولها فروع تجارية في بولاق أو حي طولون وغيرها من البلاد المصرية(3) .

كما كان لبعض قبائل برقة ومدن الواحات الشرقية دور هام في الحركة التجارية واستقرار كثير من الأسر في مصر من قبيلة المجابرة والزوية والجوازي(*) وأولاد علي (*)1 وكذلك القذاذفة(*)2 وقد اهتموا بالحركة التجارية بين مصر والمدن الليبية كبنغازي وسرت وطرابلس والكفرة وجالوا وقاموا بنقل العديد من السلع والبضائع حتى فترة متأخرة من الدراسة(4) .

---

(1)Coiein : From The Mediterranean to India, Docunents On the Trade to Iadia . SpECUM, N, XXIX, 1954, NO. 2part 1,191 .

(2) سجلات محكمة طرابلس الشرعية رقم (1) المرجع السابق، ص 33 .

(3) حسن الفقيه حسن: اليوميات، المصدر السابق، ص 266- 267- 268 .

(*) قبيلة الجوازى : قبيلة عربية في برقة والتى هاجرت مجموعة كبير منها الى شمال تشاد ومصر اثر صدامها مع الاتراك . وقد ساهم الكثير من شخصياتهم في الحياة السياسية في مصر امثال لملوم باشا واحمد الباسل باشا . عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، منشورات دار مكتبة الاندلس ، بنغازي ، ليبيا ، ج 1 ، ص219 .

(*)1 اولاد علي : قبيلة عربية تقطن صحراء مصر الغربية وبرقة في ليبيا وكذلك صحراء تشاد الشمالية . محمد سعيد القشاط ، صحراء العرب الكبرى ، المرجع السابق ، ص134 .

(*)2 القذاذفة : جدهم عمر قداف الدم جعفر بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الامام الحسين ، اذا انهم من المرابطين الاشراف . كاى أورنبري – سلالة فاطمة الزهراء ، وموقعهم وفروعهم – مجلة الدراسات الشرقية – جمعية الدراسات الشرقية الفلندية – هلسنكى الجزء الرابع والخمسون ، 1983 م ، ص54 .

(4) حسن الفقيه حسن: المصدر السابق، ص 268 .

أما عن السلع المتداولة بين ولاية طرابلس ومصر:

أولاً : الصـــادرات :

كانت مصر تستورد من المدن الليبية القريبة منها كبرقة الفاكهة والعسل والبلح المكبوس (العجوة) والقبعات أو طواقي الصوف الأحمر التي كانت تعرف بالطرابيش وملابس أو معاطف إضافة إلى بعض الذهب وريش النعام وكذلك الحيوانات للذبح[1]، والقطران والجلود والصوف، وفي إطار الحديث عن صادرات الصوف من طرابلس تشير سجلات إلى عبد الله بن بوبكر النائلي الذي إدعى على الرايس الحاج محمد بن أحمد البارودي بخصوص "غرارة" صوف لها 6 "فنادس"[(*)3] وفي داخلها 16 قربة وقوفية[(*)4] وشال وسروال كان أجره على إيصالها لعمه حسين بن بوبكر في الإسكندرية[2]. وبما أن مدينة طرابلس تقع على الساحل كان هنالك فئة من سكانها بحارة رحل كثير منهم لمصر وتركيا لممارسة التجارة وكانوا على صلة بطرابلس فيحمل عن طريقهم زيت الزيتون والزعفران والصابون والكبريت والحنة والجدارى والصوف والحلفا والتمور وكذلك كثير ما يتم استيراده من بلاد السودان وأوروبا بعض السلع فيتم نقلها إلى الأسكندرية والمدن المجاورة[3] .

كما ذكر جيرار[4] عن واردات مصر عن طريق السفن من طرابلس كانت العديد من السلع المحلية والمستوردة من نعال مغربية وشمع وعن ما ترسله مدينة درنة إلى مصر عن طريق الحجاج من زبد وعسل وفاكهة .

كما كانت مصر تستورد من المناطق الغربية الجنوبية والتي تقع على الطريق الصحراوي الرابط بين مصر وبلاد شنقيط وأوجله وفزان منها التمور وكذلك الحيوانات والذهب والعاج والرقيق المجلوب من بلاد السودان الأوسط والغربي[1] .

([1]) ابن حوقل : صورة الأرض، المصدر السابق، ص 69 .

([*]3) فنادس : وهي تعني ارجل تحمل بها الغرارة وهي الشوال او الكيس . ابن منظور : لسان العرب للمحيط ، المصدر السابق ، ص1135 .

([*]4) قوفية : وتعني الطواقي جمع طاقية وهي غطاء الراس الذي استخدم في فترة الدراسة ، المصدر نفسه ، ص 625 .

([2]) سجلات محكمة طرابلس الشرعية رقم (1) المرجع السابق، ص 154 .

([3]) حسن الوزان: وصف أفريقيا، ج2، المصدر السابق، ص 95- 97 .

([4]) جيرار: وصف مصر ، (4) الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ص 355 .

وكانت واحة جالو أحد أهم مراكز الرقيق حيث تتجمع فيها قوافل الرقيق ومنها تتجه شرقاً نحو مصر عبر الصحراء الغربية، مارة بواحة سيوة حتى تصل إلى كرداسة غرب القاهرة [2].

ثانيـاً : الــواردات :

أما عن واردات طرابلس من مصر وكذلك المدن والواحات الليبية الأخرى فكانت أصناف من البضائع كنسيج الكتان والسجاد وقطع الأقمشة والأرز والعدس والسكر والتبغ وجلود الماعز والتوابل وبعض الأدوات والآواني النحاسية مثل قدور النحاس والأباريق (السخاخين) أواني النحاس الكبيرة لملء الماء (الطشت) وسفر الشاي والأكواب النحاسية بالإضافة إلى بعض تحف الزينة المنزلية المصنوعة من النحاس بالإضافة إلى الكتب والسلع المختلفة مثل العطور بأنواعها كعطر الصندل والقرنفل والمستكة وغيرها وأسبحة الذهب وأواني الطهي والخيام[3] .

فقد أشار هورنمان في رحلته من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان عام (1212هـ-1797م) إلى البضائع التي ترد من القاهرة إلى فزان حيث "يقوم تجار أوجله بنقل البضائع من القاهرة وهي الحرير والملايا ذات الخطوط الزرقاء والبيضاء والمنسوجات الصوفية والخرز الذي يصنع منه الأساور وكذلك بعض المنتجات الهندية[4] .

يتضح من هذا النص أن واحة أوجلة وسكانها المجابرة والزوية كان لهم دور هام في عملية التبادل التجاري بين مصر وسكان مدن الصحراء وأن مجمل هذه البضائع التي تصل طرابلس والمدن الليبية الأخرى منها يصدر إلى بلاد ما وراء الصحراء (السودان الغربي والأوسط) كما كان للقوافل والحجاج دور هام في تنشيط

---

(1) حسن الوزان: وصف أفريقيا، المصدر السابق، ص 96- 97 .
(2) غباشي عامر العليمي : مسألة الرق وتجارته في ممتلكات مصر الإفريقية، 1820 – 1863 ، المرجع السابق، ص 38 .

(3) زليترجان كلود: طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط أفريقيا، المرجع السابق، ص 388- 389 .– تيرنسي والاس : تجارة القوافل بين ليبيا ومصر، دور عبد الله الكحال – مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، السن الثالثة، العدد الأول ، 1981، ص 89 .
(4)فردريك هورنمان : الرحلة من القاهرة إلى مرزق، المرجع السابق، ص 76- 77 .

العمليات التجارية، فلكي يستطيع الحاج تغطية نفقات السفر إلى الأراضى المقدسة عبر مصر والحصول على بعض المال، فإنه يبتاع البضائع المحملة مع رحلته لذلك كانت طرابلس تشهد حركة تجارية كبيرة أثناء مرور قوافل الحجاج ذلك من خلال عمليات البيع والشراء والمقايضة بين تجار طرابلس وحجاج وكذلك الحال بالنسبة للمدن والواحات الداخلية فقد كانت قوافل الحجاج تتوافد إلى فزان محملة بكميات كبيرة من البضائع، الأمر الذي أدى إلى انتعاش هذه المراكز في تلك الفترة مما مكن آلاف الحجاج من مزوالة مهنة التجارة بصفة دائمة أو مؤقتة[1] .

---

(1) ريمون: الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر، ج1، ص291. نقلاً عن (, Berton : LEypte et Lasyrie (paris, 1814 gFI. V.p. 108

الباب الثالث

أثر القوافل التجارية على الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية بين طرابلس وجنوب الصحراء

الفصـــل الأول

أثــر التجــارة على الحيــاة الاقتصاديــة
بين طرابلس وجنــوب الصحـــراء

أولاً: أثر التجارة على الحياة الاقتصادية بين طرابلس وفزان.

ثانياً: أثر التجارة على الحياة الاقتصادية بين طرابلس وجنوب الصحراء

أثر التجارة على الحياة الاقتصادية بيـن طرابلس وجنوب الصحراء

تعتبر تجارة القوافل الصحراوية أحد العوامل المؤثرة على الحياة الأقتصادية السائدة بين الشمال والجنوب . وقبل التطرق إلى هذا الجانب هنالك سؤال يطرح نفسه ما هو الأثر التي تركته تجارة القوافل الصحراوية في طرابلس والمدن والواحات الداخلية والتي على صلة بمناطق جنوب الصحراء في بلاد السودان؟ وللإجابة نقول:

أولاً : أثر التجارة على الحياة الأقتصادية بين طرابلس وفزان :

إن ولاية طرابلس بحكم موقعها الجغرافي المهم قد أسهمت بدور كبير في تنشيط التجارة وإنتعاش التبادل الأقتصادي بين مختلف المناطق حيث شهدت الحقبة التاريخية بين القرن الثاني عشر وحتى نهاية فترة الدراسة، ازدهاراً اقتصادياً . فعبر مينائها وموانئ المدن الساحلية الليبية كانت تصل منتوجات أوروبا عبر فزان إلى آواسط وغرب افريقيا وفي المقابل كانت تصل منتوجات أفريقيا إليها الأمر الذي زاد من تقوية العلاقات التجارية بين مناطق طرابلس في الشمال والجنوب خاصة وأن هنالك العديد من المدن الساحلية التي أشتهرت بنشاطها الأقتصادي وعلاقاتها مع المدن الداخلية كبنغازي وأجدابيا وسرت ومصراته والخمس. لقد ظلت حلقة وصل بين تجارة القوافل عبر الصحراء وجزر البحر المتوسط[1]. هذا ويلاحظ المرء في العديد من المدن الفزانية كثيراً من الأسر لعائلات ليبية تنحدر أصولها من المدن الساحلية سواء الشمالية أو الشرقية وقد جاءت لفزان للعمل بالتجارة، ومن الأمثلة على ذلك عائلة المصراتي والشرقاوي ولا شك أن هذه العائلات كان لها تأثير على منطقة فزان. كما كانت ولاية طرابلس ملتقى لطرق القوافل وللتجارة الواردة من الجنوب عبر فزان خاصة وأن هذه المدينة قد أشتهرت بعلاقاتها التجارية عبر الواحات الداخلية (فزان) مع بلاد السودان لجلب الرقيق والذهب والعاج وغيرها من السلع.

([1]) مصطفى عبد الله بعيو: المختار في مراجع تاريخ ليبيا، ج2، مرجع سابق، ص 11 .

هذا وقد تميز إقليم فزان بالعديد من الطرق الهامة التي سارت عليها القوافل التجارية القادمة من الشمال في أتجاه الجنوب وإن معظم هذه الطرق والمسالك التي تمر بها هذه القوافل تعبر الواحات الليبية، فقد شكلت أهمية بارزة في الحركة التجارية[1] . ولعل من أهم هذه الواحات غدامس، غات، مرزق، زويله، الكفرة، أوجله التي أصبحت محطات ومراكز تجارية هامة في التبادل التجاري والتأثير الحضاري بين مختلف المناطق. ويبدو آن أهمية هذه المدن والواحات الداخلية (فزان) لم تقتصر على كونها معبراً وحلقة وصل القوافل التجارية أو أفواج الحج الأفريقي بل كانت مناطق الجذب والاستقرار البشري لحركة الجماعات والأفراد سواء في المناطق الشمالية أو مناطق جنوب الصحراء . وقد أدى هذا الاستقرار إلى الاختلاط والتصاهر والتمازج والتأثير والتأثر وبروز عناصر بشرية لا تزال ملامحه واضحة في كثير من سكان هذه الواحات حتى يومنا هذا ولقد ذكر بوفيل (Bovill) حيث قال: "إن دماء هؤلاء الذين قدموا من الصحراء ومن الأرض الممتدة إلى شمالها ما زالت تجري في عروق بعض شعوب السودان، وكذلك فإن دماء السودانيين قد تركت آثارها في أهل الواحات في الصحراء وفي أهل المدن في منطقة المغرب"[2] .

لا شك أن الليبيين سكان الشمال الأفريقي كانت لهم صلات وعلاقات تجارية مبكرة تربطهم بالمدن والمراكز الصحراوية عبر فزان حيث عرفوا الطرق والمسالك التي تصلهم وتربطهم بتلك الأقوام . وقد ازدادت العلاقات والصلات بينهما بعد انتشار الإسلام في أفريقيا وقد نتج عن ذلك حدوث تفاعلات بشرية بين هؤلاء الأقوام مما ترك تأثيره على كل منهما .

ثانياً: أثر التجارة على الحياة الاقتصادية بين طرابلس وجنوب الصحراء :

تشير المصادر التاريخية إلى أن علاقات الشمال الأفريقي وخاصة طرابلس ومدن الواحات الداخلية بمناطق ما وراء الحزام الصحراوي للسودان الغربي والأوسط

---

(1) مصطفى عبدالله بعيو: المختار في مراجع تاريخ ليبيا، المرجع السابق، ص 11 .

(2) بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير: المرجع السابق، ص 200- 201 .

راسخة حيث تمتد جذورها إلى ما قبل الإسلام. فعلاقات المدن بالواحات الليبية بتلك النواحي متينة لاسيما في الصلات التجارية والتي تعتبر أهم الركائز الرئيسية في عامل التأثير والتأثر بنقل المؤشرات الاقتصادية المختلفة من بيئة إلى أخرى عاكسة مختلف الجوانب الحضارية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية لكافة المناطق التي تتعامل معها ولاية طرابلس ومنها إلى مناطق ما وراء الصحراء[1].

إن وصول العرب المسلمين إلى فزان وغيرها من المناطق الآخرى، قد وسع الصلات التجارية بين ولاية طرابلس ومناطق جنوب الصحراء بعد الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا، حيث تولى العرب الذين عملوا على طول الساحل الأفريقي في هذه التجارة فقد وجدوا أن مصدر ثروتهم الرئيس في بيع الرقيق بواسطة بعض زعماء القبائل الأفريقية في الداخل والذين كانوا على اتصال بالعرب وكان هؤلاء الزعماء يحصلون على الرقيق بواسطة شن الغزوات[2] . وكذلك جلب العديد من السلع كالذهب والعاج والحيوانات . كما نجح الأباضيين في تأسيس إمارة لهم في تاهرت[*] في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وضمت تلك الإمارة أجزاء من الجنوب التونسي وجبل نفوسه بطرابلس. وأوضحت الدراسات القيمة التي قام بها المستشرق البولندي Tlewicki عن وجود علاقات ومؤثرات اقتصادية وثيقة بين تلك الإمارة وبلاد السودان فالمصادر الأباضية مثل كتابات الشماغي والدرجيني والوسياني وغيرهم تتحدث عن بعض التجار والعلماء الذين ذهبوا إلى بلاد السودان الغربي والأوسط، بل أن تجار تاهرت والجريد وجبل نفوسه بطرابلس كانوا هم القوة المهيمنة على تجارة بلاد السودان وشمال أفريقيا حتى القرن الحادي عشر أو بعد ذلك.[3]

([1]) علي أبوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا 1950- 1960م عام الاستقلال، بيروت، مؤسسة عبد الحفيظ البصاط، 1962، ص 32 .

([2])دينس بولهم: الحضارة الأفريقية، ترجمة علي شاهين، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت) ص 42 .

([*]) تاهرت : اسم لمدنيتين متقابلتين باقصى المغرب ، يقال لإحداهما تاهرت القديمة والاخرى تاهرت الحديثة وهي كثيرة الندى والضباب والامطار حتى ان الشمس فيها قل ان ترى . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص8 .

([3]) أحمد الفيتوري: الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان، مجلة البحوث التاريخية، 1998م، ص247 .

وتعتبر ولاية طرابلس وبعض المدن والواحات الليبية لها علاقات تجارية قوية مع جنوب الصحراء وذلك لوقوعها في ملتقى طرق القوافل التجارية بين المنطقتين حيث شكلت الواحات محطات تجمع وتوزيع للقوافل التجارية كما ارتبطت الصحراء الكبرى بنشاط تجاري هام حيث سهل أقليم فزان في عملية الاتصال والتواصل التجاري وأحكم الصلة بين القوافل التجارية الوافدة من مناطق الشمال ومن كانم وبرنو وأغاديس وبلما وتمبكتو وكانو وغانا وغيرها .

إن إزدهار الحركة التجارية بين الشمال الأفريقي وجنوب الصحراء ساهم في ظهور العديد من المراكز التجارية الهامة كزويلة ومرزق وغدامس وغات التي كانت مراكز للسلع القادمة من طرابلس وجادو، والأخيرة أتاحت الفرصة لأهالي جبل نفوسه (الجبل الغربي الآن) للإرتباط بهذه المدن تجارياً بواسطة القوافل التي كانت تسير من طرابلس إلى السودان الغربي الأوسط . إن الحركة التجارية الصحراوية ساعدت في إيجاد صلات وعلاقات بين طرابلس في الشمال الأفريقي ومناطق الصحراء وذلك بوجود شبكة من طرق القوافل التي كانت تشق الصحراء منطلقة من الحواضر العربية على الساحل مثل الإسكندرية وطرابلس وتونس والجزائر وغيرها. وكذلك المراكز الصحراوية مثل أوجلة وغات وتوات وغدامس وفزان وسجلماسة وزويلة والقيروان وغيرها، باتجاه بلاد السودان (الأوسط والشرقي والغربي) وحتى حزام الغابات الإستوائية في الجنوب وتتأكد أهمية هذه الطرق التجارية التي كانت تلعب دور الوساطة التجارية بين مناطق الإنتاج المداري والإستوائي في الجنوب وبين شعوب البحر الأبيض المتوسط في الشمال[1] .

لقد تم عن طريق موانئ الساحل توريد كل ما تحتاجه من مناطق ما وراء الصحراء من أوروبا وأسيا والمشرق العربي وتصدير المنتجات الأفريقية من سلع وذهب ورقيق وعاج وجلود إلى تلك المناطق وقد نشطت وازدهرت الحياة الأقتصادية

(1) إبراهيم طرخان، أمبراطورية غانة الإسلامية، المرجع السابق، ص 24 .

خلال القرن الثامن والتاسع الهجري/ القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادي بين الشمال والجنوب خاصة بعد استتباب الأمن والاستقرار في بعض عهود دولتي مالي وسنغاي الإسلاميتين كعهد موسى ولاسكيا محمد الكبير[*]، اللذان أهتما بتحسين العلاقات التجارية مع مناطق الشمال الأفريقي فضلاً عن ما حصل من تنظيم من قبل ا لعرب المسلمين في بلاد السودان حيث نشروا الأمن والنظام بالمنطقة مما أدى إلى أختفاء قطاع الطرق الذين يقومون بالسطو على القوافل التجارية الرابطة بين الشمال والجنوب. [1] وازدهرت التجارة خاصة بعد استيلاء السلطان أحمد المنصور الذهبي على مناجم الذهب والملح والنحاس في السودان الغربي على اعتبار أن الحكم الشرعي ينص بذلك، وأصبحت تدار بطرق منظمة ووكلت حراستها لجيش المغاربة. الأمر الذي نتج عن ظهور العديد من الاسواق الكبرى في العديد من المراكز التجارية الصحراوية في كانم وبرنو وغانا ومالي وجنى وجادو التي يقصدها التجار الذين كانوا مسلمين في الغالب الأعم مما أثر في المجال الإقتصادي وظهر ذلك واضحاً في سلوكيات التعامل التجاري لأن الاسلام حث على الكسب الحلال بحيث أصبح التاجر المسلم يمثل الصورة المثلى لما يتحلى به من أمانة وصدق وإخلاص في العمل والتعامل والمرونة مقرونة بأداء فريضة الصلاة في مواعيدها فضلاً عن مظهر المسلم الذي يتسم بالنظافة وجوهره الذي يحمل الكثير من الفضائل والخصال النبيلة [2] .

لا شك أن سكان المناطق التجارية المطروقة قد تأثروا بسلوك هؤلاء التجار قدوة وقالباً فأهتدوا بهم ووجدوا فيهم الاخوة الحقة ومن ثم ازداد دور التجار بازدياد

(*) الاسيكا محمد الكبير : هو محمد ثورى او سيلاء . أطلق على نفسه لقب اسيكا وأسس اسرة حاكمة مسلمة وهو من أصل سوننك من عشيرة ثوري أو سيلا المنحدرة من التكرور ، وقد دعم مملكة سنغاي التى أسسها سنى علي وأشتهر برحلته التى التقى فيها مع السيوطي سنة 902 هـ - 1497 م في الازهر . ج ت نيابي : تاريخ افريقا العام ، مج 4 ، المرجع السابق ، 206 .

(1) محمد رزق: العلاقات الأفريقية في القرن السادس عشر، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، مركز الجهاد الليبيين، طرابلس، 1995م، ص 89 .

(2) عبد المولى صالح الحرير : الاسلام وأثره على التطورات السياسية والفكرية والاقتصادية في أفريقيا جنوب الصحراء ، مجلة البحوث والدراسات التاريخية مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، العدد الثاني 1989م ، ص113.

نفوذهم في الأوساط الحاكمة وتمتعوا بكثير من الضمانات والامتيازات وتفاعلهم مع مختلف طبقات الشعوب خاصة وإن هؤلاء التجار رافقهم الكثير من المعارف والخبرات والمهارات التي تتعلق بالتجارة الأمر الذي ساهم في الازدهار الاقتصادي وبناء العديد من المدن التجارية التي أدت دوراً هاماً في تطوير الحياة الاقتصادية حيث تطور التبادل التجاري و ظهرت العديد من النظم في المعاملات التجارية[1].

كانت المقايضة وسيلة التعامل الواسعة الانتشار بين التجار الوافدين إلى بلاد السودان فهي التي تعتمد على اتفاق بين الطرفين فيما يعرضانه من سلع حيث المواطن السوداني يعرض الذهب كسلعة رئيسية إلى جانب السلع الأخرى سن الفيل والريش ويقوم التاجر بعرض الملح كسلعة أولى إلى جانب سلع أخرى مثل المنسوجات وأدوات الزينة . وقد أطلق هذا النوع من المقايضة التجارة الصامتة وقد عرف هذا النمط من التعامل منذ القدم. وقد ذكر هيرودوت أن الفينيقيين ادخلوا نظام التجارة الصامتة حينما تاجروا بالذهب مع أهالي السودان الغربي، منذ ذلك الوقت تقريباً أصبح الذهب محور تجارة السودان الغربي العابرة للصحراء[2]. وبإزدياد نشاط الحركة التجارية وتضاعف احجامها تعرضت مناطق السودان الغربي الأوسط لموجه من التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية بدأ يظهر في الآفق مجال التعامل النقدي لثبات قيمته ومن هنا ظهر نظام العملات مثل النقود الذهبية والنقود الفضية والنحاسية إلى جانب السلع الأخرى التي صار لها قوة النقد وقيمّت به المعاملات البسيطة مثل الودع والمنسوجات القطنية[3]. كما نتج عن الاختلاط والتبادل التجاري وبين العرب وأهالي السودان الغربي والأوسط إلى انتقال نظام المقاييس والمكاييل والموازين الإسلامي اليهم .

---

(1) جعفر عباس حميدي : تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، دار الفكر ،عمان، 2002 ، ص44 ، 45 .

(2) أحمد الياس حسين: سلع التجارة الصحراوية والصحراء الكبرى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م، ص204 .

(3) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، المصدر السابق، ص173 .

فقد وجد في كل من أودغست[1] وكومبي صالح موازين يرجع تاريخيها إلى العصور الوسطى[2]، ربما أدى إلى إزدياد الطلب على الذهب في الشمال إلى إرساء أسس الموازين في بلاد السودان كما حدد التجار العرب المسلمين هذه المكائيل والموازين والمقاييس السليمة[3].

كما شهدت بلاد السودان الغربي والأوسط نظام الوكالات التجارية نتيجة إزدهار النشاط التجاري بين مدينة طرابلس وغيرها من المدن العربية في الشمال الافريقي ومناطق جنوب الصحراء .

من المرجح أن هذا النظام يرجع الفضل في وضع أسسه للمسلمين الذين تاجروا واستقروا في تلك المناطق منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، بالرغم أن التواجد الليبي في جنوب الصحراء كان موغلاً في القدم فهنالك العديد من الأسر والقبائل التي انتقلت من ليبيا إلى منطقة جنوب الصحراء قد عملت بالتجارة ونشر الإسلام في كل من كانم وبرنو وتمبكتو وغيرها. ومن هذه الاسر كأسرة ضياء التي رحلت من طرابلس وكذلك قبيلة أولاد سليمان التي انتقلت من ليبيا إلى جنوب الصحراء لإنشغالها بالتجارة وكذلك أسرة اليليلى والغدامسي وعائلته فياض والحجري ضموه كما تعتبر أسرة أل المقري من أشهر الأسر العربية التي ساعدت على ترسيخ هذا النظام خلال القرن العاشر الهجري[4] السادس عشر الميلادي، والذي يعرف بالوكالة التجارية، حيث أقاموا ثلاثة مراكز في كل من تلمسان وولاته وسلجماسة. وكانت مهمة الوكيل المقيم واستقبال البضائع الواردة من الشمال والمغرب العربي وأوروبا ويتم إرسالها إلى تلمسان، ومن ثم يتم تحويلها إلى ولاته

---

(1)دينس بولهم: الحضارة الافريقية المرجع السابق ص 477 .

(2) Levtzion,H, "The Sahara Sudan From the Arabs Conqueot the magrib to the rise of Almoravids, Cambridge History Of Africa, Vo,ll 1973, P. 637- 480 .

(3) أحمد شبلي : موسوعة ، التاريخ الاسلامي ج6 ، المرجع السابق ، ص202 .

(4) الهادي المبروك الدالي : إمبراطورية مالي الإسلامية، المرجع السابق، ص173 .

لترويجها ببلاد السودان. في حين يقوم وكلاء ولاته بتجميع كافة منتجات بلاد السودان من الذهب والرقيق والعاج وإرسالها إلى سلجماسة لتنقل إلى شمال افريقيا ومنها إلى أوروبا[1].

لعل استقرار هؤلاء الجماعات التي جاءت للعمل بالتجارة ونشر الإسلام أو جاءت في شكل هجرات عربية لظروف ما سياسية أو غيرها قد أثروا بشكل عميق في الحياة الإقتصادية، حيث طورت هذه التجارة من أساليب الحياة الجماعات البشرية القاطنة جنوب الصحراء[2] مما نتج عنه العديد من المدن والممالك الافريقية كحواضر سلجماسة وتمبكتو وغانا وكانم وبرنو فضلاً عن العديد من النظم التجارية التي وضعوها وساهمت في نقل العديد من المنتوجات الأفريقية المختلفة والعاج والذهب والرقيق والعنبر إلى الأسواق العربية والعالمية .

مما جعل أفريقيا حاضرة في الأقتصاد العالمي كما أن للعقيدة الإسلامية التي أصبحت عقيدة لأهالي بلاد السودان الأثر البالغ في تشجيع العمل الزراعي وتربية الماشية بعد أن كانوا يعيشون على الصيد والقطف والحث على الإكثار من تربية المواشي والأنعام وهي حيوانات لها أهميتها الأقتصادية .

ولا شك أن تربية المواشي خير معين لأهالي تلك المناطق على الإقلاع عن عادة أكل لحوم البشر[3]، التي كانت منتشرة في تلك المناطق. وقد تعرضت هذه المناطق لتأثيرات الحضارة العربية والإسلامية وما في الإسلام من روح التسامح والتعاون والأخاء، وقيام الدولة المركزية المنظمة وحدوث نوع من الأمن والاستقرار والتخلص من المنازعات القبلية والصراعات العشائرية[4]، الأمر الذي أدى إلى إهتمام

---

(1) عبد العزيز بن عبد الله: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة الصحراء، الرباط مطبعة فضالة، 1976م، ص19.
(2) علي محمد عبد اللطيف: تمبكتو أسطورة التاريخ، جمعية الدعوة الإسلامية، 2001، ص 41 .
(3) نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص 141 .
(4) نفس المرجع، ص 141 .

الأهالي بحرفة الزراعة وإدخال العديد من المحاصيل الأسيوية مثل الأرز والسكر وأشجار الطيب والقرنفل وغيرها[1] .

أصبح للتجارة تأثير على الحياة الاقتصادية في مناطق الشمال الإفريقي وخاصة طرابلس مثلما كان لها تأثير على مناطق الجنوب الصحراء نتيجة ازدهار الحركة التجارية حيث نجد في طرابلس حتى هذه اللحظة الكثير من الأسر والأفراد غير ليبيين – وهم في الأصل لهم انتماءهم وجذورهم الأوروبية خاصة من إيطاليا وهي أسر معروفة كذلك الشراكسة الذين يشكلون السواد الأعظم من سكان مصراته . هؤلاء جذورهم ترجع للفترة التاريخية التي تتحدث عنها الدراسة – فهم إما جاءوا كتجار أو جنود أو مستعمرين ولعل ذلك يتضح جليا من سماتهم التي ترجع لتلك الجهات أو نسبهم التي ترجع لدولهم أيضا في سحناتهم أو ملامحهم البارزة التي لا تتطابق والخصائص أو الصفات العربية – كالعيون الخضراء أو الشعر الأشقر. كما استقلت طرابلس وبعض المدن والواحات الداخلية العديد من الأفارقة الذين جاءوا للعلم والتجارة أو العيش أو الاستقرار أو المرور قاصدين الأرض المقدسة حيث إن كثير من هؤلاء استقروا في هذه المناطق وحتى يومنا هذا.

وتعتبر مدينة طرابلس من أهم مدن الشمال الأفريقي مستقراً لكثير من الأفارقة الذين يأتون للتجارة والعمل أو السفر أو العبور لمناطق أخرى في العالم[2] خاصة الهجرة إلى أوروبا باعتبار طرابلس البوابة الشمالية للقارة إفريقيا فكانت المحطة الأخيرة لسوق الرقيق المجلوب من جنوب الصحراء، هذا ونجد العديد من المدن الساحلية التي يقيم فيها الرقيق كمحطات لتسويق الرقيق في المدن الليبية أو الجزر

---

(1) حسن الوزان : وصف إفريقيا المصدر السابق، ص163 .

(2) علي عبد الهادي الحواث : التواصل الثقافي (بين ضفتي) الصحراء الكبرى في أفريقيا، الجامعة المغاربية، جامعة المغرب العربي، ط، دار الوليد للنشر والتوزيع، 2004 طرابلس، ليبيا، ص291 .

الأوروبية فقد كانت مدينة تاورغاء مركزاً تجمع الرقيق وكذلك إلى محطات أخرى في بنغازي كرأس عبيدة(*) وفي زوارة كما توجد أسواق الرقيق كسوق مرزق بفزان .

أصبحت هذه المناطق مع مرور الوقت لها تأثيرات واسعة وعميقة على التواصل الاجتماعي والثقافي فقد أثّروا تأثيراً في طرابلس طواعية واندمجوا مع سكانها الأصليين وأصبحوا عرباً ليبيين(1) .

وهكذا يمكن القول إن الصلات الاقتصادية شكلت حجر الأساس أو كانت نقطة البداية لعلاقات بين العرب والأفارقة كما أنها ساهمت في نشر الإسلام وذلك من خلال التقاء التجار وتوثيق العلاقات بينهم وتعريف كل منهم بعاداته وتقاليده ولغته ودينه مما أدى إلى اعتناق التجار والأهالي للدين الإسلامي.

(*) رأس عبيدة : منطقة أو حي في مدينة بنغازي ، يقع بين السلماني الغربي وسيدى حسين وشارع 20 وكان للمهاجرين والنازحين وسوق تجاري . مقابلة اجرتها الباحثة مع احد سكان المنطقة وهو محمد محمود احمد ، بتاريخ 5-6-2016 .

(1) علي عبد الهادي الحواث : المرجع السابق ، ص291 .

الفصـــل الثـــاني

أثر التجارة على الحياة السياسية بين طرابلس وجنوب الصحراء

أولاً : أثر التجارة على الحياة السياسية بين طرابلس وفزان.

ثانياً: أثر التجارة على الحياة السياسية بين طرابلس وجنوب الصحراء

أ) أثر التجارة على الحياة السياسية بين طرابلس والسودان الغربي

ب) أثر التجارة على الحياة السياسية بين طرابلس والسودان الأوسط

أولاً : أثر التجارة على الحياة السياسية بين طرابلس وفزان :

عند الحديث عن أثر التجارة في الحياة السياسية في طرابلس وفزان، قد نتساءل هل كان لتجار طرابلس والواحات الجنوبية دور من خلال الحركة التجارية في نقل كثير من المؤثرات السياسية بين هذه الأقاليم وممالك جنوب الصحراء. وما أثر ذلك على الحياة السياسية ؟

لقد ساهم تجار طرابلس والذين لهم علاقات وصلات تجارية باعتبارها أخر محطة للقوافل الصحراوية في أتجاه الشمال الأفريقي، وكذلك تجار فزان في الحركة التجارية مع مناطق السودان الغربي والأوسط خاصة وأن إقليم فزان يتميز بعدة طرق تربط القوافل التجارية مع المناطق الأفريقية مما يساعد على زيادة حركة التجار وتنشيط تجارة القوافل عبر فزان . وكذلك نتج عنها إزدياد التجار العرب. خاصة وأن إقليم فزان كان تحت سيطرة بنى الخطاب الذين اتخذوا من زويلة مقراً لهم والذين كانت لهم علاقات وصلات تجارية وسياسية مع طرابلس وجبل نفوسة[1] .

لم تفصح المصادر عن الدولة الخطابية إلا إنها تذكر أن مملكة ابن الخطاب الهوارية قام بتأسيسها عبد الله بن الخطاب الهواري، واتخذ من مدينة زويلة حاضره له . وشهدت فزان في تلك الفترة وخاصة زويلة عصرها الذهبي في فترة حكم هذه الأسر. وأصبحت فزان من أقدم البلدان التي كانت لها شهرة وعلاقات تجارية مع طرابلس وبرقة ومصر وبلاد السودان. لقد استمر حكم ابن الخطاب في نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، عندما دخل قراقوش ابن أخ صلاح الدين الأيوبي سنة 573هـ - 1177 م ، قادماً من مصر. وبعد سقوط هذه المملكة على يده حدثت كثير من الفوضى والاضطرابات داخل إقليم فزان الأمر الذي جعل السلطات الكانمية تفرض سيطرتها على فزان منذ منتصف القرن الثالث عشر

(1) منصور محمد البابور: مرزق التحضر والقاعدة الاقتصادية، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1995م،ص 20 .

الميلادي واتخاذهم تراغن حاضرة جديدة لفزان ومقراً لهم وفرض سيطرتهم على فزان، لا سيما الطرق التجارية[1] .

كما أن فزان شهدت في فترة سيطرة الكانميين نوع من الاستقرار فكان خلال سيطرتهم على فزان كانت طرابلس تتبع للحفصيين بتونس فكان لابد للكانميين من تعزيز علاقاتهم بالحفصيين وقامت بينهما علاقات دبلوماسية وتبادل سفارات والهدايا ويتم التبادل التجاري بينهما عبر فزان الخاضعة لهم وكان لسيطرة الكانميين على فزان لأكثر من نصف قرن أكبر الاثار على هذه المنطقة.

ولعل من هذه الأثار، زيادة عدد سكان فزان من ذوى الأصول الكانمية كالزغاوة والقرعان[*] والسلالات المتواجدة في تراغن والقطرون ووادي الجفرة[*1] وهي امتداد لتلك السلالات[2] . وكذلك من المؤثرات التي حدثت أثناء السيطرة الكانمية على فزان في ظل الاستقرار السياسي والإجتماعي لقد ذكر غيرهارد رولفس الذي زار فزان عام 1247 هـ – 1831م والذي لاحظ التأثيرات الكانمية في فزان قائلاً: "وإذا ما قيض للمرء أن يتحدث عن لغة قومية لدى هذا الشعب المختلط بأن الكانورية (لغة البرنو) هي الأعم ويتكلم بها الأطفال وبعد هذه اللغة تأتي العربية وكثير من الناس يفهمون الطارقية ولغة التيدا[*2] . ولا تزال مظاهر التأثير الكانمي واضحاً في فزان ولم يقتصر على اللغة فحسب وإنما في الملبس وكثير من العادات والتقاليد في العديد من المدن الليبية استمرت السيادة الكانمية لفزان حتى أوائل القرن الرابع عشر الميلادي[3]. وتم إزاحتهم من قبل الخرمان[*] والذين بدورهم طردهم أولاد

([1]) أبوبكر عثمان القاضي: فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، المرجع السابق، ص 44 .

[*] القرعان : شعب بدوى مختلط من التيبو وسلالة الزنوج ، ويبدو أنهم الممثلون الحديثون للجرمنتيون ، وهم يحتلون الصحراء شمال دار الفور ووداي ومن المعروف أن صحراء بيوضة شمال الخرطوم كانت تعرف باسم القرعان حتى القرن السابع عشر وبهذا الاسم عرفها ليو الافريقي ، عبد الرحمن زكي : تاريخ الاسلام والمسلمون ، المرجع السابق ، ص 100 .

[*1] وادي الجفرة : هو يقع بالقرب من الركن الشمالي لفزان وهو واد يسير من الجنوب الى الشمال ويقع عليه واحات سوكنة وهون وودان ولقد كان هذا الوادي منذ القدم طريق للتجارة والغزاة بين سواحل البحر المتوسط و الواحات الواقعة في دواخل البلاد ، محمد سليمان ايوب : مختصر تاريخ فزان ، المرجع السابق ، ص13 .

([2]) المرجع نفسه ، ص 95-96.

([*]2) التيدا :هم نوع من التيبو ، غير هارد رولفس : عبر افريقيا رحلة من البحر المتوسط الى بحيرة التشاد وخليج غينا ، المصدر السابق ،. ص 151 .

[3] المصدر نفسه ، ص152 .

محمد من فزان في التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي والذي استعان به أهالي فزان عندما ساءت أحوال البلاد وضعفت مواردها، فاستطاع تأسيس أسرة تحكم فزان سنة957 هـ- 1550م. وفد أتخذ محمد الفاسي من مدينة مرزق عاصمة له ففي عهد المنتصر بن محمد الفاسي سنة985 هـ - 1577م عندما تولى الحكم كان ضعيفاً ولم يكن في مقدرة والده الناصر إذ سرعان ما دب الخلاف بين أفراد الأسرة على الحكم وتدخلت الحريم في أمور السياسة وأخذن يحكن المؤامرات في القصر[1] .

تزامنت الفوضى والاضطرابات التي حصلت بين أسرة أولاد محمد وشغب الجند العثماني في طرابلس وحدوث الانقلابات المتتابعة على الولاة مما شجع أحد ولاة طرابلس وهو يحي باشا التركي الذي حكم طرابلس في الفترة (982- 990هـ/ 1574- 1582 م) حين أراد أن يخلص مدينة طرابلس من بعض هؤلاء الجنود بإدخالهم في حرب محدودة فأخذ يصور لقائدهم غنى فزان وثراء قوافلها التجارية وإغرائهم بمهاجمة فزان[2] .

في هذه الظروف أرسلت خود بنت شارومة محمد الفاسي وزوج المنتصر إلى الترك أن يقدموا إلى فزان لتملكهم البلاد ووعدتهم بالعطاء الجزيل أن وصلوا إليها، فقد دخل الأتراك لفزان 985 هـ - 1577م ولما سمع الناصر بن المنتصر بالخبر ولا طاقة له لمواجهة الآتراك، فهرب هو وأخوانه ومن تبعه من أعوانه إلى كاشنة[*1] من أرض السودان، فدخل الأتراك مرزق وعينوا عليها عاملاً أسمه (مامي)، وهو أول حاكم تركي يحكم فزان وحكمها خمس سنوات خلال القرن العاشر الهجري/ السادس

(*) الخرمان :أمم عرفوا بهذا الاسم كانوا يسكنون وادي الحياة ويختلف الكتاب في اصل الخرمان ، فيرى البعض انهم من أصل عربي ، ويرى الشيخ فالح احد الذين علقوا على ابن غلبون أنهم امم يسكنون في وادي الحياة ، بينما يرى محمد سليمان ايوب إن تحريفاً دخل على كلمة جرمة فاصبحت خرمة ، وسمى أهلها بالخرمان ، بدلاً من الجرمنت مستندين في ذلك على استعمال الخرمان للخيول بدلاً من الجمال . ولكن ضعف هذا التحليل واضح ، ابوبكر عثمان القاضي : فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور ، المرجع السابق ، ص 45 – 46 .

(1) ابوبكر عثمان القاضى : فزان ومركزها الحضارية عبر العصور ، المرجع السابق ، ص48 .

(2) محمد سليمان أيوب: مختصر تاريخ فزان، المرجع السابق ، ص 107 .

(*)1 كاشنه : مدينة في نيجريا: الحافظ عبد الكريم سليمان، مرجع سابق، ص222.

عشر الميلادي، ثار أهالي فزان على (مامي) وارسلوا للناصر في كاشنة فقدم عليهم وبايعوه واستمر حكمه حتى توفى في 1008هـ 1600م[1].

لقد ظل حكام وسلاطين فزان في أغلب الأوقات يدفعون أتاوة إلى الأتراك في طرابلس مقابل بقائهم في حكم فزان رغم أن العلاقة التي كانت بين الأتراك وحكام فزان غير ثابتة ومستقرة ونتيجة ضرائب الباهظة التي يفرضها الأتراك على فزان وعدم الألتزام الدائم من قبل حكام فزان في دفع هذه الضرائب الأمر الذي جعل الأتراك يفرضون سيطرتهم على فزان. واشتد النزاع بينهم وبين أهالي فزان وعندما استفحل الأمر وكادت أن تحصل حرب أهلية تدخل العلماء والفقهاء لتسوية النزاع وتم تحديد قيمة الضرائب التي تدفعها فزان وقد عاد الاستقرار السياسي إليها[2].

أما في عهد الأسرة القرمانلية التي حكمت ولاية طرابلس خلال الفترة 1123 – 1247 هـ/1711– 1831م كانت فزان تشكل عنصراً من عناصر الثروة لطرابلس لا يمكن إغفالها سواء بسبب الضرائب التي تفرض على الأهالي أو من جراء تجارة الرقيق والقوافل مع السودان وذلك عندما تصل الحملات إليها خاصة في عهد أحمد باشا القره مانلي مؤسس هذه الأسرة الذي أطلق الباشا الناصر من الحبس وكساه ومنحه ولاية فزان. واستمر في دفع الأتاوة حتى عهد يوسف باشا القرمانلي ، وحينما إمتنع والي فزان عن الدفع أرسل أحمد القرمانلي إبنه محمد بحمله إلى مرزق عاصمة فزان وحاصرها وقد أمده أبوه بجيش بقيادة خليل الكرغلي[*]، وعندما عجز الناصر عن الدفع طلب العفو ، ولكن أحمد باشا لم يقبل وهذا دلالة على قلة موارد المنطقة نتيجه للحرب المتكررة[3] .

([1]) ابن غلبون (التذكار): المصدر السابق ، ص99- 100 .

([2]) المصدر نفسه، ص 100 .

([*]) خليل الكردغلي : احد قوات الجيش في فترة أحمد باشا القرمانلي . المصدر نفسه ، ص100-101 .

([3])غيرهاردرولفس: رحلة عبر افريقيا ، المصدر السابق، ص 66 .

وأخذ الناصر أسيراً إلى طرابلس وباعه أحمد باشا القرمانلي لأبنه محمد بفلسين إمعاناً في تحقيره ثم أعاده إلى حكم فزان، لقد ظل بعدها الناصر يقوم بدفع الجزية بعد وفاة أحمد باشا القرمانلي 1168 هـ - 1754م[1] .

وهكذا ظلت منطقة فزان التي كانت على صلة بطرابلس حيث أن حكامها يحافظون على تنفيذ الشروط المفروضة عليهم ما دامت الحكومة المركزية في طرابلس قوية ومستقرة ويبدو أن هذه الفترة شهدت البلاد حالة من الاستقرار السياسي فنشطت القوافل التجارية بين الشمال والجنوب كما شهدت البلاد نمواً اقتصادياً واستمرت العلاقات جيدة بين القرمانليين حكام طرابلس وسلاطين فزان .

ثانياً : أثر التجارة على الحياة السياسية بين طرابلس وجنوب الصحراء:

لا شك أن تجارة القوافل بين طرابلس وجنوب الصحراء قد تركت تأثيراً سواء على مناطق الشمال الأفريقي أو ما وراء الحزام الصحراوي وذلك من خلال الحركة التجارية القائمة بينهما .

وقبل الحديث عن هذا الجانب هنا لماذا يتطلع ملوك وسلاطين تلك الممالك إلي توطيد علاقاتهم السياسية مع بلدان المغرب والمشرق العربي؟ وللإجابة عن السؤال نتناول:

أولاً: أثر التجارة على الحياة السياسية في طرابلس والسودان الغربي:

إن وجود التجار والجاليات العربية في مناطق أفريقيا مكنها من أحداث تأثيرات سياسية في تلك الممالك الأفريقية مثل تمبكتو وجني وجادو وأودغست وغانا وغيرها، أي نقل الحضارة العربية الإسلامية إليها[2] . فقد استطاع هؤلاء التجار بأساليبهم ومعرفة لغة تلك الأقوام وعاداتهم فأصبحوا قادرين على الحديث معهم وشرح مبادئ الإسلام وتعاليم الدعوة الإسلامية وما شرعه الله لخير عباده في الدنيا

---

(1) المصدر نفسه ، ص 66 .
(2) جمال زكريا قاسم : دور العرب في كشف أفريقيا، المرجع السابق، 155 .

والأخرة. وقد تزوجوا من الأهالي وهم في الغالب يتزوجون من بيوت رؤساء القبائل وأصحاب النفوذ حيث انهم كانوا أهلا لذلك بصفاتهم وثرائهم الكبير . وكثيراً ما يدخل رؤساء القبائل في دين أصهارهم فتتبعهم باقي القبيلة[1] . فقد نجح هؤلاء التجار في أن يدخلوا أنفسهم في زمرة الزعماء ويتصلوا بأفراد الطبقات العليا.

ولقد لاحظ البكري في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أن أغلب مترجمين ملوك السودان الغربي وموظفي بيت المال ووزرائهم وقتئذ كانوا من العرب المسلمين[2] .

وقد وصل هؤلاء إلى مراكز هامة مما دفع بملوك السودان الغربي إلى أن يؤسسوا لهم مسجداً قريباً منهم رغم أن هؤلاء الملوك لم يعتنقوا الإسلام[3] .

لعل وصول العرب إلى مكانة مرموقة في بلاط ملوك السودان وأمرائه بسبب إلمامهم بالقراءة والكتابة، فضلاً عن ما تحلى به الكثيرون منهم من خصال حميدة كالصدق والأمانة وحسن العشرة وقد قوى نفوذ العرب المسلمين سياسياً خاصة بعد المصاهرة واستثمار نظام الوراثة عن طريق الأم الذي كان سائداً في تلك المناطق حيث تقلد أبناؤهم من زوجاتهم الوطنيات الإفريقيات المناصب القيادية في تلك الممالك السودانية[4] . ويظهر أن هؤلاء التجار العرب المسلمين تعاملهم ليس مع الحكام والسلاطين فحسب بل كان مع عامة الأهالي كما ذكر سابقاً، الأمر الذي أتاح لهم تقلد أهم المناصب كالديوان والخزانة والقضاء والاستشارة وغيرها.

فقد أثروا في أهالي السودان وحكامه وتأثروا بهم الأمر الذي نتج عنه اعتناق عدد كبير من أهالي تلك المناطق العقيدة الإسلامية[5]. كما حرص حكام وسلاطين بلاد السودان الغربي ومن بينهم سلطان مالي منسي موسى والاسيكا محمد الكبير

(1) أحمد شلبي: موسوعة العالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 807.
(2) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، المصدر السابق، ص 175 .
(3) المصدر نفسه، ص 175 .
(4) قمر الدين محمد فضل الله: لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي (1468- 1591) مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1987م،ص216.
(5) قمر الدين محمد فضل الله: لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي ، المصدر السابق ، ص 214 .

على اقتباس النظم السياسية العربية الإسلامية[1]، خاصة من بلاد المغرب العربي ذات المذهب السني.

إن أهم المؤثرات السياسية التي تأثروا بها في بلاد السودان كاختيار الملوك وكيفية تنصيبهم ونظام ولاية العهد في تكليف ابنائهم وإخوانهم في إدارة الدولة نيابة عنهم والأنظمة الحربية والإدارية والمالية وكذلك النظم القضائية[2]. هذا مما جعل حكام وملوك السودان الغربي في عهد مملكتي مالي وسنغاي الإسلاميتين يقومون بتوطيد تلك العلاقات السياسية القوية حيث سعى ملوك السودان الغربي وكذلك الأوسط على ربط أنسابهم بأنساب عربية شريفة واتخاذهم أسماء وألقاب عربية ومحافظتهم على أداء فريضة الحج إلى الأراضي المقدسة وذلك للدلالة على ارتباطهم بالأمة العربية الإسلامية مما يساعدهم في تدعيم تلك العلاقات السياسية[3].

ومن المعروف أن التجارة العابرة للصحراء كانت مصدراً اقتصادياً هاماً لمناطق الشمال الأفريقي كما أنها بادرت في تقوية صلاتها وعلاقاتها ببلاد السودان، ولعبت المدن الصحراوية دوراً بارزاً خاصة مدن فزان في توثيق العلاقات بين مناطق الشمال الأفريقي وبلاد السودان الغربي والأوسط لغرض تنمية الموارد الأقتصادية وتنشيط التجارة وتهيئة الطرق وإقامة المراكز والأسواق[4] . وكذلك ذكر وصول سفارة من بلاد السودان الغربي إلى المعز ابن باديس (406- 453هـ/ 1015- 1062م) وتم وصولها بتاريخ 423هـ الموافق 1041م، وتضمنت هذه الهدية كثير من الرقيق والحيوانات . كما كانت لدويلات المغرب الأخرى كالرستمية ، علاقاتها السياسية المتمثلة في سفارتها الدبلوماسية إلى بلاد السودان فقد كان الأفلح الإمام الثاني عبد

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص 127 .
(2) عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 73 .
(3) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص 347 .
(4) نعمة عبد السلام الحسين : علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، 1426هـ/ الموافق 1999م رسالة دكتوراه غير منشورة، ص166 .

الوهاب بن عبدالرحمن بن رستم (168- 208هـ/ 784- 823 م) لـه إهتمام وميول بالشأن السوداني لدرجة أنه كان يرغب في رحلة إلى جاوا[1] .

وعندما أصبح إماماً (208- 258هـ/ 823- 871م) بعث محمد بن عرفة أحد وجهاء تاهرت في سفارة إلى ملك السودان حاملاً الهدايا لتوثيق الصداقة بينهما وتعبيراً عن شكره وامتنانه لما يجده تجار بلاده من حسن معاملة في الوقت الذي كان ملك السودان يكن كل احترام لأبن عرفة لما يتمتع به من خصائص فضيلة في ثقافته وشجاعته[2] .

ويبدو أن معظم الكتاب اتفقوا على أن السودان الذي أرسل لـه محمد ابن عرفة يقصد بها مملكة كوكو[3] التي عرفت فيما بعد باسم جاو .

وكذلك في منطقة السوس الأقصى لعبت دولة الأدارسة دوراً في تأصيل العلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي فقد بدأو هذا المجال وأكمله المرابطون[*] من بعدهم. لقد كان لمولد حركة المرابطين في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أهمية في تاريخ العلاقات السياسية بين بلاد المغرب وبلاد السودان . فقد كان السودان الغربي متصلاً في الماضي ببلاد المغرب بواسطة النشاط التجاري وأصبح بعد فترة المرابطون أكثر اتصالاً به. فتدخل المرابطين السياسي في بلاد السودان. رغم قصر مدته، وطد العلاقات بين الجانبين ووحد ديار المسلمين من أواسط وغرب أفريقيا حتى اسبانيا[4] .

([1]) ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت1986م، ص 71.

([2]) محمد ناصر: دور الأباضية في نشر الإسلام بغرب أفريقيا مكتبة الضامري، مسقط عمان، (د.ت) ص 10- 11 .

([3]) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ص 487 .

(*) المرابطون : يبدو أن لفظ المرابطين مشتق من الرباط وهو المكان الذي يقيم فيه المرابطين للتعبد ، وهو امتثال لقوله تعالى " يايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله " الأية رقم 62 من سورة الانفال . هذا وقد اطلق اسم المرابطين على الزعماء والقبائل الذين رحلوا من الصحراء الكبرى في القرن الخامس الهجري – الحادي العشر الميلادي لبث الدعوة الاسلام السنى وفرضه بالجهاد وأسسوا دولة في الشمال الافريقي واسبانيا ويعتبر عبدالله بن ياسين هو مؤسس هذه الدولة وزعيمها الروحي . مراجع عقيلة الغناي : قيام دولة الموحدين ، بنغازي – جامعة قار يونس ، 1988 ، ص48 .

([4]) ابن خلدون : العبر، ج6، المصدر السابق، 147 .

ثانياً: أثر التجارة على الحياة السياسية بين طرابلس والسودان الأوسط :

اما عن التأثير السياسي من خلال الحركة التجارية بين مناطق الشمال والسودان الأوسط يلاحظه المرء في أقليم كانم برنو بالسودان الأوسط رغم دخول الإسلام إلى تلك المناطق منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، عندما تم فتح فزان على يد عقبة بن نافع الفهري ثم توجه إلى فتح إقليم كاوار غير أنه لم يصبح حقيقة واقعة إلا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، عندما هدى الله أحد سلاطين تلك المنطقة للإسلام وهو السلطان (الماي هيوم جلمي) على يد رجل صالح يدعى (محمد بن مانى) من فزان ويظهر أن هذا الإسلام اعتنقه أغلب أهالي البلاد الذين أتبعوا سلطانهم فأسلموا كما أسلم العديد من وزرائه وأعضاء حاشيته وهذا أحد الأدلة على مدى تأثير العرب التجار والمهاجرين في بلاد السودان في المناصب السياسية[1] .

أما عن تطلع حكام وسلاطين مسلمى السودان في توطيد علاقاتهم السياسية مع بلدان العرب فقد عرف معظم ملوك بلاد السودان رغبتهم بتوطيد تلك العلاقة مع الدويلات العربية الإسلامية التي عاصرتهم لاسيما مصر ومكة والشمال الأفريقي ومع المغرب باعتبارها إشعاع روحي يستمدون منه المعرفة وتعاليم العقيدة الإسلامية فضلاً عن تعزيز مكانتهم في أعين مواطنيهم حينما يتحصلون على تفويض شرعي بتقليدهم السلطة في بلادهم[2] .

وقد تجسدت العلاقات السياسية بين الشمال الأفريقي ومناطق جنوب الصحراء في السودان الأوسط وكذلك الغربي، في العلاقات الدبلوماسية في شكل تبادل هدايا بين الجانبين أكثر منها علاقات عسكرية تسعى لغرض السيطرة السياسية

(1) علي محمد عبد اللطيف: أوراق أفريقية، المرجع السابق، ص 25 .
(2) المرجع نفسه ، ص 26 .

الأمر الذي قد يؤدي إلى اضطراب الأحوال وعدم تأمين الطرق المؤدية لسير القوافل التجارية إلى بلاد السودان مما يؤثر على الحركة التجارية والتواصل.

تشير المصادر التاريخية إلي العلاقات بين مملكة كانم وطرابلس خاصة في العهد البرنوي، غير أنها كانت بمثابة إشارات عن العلاقات السياسية دون إعطاء تفاصيل عن تلك العلاقة السياسية فقد ورد فيما يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية قدوم سفارة من السودان إلى مملكة ابن الخطاب الأباضية بزويلة في فزان سنة 389هـ الموافق 992م تحمل هدية غير أنها لم يعرف البلد الواردة منه ولكن على ما يبدو أنها كانت من كانم[1] . لعل ما يؤكد وجود علاقات غير مباشرة بين حكام وسلاطين كانم ومناطق الشمال الأفريقي ما ذكره المهلبي عندما قال: "أن ملك كانم كان يرتدي ملابس مصنوعة من حرير سوس"[2] .

كما ذكر ابن عذارى عن وصول سفارة من أحد سلاطين السودان، غير أنه لم يحدد أسم البلد إلى الأسرة الصنهاجية بنى زيرى[*] في عهد أبو الفتح المنصور ابن زيرى (374- 386هـ/ 984- 996م) وتم وصولها بتاريخ 382هـ الموافق 992 م.[3]

أما عن علاقات الحفصيين في المغرب الأدنى (تونس والتي كانت طرابلس تابعة لها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، كان للحفصيين علاقات مع المناطق الواقعة جنوب الصحراء، إلا أنه يبدو أن أهم هذه العلاقات كانت مع منطقة السودان الأوسط وذلك بحكم مطابقتها وقربها جغرافيا من منطقة المغرب الأدنى وخاصة طرابلس والمدن الليبية الداخلية هذا وتميزت علاقات طرابلس مع كانم

---

(1) ديرك لانجي: منطقة تشاد عند مفترق الطرق، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، مجلد3،فصل 15، المرجع السابق، ص 498 .

(2) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج2، المصدر السابق، ص392 .

(*) لعب بنو زيرى من صنهاجة دوراً مهماً في توطيدد دعائم النظام الفاطمي الشيعي في بلاد المغرب في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي فكافأهم الفاطميون على جهودهم بإنابتهم في إدارة بلاد المغرب حينما قرروا الانتقال إلى مصر سنة 362هـ - 972م،وكان أول من تولى الملك منهم بلكين بن زيرى واستمرت دولة بن زيرى تدور في فلك الفاطمين والمذهب الشيعي إلى أن نجحت انتفاضة العاهل الزيرى المعز بن باديس فتخلص من الوصاية الفاطمية وعاد البلاد للمذهب السني في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، عبد القادر عثمان جاد الرب: مجلة كلية الآداب المحمدية والعلوم الأنسانية جامعة الملك حسين الخامس الدار البيضاء، المملكة المغربية، العدد الأول، 1999م، ص 57 .

(3) عبد القادر عثمان جاد الرب: المصدر نفسه، ص 58.

برنو بعلاقات خاصة وذلك لأن البلدين كانا ولازالا جارين ويرتبطان بمنطقة حدود طويلة مما سهل عملية الاتصال والتأثير وبناء علاقات كانت متينة قائمة على التبادل التجاري والتعاون الثقافي(1) .

لقد توطدت العلاقات السياسية بين طرابلس وبلاد السودان الأوسط، خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي عندما كانت الدولة الحفصية التي تخضع لها طرابلس تتمتع بتقدير واحترام كبير من العالم الإسلامي(2) . ويبدو أن أول اتصال بين البلدين قد تم مع الماي عبدالجليل أبوبكر (590هـ/ 1194م) واستمر فيما بعد على عهد خلفائه، وتميزت هذه العلاقات في أغلبها بعلاقات ودية بين الطرفين كما ثبت أيضاً أن سلاطين الحفصيين قد تدخلوا في مساعدة بعض المايات في شؤنهم الداخلية(3) .

ففي النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي،كانت العلاقات السياسية بين البلدين قائمة لخدمة مصلحة الطرفين وذلك عندما قام الماي دونمه دبلامي في (658هـ/ 1259م) بالقضاء على ابن قراقوش الخارج عن سلطة الحفصية الذي اتخذ من مدينة ودّان مقراً لتمرده وثورته ضد السلطة الحفصية والذي كان ضابطاً في أجناد المنتصر بالله سلطان الحفصي (647- 676هـ/ 1249-1277م) .

لعل هذا العمل زاد من توثيق العلاقات بين طرابلس وكانم وتحقيق بعض المنافع لهؤلاء الحكام فماي كانم- برنو استطاع أن يؤمن طرق القوافل الصحراوية المارة من بلاده عبر فزان والتي كانت مهددة بالأخطار نتيجة الصراعات التي أثارها ذلك الثائر في الوقت نفسه أن يضمن رضا السلطان الحفصي وأن هذا السلطان قد

---

(1) صالح الصادق السباني: مملكة كانم- برنو: وعلاقاتها بأقطار شمال أفريقيا من القرن الثالث / العاشر الهجري، المرجع السابق، ص117 .

(2)Robert Brunschvig: La dynastic hafcide Les Hafcides aux xiii ct XIV Siecles La Tunisie Lexveme Siecle" in , Initiation IaTunisie, p. 95, paris, 1950 .

(3) إبراهيم طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية، المرجع السابق، ص 147 .

- حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء، المرجع السابق، ص 58 .

ذاعت شهرته في الأفاق وعظم شأنه خاصة بعد القضاء على الخلافة العباسية ببغداد سنة 657هـ/ 1258م .

تزعم هذا السلطان درء الأخطار الأجنبية على الدولة الإسلامية مما دفع أمير مكة والحجاز بإرسال بيعته بالخلافة عام (657هـ/ 1258م) واحتفل بهذه البيعة احتفالاً مشهوداً وتلقب بأمير المؤمنين . ومن هنا اهدى الماي دونمه دابلامي حاكم كانم وبرنو إلى السلطان الحفصي أبي عبد الله المنتصر سنة 966 هـ/ 1558م زرافة وهذا ما أثار دهشة الأهالي الذين تزاحموا لرؤية هذا الحيوان العجيب(1). وقد ازدادت السفارات بين البلدين فيما بعد حيث ارسل الماي عبد الله بن كادي سفارة سنة 728هـ/ 1327م وكذلك سفارة الماي ادريس ابن علي سنة 908 هـ/1502م والذي في عهده استمرت العلاقات طيبة وارسل سفارة أخرى 1526م كما وصل ابنه إلى طرابلس سنة 941 هـ / 1534م(2) .

لقد استمرت تلك العلاقات خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر فأوجدت دفعاً جديداً بين شعوب جنوب الصحراء والولاة العثمانيين الذين تمركزوا بكل من طرابلس وتونس والجزائر حيث اكتسب الشمال الأفريقي أهمية جديدة عن طريقهم وقام في هذا المجال الماي موسى ببعثه إلى طرابلس سنة 918 ./ 1512م لتعزيز التبادل بين البلدين عبر طريق فزان ومن ذلك ايضاً أن الملكة الوالدة عائشة التي حكمت كانم في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي قد امرت بإرسال بعثة هامة إلى طرابلس(3) . وقد ورث ابنها ادريس ألوما الذي تولى الحكم سنة978 هـ/ 1570، ووثق هذه العلاقات وقام بإرسال بعثات إلى كل من طرابلس وتونس والباب العالي باستانبول يطلب فيها مساعدته في الحصول

---

(1)Josphmcuoq. Recueil des Sources arabes Concernant I, Afrique Occidentalebu VIII eauxviesiecies CBilad AL- sudahl.p. 209 et p. 352, paris, 1975 .

(2) عبد الجليل التميمي: الروابط الثقافية بين ليبيا وتونس ووسط وغرب افريقيا خلال العصر الحديث، المجلة التاريخية المدرسية العدد1-2، 1981م تونس، ص 17 .

(3) الشاطر بصيلي عبد الجليل: تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن الرابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، 1972م، القاهرة ص 418 .

على أسلحة وجنود عثمانيين لتدريب جنده وتمكن الماي بفضل تلك المساعدات أن يكسب جيشه تفوقاً ملحوظاً مكنه من القضاء على القلاقل والسيطرة على كامل الجنوب الصحراوي وتنشيط حركة الاتصال التجاري بين الجنوب والشمال[1] .

كما ظلت العلاقات السياسية بين ولاية طرابلس وجنوب الصحراء ففي عهد محمد باي والى طرابلس فقد اتصل هو الآخر بسفارة من أمير برنو مع أوائل القرن السابع عشر وابتداء من أواخر القرن السابع عشر لقد عزز عدد امراء برنو الزيارات لفزان من ذلك زيارة السلطان ماي إدريس الذي قدم إلى مدينة مرزق سنة 1108 هـ / 1696م مصحوباً بأكثر من 7000 من عبيده[2] .

لا شك أن تعدد الزيارات بين شعوب جنوب الصحراء وطرابلس ومناطق الشمال الأفريقي من خلال حركة القوافل التجارية جعل ملوك السودان يرحبون بالتجار من الشمال وذلك نتيجة لأهمية المواد التجارية لهم والخيول التي قد اثرت تأثيراً بارزاً في العمليات العسكرية في بلاد السودان الغربي والأوسط . وقد حرص ملوك السودان على اقتناء الخيول العربية وما يؤكد على أهمية الخيول والتجار من الشمال الأفريقي حيث ذكر الحسن الوزان: أن ملك برنو قد اتصل بتجار الشمال الأفريقي لإمداده بعدد من الخيول وقد دفع ملك برنو من 15- 20 رقيقاً عن الحصان. كما كان للجاليات العربية في كانم وبرنو دور في نقل العديد من المؤثرات مثل دورهم في صناعة الحديد وقد يكون أولئك قد صنعوا البنادق والبارود أو تاجروا بها ، ولعل بهذه العلاقة اشتهرت برنو بتوريد البنادق دون غيرها من ممالك السودان قبل القرن الخامس الهجري[3] .

ظلت العلاقات السياسية قائمة بين طرابلس وجنوب الصحراء في فترة سيطرة الدولة العثمانية على طرابلس حيث حرصت هذه الدولة على إقامة العلاقات الحسنة

([1])E Levi- provencal "Ahmed Baba" in Encyelopedie de Islam, nou- Velle edition, t.t, p.288 .
([2])Maichel, Abitbol, Tombouctou et Les Arma, P214 Maisonneuve, Paris 1980 .
([3]) إبراهيم طرخان: امبراطورية البرنو الإسلامية، المرجع السابق، ص 168 .

مع شعوب جنوب الصحراء وتواصلها فقد بعث والي طرابلس خطاب إلى حاكم زندر الشيخ تنيموني سليمان[1]. وكذلك الشيخ هاشم عمر الكانمي، حاكم برنو بدعوتهما إلى استمرار المراسلات والمخابرات بينهما كما أن السلطان العثماني أرسل هدية إلى سلطان برنو بواسطة واليه على رضا باشا الجزائري وكذلك حاكم إقليم فزان كان كثيراً ما يرسل من حين إلى أخر سفراء إلى ملك برنو[2]. لقد نتج عن هذا الاتصال والتواصل بين ولاية طرابلس وجنوب الصحراء ارتحال أو هجرة وتنقل العديد من الأفارقة من الجنوب إلى طرابلس والشمال الأفريقي حيث احتضنت هذه المدينة وغيرها من المدن الأخرى اقليات أفريقية تعيش بينها وأصبحوا مع مرور الوقت جزءاً من سكان المنطقة وتاثروا بالجوانب الثقافية والتاريخية.

ويبدو أن أغلبهم قد جاء في إطار تجارة القوافل فمدينة تاورغاء كانت بمثابة محطة تجارية لسوق الرقيق في الساحل الشمالي والمتجهين الى اوروبا غير انه بعد إلغاء تجارة الرقيق في القرن التاسع عشر الميلادي ظل أغلب سكان هذه المدينة إلى يومنا هذا من ذوي البشرة السوداء القادمين من وراء الصحراء .

ولكن مع مرور الوقت أصبحوا من ضمن الأسر الليبية أثروا وتأثروا بهم من مناطق الشمال الأفريقي . كما وفد هؤلاء الأفارقة كجنود للعمل في جيوش الحكومات التي قامت في الشمال الأفريقي كجيش أحمد المنصور السعدي في المغرب في القرن السادس عشر أو جيش محمد علي بمصر في القرن التاسع عشر الميلادي، بالرغم من أن الوثائق لم تسجل وجود هجرات جماعية من مناطق الجنوب الأفريقي نحو الشمال الأفريقي بهدف الاستقرار ولكن رحلات الحج والرحلات[3] العلمية وفود التجارة لم تنقطع وبعض العلماء والطلاب والتجار منهم من طاب لهم المقام في

(1) وثائق تاريخ ليبيا: الوثائق العثمانية 1881- 1911م، ترتيب ومراجعة وجمع أحمد صدقي الرجاني، جمع وترجمة عبد السلام أدهم، بنغازي، 1974م، ص 50 .
(2)إيثوري روسي: ليبيا منذ الفتح حتى 1911م، المرجع السابق، ص 404 .
(3) حبيب وداعة الحسناوي: الهجرة الأفريقية بين الماضي والحاضر، مجلة الجديد للعلوم الإنسانية، مركز القومي للبحوث والدراسات العلمية، العدد الرابع، 1994م، ص 46 .

منطقة طرابلس والشمال الأفريقي ككل حيث استقروا هنالك وشكلوا أسراً، واصبحت قبائل وتفاوت عددها وتأثيرها من منطقة إلى أخرى[1] .

(1) المرجع نفسه، ص 46 .

الفصل الثالث

أثر التجارة على الحياة الاجتماعية بين طرابلس وجنوب الصحراء

العادات والتقاليد والفنون الشعبية .

أ) نظام الأسرة ووضع المرأة .

ب) الزي وتقاليده .

ج) الطعام والشراب .

د) الفن المعماري .

أثر التجارة على الحياة الاجتماعية بين طرابلس وجنوب الصحراء

إن تقوية الروابط الاجتماعية والتغير الاجتماعي عملية قائمة ومستمرة ما وجدت الحياة الإنسانية، وأنها مرتبطة بروابط داخلية وخارجية تؤثر سلباً وإيجاباً. لقد كان لتجارة القوافل الصحراوية دور كبير في تأكيد الروابط الاجتماعية والعرقية بين مناطق الشمال الأفريقي والممالك السودانية جنوب الصحراء. إذا ساعد ظهور الإسلام وإنتشاره على إعادة صياغة الحياة الاجتماعية في بلاد السودان الغربي والأوسط خلال فترة موضوع الدراسة ونتيجة للاتصال والتواصل مع البربر والعرب المسلمين أصبح لأهالي تلك البلاد وسائل وأدوات التغيير والتعمير، فأقاموا الممالك وأنشأوا المدن التجارية وبرزت المراكز الثقافية فانعكس ذلك على العادات والتقاليد والفنون الشعبية ونظام الأسرة ووضع المرأة والزي وتقاليده والطعام والشراب والفن المعماري.

1. العادات والتقاليد والفنون الشعبية :

لا شك أن للحركة التجارية الدؤوبة بين مناطق الشمال والجنوب فضلاً في وصول الإسلام إلى بلاد السودان أدى إلى حدوث امتزاج بين العادات والتقاليد العربية الإسلامية الوافدة من بلاد العرب وبين التقاليد السودانية، وهذا ما أشارت له المصادر التاريخية. ولعل من العادات التي ذكرها ابن بطوطة، على تدينهم وتمسكهم بالأخلاق الإسلامية . "أنهم لا يتعرضون القوافل في رمضان، وإذا وجد اللصوص متاعاً في الطريق في رمضان أيضاً، تركوه"[1].

([1]) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، المصدر السابق، ص452.

ومن العادات أيضاً، قلة الظلم، وفي هذا الصدد يقول ابن بطوطة: "فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم سارقاً وغاصباً وكذلك عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيض حتى يصل مستحقه[1]. ومن العادات التي حافظ عليها أهالي بلاد السودان مواظبتهم على الصلاة . لقد ذكر ابن بطوطة: "ومنها مواظبتهم على الصلوات وملازمتهم لها في الجماعات، وضربهم لأولادهم عليها وإن كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد اين يصلي لكثرة الزحام"[2].

ومن العادات ضرب الدف (الطبول) وهي عادة لا يفضلها الإسلام غير أن أهالي السودان لم يستطيعوا التخلص منها رغم قبولهم الأساليب الإسلامية الأمر الذي دفعهم إلى إدخالها في حلقات الذكر التي كانت تمارسها الحركات الصوفية، ومن أشهرها الطريقة القادرية. كذلك من المؤثرات العربية الإسلامية في سلوك أهالي بلاد السودان (الشرقي والأوسط الغربي) هي حسن العشرة وتقديم غيرهم على أنفسهم[3]، كما اتصفوا بإكرام الغرباء، فقد أكرم السلطان سليمان ابن بطوطة بالعطايا وخصه الدوغا([*])، برعاية وقدره وأكرمه[4].

وبظهور العديد من المؤثرات العربية الإسلامية في بلاد السودان أدى إلى اختفاء الكثير من العادات الوثنية والسيئة مثل تقديم القرابين البشرية ووأد الأطفال وأصبح الناس الذين كانوا عراه تماماً ولا يغتسلون أصبحوا يختارون

([1]) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص450.
([2]) نفس المصدر، ص450.
([3]) التمبكتي : مخطوطة، أهمية التاريخ، رقم 430 التمبكتو مركز أحمد باب ورقة 5.
([*]) الدوغا : معناها للمترجم : ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، المصدر السابق، ص444.
[4] امطير سعد غيث : التاثير العربي الاسلامي في بلاد السودان الغربي ، فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلادي ، المرجع السابق ، ص392 – 393.

ملابسهم من أجل الصلاة ويغتسلون يومياً لأن الدين الإسلامي يأمر بذلك كما تخلى الكثير منهم عن شرب الخمر[5].

أما عن الفنون الشعبية فالموسيقى والغناء والرقص وشتى صنوف الطرب هي من الفنون التي بلغ فيها أهالي بلاد السودان الغربي خاصة في مملكتي مالي وسنغاي الإسلاميتين درجة من الحذق والمهارة فقد وصفهم القلقشندي عندما قال "بأنهم بارعون في الغناء والرقص والموسيقى"[1]، كما يقضي أهالي السودان الأوسط ليلة، الأعياد والمواسم الدينية يستمعون إلى الغناء والرقص على دقات الطبول في مختلف أنحاء المناطق[2]، بما كان متعارفاً عليها عند أهالي المدن الليبية في الشمال الأفريقي.

أ) نظام الأسرة وضع المرأة :

إن الزواج هو النواة الأولى لتكوين الأسرة فكان قبل انتشار الإسلام محصوراً داخل العشيرة الواحدة وذلك لأجل الحفاظ على تماسكهم وقد كان الابن عندهم ينتمي لأمه لا لأبيه. وأصبحت الوراثة من جهة الأم وقد ذكر ابن بطوطة حيث قال: "ولا ينتسب أحدهم إلى أبيه بل ينتسب لخاله لا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه،..."[3] وبوصول المؤثرات العربية الإسلامية بلاد السودان الغربي والأوسط دخل أهالي تلك البلاد الإسلام وتركوا أسماءهم القديمة وسموا بأسماء إسلامية وأصبح الفرد ينسب إلى أبيه. فقد أخذ الكثير من الحكام والسلاطين ببلاد السودان يدّعون نسبهم إلى العرب وذلك لتعزيز مكانتهم بين أقوامهم ولعل من التأثيرات العربية الإسلامية الواضحة في بلاد السودان الغربي والأوسط نظم الحياة الزوجية التي كان

---

(5) نعيم قداح : أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، المرجع السابق، ص449.

(1) القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص224،223.
(2) عبدالرحمن السعدي : تاريخ السودان، المصدر السابق، ص132،131.
(3) امطير سعد غيث : الناشر العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي، فيما بين القرنيين الرابع عشر السادس عشر، دراسة مقدمة لنيل الماجستير، رسالة غير منشورة جامعة طرابلس، طرابلس، 1994، ص394.

يسودها التوتر والانحلال وعدم الارتباط بضوابط رسمية، وهذا مما أدى إلى ضعف الروابط الأسرية غير أنه بتغلغل الإسلام في بلاد السودان تأثرت تأثيراً واضحاً في ترسيخ ضوابط الشرع في مجال الزواج ونظام وعدد الزوجات[1]. أما عن المرأة في بلاد السودان قد وصلت بفضل الإسلام إلى مكانة مرموقة بعد أن كانت لا قيمة لها حيث تباع وتشتري في الأسواق وبالإسلام أصبح لها أسرة[2]. فكانت تقضى أغلب أوقاتها في البيت تطحن الدقيق وتصنع الطعام وتهتم بتربية الأولاد وتحيك الصوف والقطن وتجلب الماء من الآبار وتجلب الوقود وذلك بجلب الحطب من الغابة وفي القرى تعمل النسوة مع أزواجهن في الحقول. وتصنع المرأة الغذاء وتحمله إلى زوجها في الحقل بل هناك منهن من يقمن بالأعمال التجارية ويلاحظ أن الأعمال التي تقوم بها المرأة السودانية تتشابه إلى حدما مع ما تقوم به المرأة الليبية وخاصة المرأة الريفية[3]. وفي هذا المنحنى لازال في فزان حتى الوقت الراهن الكثير من الأسر الفزانية من ذوي أصول من السودان الغربي والسودان الأوسط مرتبطه جدورهم ببرنو وكانم (برناوي – كانمي) – إضافة إلى بعض الأخر من ذوي جذور دافورية – زغاوة – فور – مساليت – فإذا كان البعض يعتز بجذوره تلك فإن البعض الأخر يتنكر لجذوره – وإن كان كبار السن منهم مازال يتذكر ذلك جيداً بكل تفاصيله . وعليه فإن ملامحهم وقسماتهم لاتزال شاهقة رغم مرور عدة أجيال لذلك[4] .

لقد حدث كثير من الاختلاط والتصاهر بين مناطق الشمال وخاصة طرابلس وفزان وجنوب الصحراء ومن الأدلة على ذلك أن بعض الحكام في

([1]) امطير سعد غيث : المرجع السابق ، ص216.
([2]) أ.م كاني : مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال أفريقيا وسط السودان، مجلة البحوث التاريخية العدد الأول، 1981م، ص25.
([3]) فضل كلود الدكو : الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطوريةالكانم، المرجع السابق، ص230.
(4) الحافظ عبد الكريم سليمان : الدور السياسي والحضاري لفزان في القرن الثامن الهجري وأثره على دول الجوار ، المرجع السابق، ص 223 ، 224 .

الشمال كانت نساءهم من الزنجيات، هذا فضلاً عن المواطنين أنفسهم فمثلاً كان يوسف باشا القرمانلي والي طرابلس الغرب متزوجاً من مريومة البيضاء ومن ثلاث أخريات كن إماء قبل الزواج وحررهن بل أن أحداهن وهي زهيرة السوداء كانت تتمتع بشخصية قوية وغير عادية كما جاء في تقرير أحد الأوربيات كانت قد زارتها عام 1246 هـ/ 1830م [1]. وكذلك تزوج أحمد بن أبي الضياف المؤرخ التونسي من زنجية وهذا ما يؤكد على عدم وجود حائل اختلاف بين أهالي الشمال الأفريقي وجنوب الصحراء على الإطلاق.

من جانب آخر تزوج الشيخ محمد الأمين الكانمي أصيل فزان والذي عرف برحلاته العديدة إلى بلاد السودان الأوسط من أحدى بنات أمراء برنو [2]. كما تزوج الماي أحمد أمير برنو من السيدة زيلة الطرابلسية. وتشير الكتابات أن ملوك برنو كانوا يتزوجون بناتهم من الجاليات العربية المقيمة ببلادهم [3].

ب) الزي وتقاليده :

يعد الزي وتقاليده في بلاد السودان الغربي الأوسط من التأثيرات الإجتماعية التي نتجت من خلال انتشار الإسلام والعادات والتقاليد العربية ومظاهره . لقد وصف العمري زي أهالي بلاد السودان الغربي حيث قال"...لباسهم عمايم يحبك مثل العرب وقماشهم بياض من ثياب قطني يزرع عندهم وينسج بالرقة واللطف يسمى الكمبصيا شبيه بزي المغاربة جبات ودرايع بلا تفريج ويلبس أبطالهم الفرسان آساور من ذهب"[4].

أما في السودان الأوسط، يتضح ذلك الأثر بوضوح لدى الأسرة الحاكمة . فقد نجد سلاطين كانم وبرنو يحرصون على ارتداء الأثواب العربية ومنها الزي الليبي والتونسي وقد ذكر الحسن الوزان عند زيارته

---

(1) مصطفى عبدالله بعيو : دراسات في التاريخ اللوبي : المرجع السابق، ج3، ص122،121.
(2)عبدالجليل التميمي : الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا وسط وغرب أفريقيا خلال العصر الحديث، المرجع السابق، ص15.
(3) نفس المرجع، ص15.
(4) ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار في ممالك الأمصار ، المصدر السابق، ص39.
- القلقشندي : صبح الأعشي، ج5، المصدر السابق، ص299، أما لفظ الكمبيصا الوارد في النص فيبدو أنه محرف من لفظ القميص العربي، الشيخ الله، المرجع السابق، ص62.

لمناطق السودان الغربي والأوسط خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي بأنهم "يرتدون أحسن الثياب ويلثمون بلثام كبير من قطن أسود وأزرق وأن الأئمة والقضاء يتلثمون باللثام الأبيض[1]. ومن مظاهر تشبههم بالعرب المسلمين ارتداؤهم للملابس البيضاء وخاصة في المناسبات الدينية كعيد الأضحى والفطر وأثناء خروجهم لصلاة الجمعة حيث ذكر ابن بطوطة عندما قال: "ومن لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق[*] غسله ونظفه وشهد الجمعة"[2]. ولا يزال أهالي السودان الغربي والأوسط إلى يومنا هذا يحرصون على ارتداء الثياب البيضاء عند أدائهم للشعائر الدينية كما وصل التأثير بالأزياء السودانية في العديد من المراكز التجارية الليبية على أطراف الصحراء وخاصة مدينة زويلة وتراغن اللتان كانتا عاصمتين للكانميين والزغاويين خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، فقد أشار هورنمان بقوله "إن أسرة الشريف كانت تلبس الملابس الطرابلسية وعليها القميص السوداني الأنيق"[3].

أما النساء في السودان الغربي فإن زيهن يشبه إلى حد كبير زي مدينة غدامس الليبية حيث كانت المرأة هنالك ترتدي العمامة الكبيرة التي تشبه عمائم الرجال، ففي عهد الاسيكا محمد كانت نساء تمبكتو غاية في الاحتشام والوقار والابتعاد عن التبرج واتباع مبادئ الشريعة الإسلامية في الزي والاختلاط وأمر النساء بلبس الحجاب وضع اللثام لغطاء وجوههن[4]. باستثناء بعض الجواري اللاتي يبعن الأكل في الشوارع[5]. كما عرفت نساء تلك المناطق لبس الأقراط في الأذن والأساور والحلي فوق الشعر وفي الأنف والخلاخيل في الأرجل[6].

([1]) حسن الوزان : وصف أفريقيا، المصدر السابق ص163.

([*]) خلق : يقصد به الجلابية او السورية من القماش التي تستخدم في فترة الدراسة . الحافظ عبد الكريم سليمان، مرجع سابق، ص180

([2]) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص303.

([3]) فريدريك هورنمان : رحلتان عبر ليبيا، المصدر السابق، ص126.

([4]) عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان، المصدر السابق، ص85.

([5]) أحمد فتوح عابدين : الحواضر الإسلامية في غرب أفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، تاريخها السياسي والحضاري والاقتصادي، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1999م ، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص160.

([6]) المرجع نفسه ، ص160.

أمـا فـي السـودان الأوسـط فكانـت النسـاء لباسـهن مـن القمـيص الواسـع وتلـف المرأة حـول جسـمها قطعـة قمـاش تشـبه الملاحـف التـي تلبسـها النسـاء فـي العديـد مـن المـدن الليبيـة وخاصـة فـزان. تـزين غالبيـة النسـاء فـي بـلاد السـودان الأوسـط بـالخرز والـودع وبعـض القطـع الزجاجيـة التـي تصـنع منهـا العقـود وتلـبس حـول الرقبـة أو أقـراط تعلـق فـي الأذن. كمـا اقتـبس أهـالي كـانم وبرنـو لـبس الشاشـية (الطاقيـة) الحمـراء والفرملـة[*] مـن القبائـل الليبيـة خاصـة يـوم الجمعة[1].

ج) الطعام والشراب :

تـأثرت بـلاد السـودان الغربـي والأوسـط، بمنـاطق الشـمال الأفريقـي فيمـا يتعلـق بالعـادات الغذائيـة حيـث صـدّرت منـاطق الشـمال إلـى جنـوب الصـحراء العديـد مـن المعـارف المتعلقـة بزراعـة المحاصـيل كـالقمح والتمـر وبعـض الفواكـه ومعرفــة العديــد مــن الأطعمــة الســائدة فــي طــرابلس والشــمال الافريقــي كالكسكســي[*][1] والعصــيدة والأرز واللوبيــا وغيرهــا مــن المــأكولات[2]المعروفــة عنـد أهـالي الشـمال . ومعرفـة تنـاول إفطـارهم المكـون مـن الحليـب والعسـل والزبـدة وشـرب الشـاي بالنعنـاع [3] . فـي الوقـت الـذي نقلـت العديـد مـن المـأكولات السـودانية عبـر فـزان إلـى منـاطق الشـمال مـن الأرض الليبيـة ولا يـزال العديـد مـن المـدن لهـا مـأكولات سـودانية مثـل عصـيدة الـدخن والويكـة والسـحلب المصـنوع مـن الـدخن . وكـذلك اسـتخدام الكـول فـي مـاكولاتهم خاصـة الـذين كـانوا فـي بـلاد السـودان الأوسـط والشـرقي إضـافة إلـى عصـير الأبـري والحلوة الزرقة (الحلو مر) التي يعرفها بعض أهل فزان في رمضان.

الفن المعماري:

---

[*] الفرملة : هي نوع من الملابس التى يرتديها الرجال والنساء وقد اهتم الليبيون في طرابلس بصناعة هذه الملبوسات وتطريزها بخيط ذهبية اللون او فضية او حريرية . انتونى ج . كاكيا . ليبيا خلال العهد العثماني الثاني ، المرجع السابق ص152 .

(1) سعد الحنديري : العلاقات الليبية التشادية، المرجع السابق، ص51،49.

[*][1] الكسكسي : يمثل الكسكسي احد الوجبات الشعبية المعروفة ويستعمل دقيق القمح في اعداده ويصنع من حبات صغيرة بواسطة راحة اليد في إناء مخصوص ، وبعد طهيه بخار الماء على ان يقلب عدة مرات ويصبح جاهز للاكل بعد أن يضاف اليه حساء من اللحم أو قليل من الزبدة والشحم في حالة انعدام ذلك . يمكن تناوله بحساء الطماطم والبصل والفلفل الاحمر الذي يجعل من الوجبه اكله شهية . حسن وزان : وصف افريقيا ، المصدر السابق ، ص40 -41 .

(2) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 395

(3) أحمد فتوح عابدين : الحواضر الإسلامية في غرب افريقية ،المرجع السابق، ص 161- 163

لقد تأثرت بلاد السودان الغربي والأوسط بالفن المعماري لمناطق الشمال وخاصة البناء الليبي فكانت بيوتهم على الطراز الغدامسي أو الغاتي أو المرزقاوي أي أن البيت يكون من طابق واحد ويدخل إليه عبر السقيفة تؤدي إلى فناء مربع تطل عليه أبواب تؤدي إلى الحجرات والمخزن أما الجدران فتعلوها تزينات على شكل مثلثات أو اسنان [1] وإلى يومنا هذا مازال ذلك التأثير قائماً خاصة بين فزان ومناطق جنوب الصحراء حيث يلاحظ المتنقل بين هذه المناطق لا يوجد خلاف بينهما في التصميم العمراني.

يبدو أن طرابلس والمدن الليبية لها علاقاتها الاجتماعية القديمة مع مناطق جنوب الصحراء حيث تعد المراكز والمحطات التجارية من أكثر الأماكن التي يظهر فيها الترابط والتواصل بين عرب الشمال الأفريقي وخاصة الليبيين وبلاد السودان جنوب الصحراء.

فقد كانت لتجارة القوافل الصحراوية إلى جانب إثرائها للبلاد فإنها أدت دوراً هاماً في تكوين السكان الذي وصل أثره إلى معظم البلدان الأفريقية[2]. مما نتج عنه تداخل أجتماعي ويظهر ذلك في العديد من مدن الساحل[3]. ففي ولاية طرابلس تشير كتابات الرحالة الأجانب أن الزنوج الوافدين من مناطق جنوب الصحراء أسسوا قرى خاصة بهم على الطراز الأفريقي، وتضم هذه القرى ثلاثمائة إلى أربعمائة كوخ . وكان من عادةً سكانها أنهم يشربون البوضا[*] المسكرة، ومن عادة النساء أنهن يحملن أطفالهن على ظهورهن وهي عادة أفريقية[4]. وهم يعيشون حياة سعيدة في طرابلس بل أنهم أشد أهل طرابلس سعادة وفرحاً فهم دائماً يغنون ويرقصون أغلب الوقت وكذلك تواجد هؤلاء الأفارقة أكثر في تاورغا وفي إقليم فزان

([1]) أحمد فتوح عابدين : الحواضر الإسلامية في غرب افريقية، المرجع نفسه، ص163.
([2]) سعد الحنديري : العلاقات الليبية التشادية، المرجع السابق، ص51،49.
([3]) جوتييه : الصحراء ترجمة أحمد كمال يونس، دار الثقافة العامة بمصر 1957م، ص16.
([*]) البوضا : هي عبارة عن سائل ابيض يوخد من جدع النخل حيث يسحب بواسطة خرطوم (قناة) ويتم تجميع هذا السائل تم يترك حتى يتخمر ويشرب بارد ولايزال اهل فزان يعرفون هذا الشراب ويسمى اللاقبي . وعندما كنا في فترة الدراسة الجامعية في مدينة سبها كان طلاب الواحات دائما ياتون بهذا الشراب لبعضهم .
([4]) أحمد صدقي الدجاني : ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي، ط1، (د.ت) ص25.

حتـى أن سـكان فـزان فـي الوقـت الحـالي هـم أقـرب إلـى الجـنس الأسـود، ويظهـر الأثـر الأفريقـي واضـحاً وجليـاً فـي فـزان والمنـاطق المجـاورة لهـا كمـا يظهـر التـأثير عنـدهم يغنـون ويرقصـون مـع الموسـيقى الأفريقيـة إلـى جانـب التـداوي بالأعشاب وعمل التمائم(1).

ومـن التـأثيرات الاجتماعيـة الأخـرى فـي بـلاد السـودان مسـاهمة العديـد مـن الفرسـان العـرب وخاصـة الليبيـين الـذين قـدموا إلـى بـلاد كـانم وبرنـو خـلال القـرن السـابع والثـامن الهجـري / الثالـث عشـر والرابـع عشـر المـيلادي فـي العمليـات العسـكرية وذلـك لمعـرفتهم الجيـدة بركـوب الخيـل، ولقـد اشـتغل هـؤلاء بصـناعة الحديـد كمـا نقلـوا معهـم صـناعة الأسـلحة والبـارود إلـى بـلاد السـودان الأوسـط، والـذي اسـتخدم فـي الحـروب والصـيد كمـا أدخـل هـؤلاء العـرب العديـد من الصناعات الأخرى جلدية وأغطية الرأس والملابس والأواني(2).

(1) أ.م كاني : مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال أفريقيا ووسط السودان مجلة البحوث التاريخية العدد 1، 1981م، ص25.
(2) أحمد سعيد الفيتوري : الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان مركز البحوث التاريخية، مركز الجهاد الليبيين، 1981م، ص85.

الفصـــل الرابـــع

أثـر التجارة على انتشـار الإسلام والثقافة العربية بين طرابلس وجنـوب الصحــراء

- الدعاة والمعلمون والأئمة.
- التجـــارة .
- الهجرات العربية .
- قوافل الحج .
- إنتشار اللغة العربية في بلاد السودان .

اثر التجارة على انتشار الإسلام والثقافة العربية بين طرابلس وجنوب الصحراء

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن وصول الإسلام إلى بلاد السودان كان عن طريق العملية التجارية[1].

حيث وصل وانتشر الإسلام في بعض الممالك السودانية التي تقع جنوب الصحراء. وقد اقترن ذلك بالحركة التجارية المتبادلة مع بلاد السودان، فضلاً عن هجرات بعض القبائل العربية إلى هذه المناطق في فترات متفاوتة[2] على الرغم من أن الفتوحات الإسلامية لمنطقة بلاد المغرب قد عرفت منذ انطلاقها اهتماماً واضحاً بالمناطق الداخلية الصحراوية من ناحيتين هما:

الناحية الشرقية: بعد أن أتم عقبة بن نافع فتوحاته لواحات فزان عام 46هـ/665م بجنوب ليبيا[3]، اتجه جنوباً حتى وصل إقليم كاوار ففتح عاصمتها خوار أو خاوار[4] وبذلك صار على مشارف الشمالية لما سمي ببلاد السودان الأوسط.

أما الناحية الغربية فقد قاد حملة في ولايته الثانية جنوب الأجزاء الغربية من بلاد السودان ووصلت إلى بلاد السوس بالمغرب الأقصى حتى بلاد السودان الغربي وجاوزتها، ولقد وصفها ابن عبد الحكم بقوله: (وغزا به معه إلى السوس[5] فجول في بلادهم ولا يعرض له إحد ولا يقاتله).

كما ذكر ابن عذارى أنه (نزل من درعه بلاد صنهاجه)[6] كما أشار ابن خلدون عندما قال: (أجاز إلى بلاد السوس القتال من بها صنهاجة أهل اللثام وهم

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية: م12، ترجمة محمد ثابت وآخرين، المرجع السابق، ص337.
(2) عثمان محمد فودى: تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان، مخطوط، مخطوط مكتبة الشيخ محمد علي كوماس، كانو، ورقة 8.
(3) ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، المصدر السابق، ص194.
(4) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، المصدر السابق، ص58.
(5) ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، المصدر السابق، ص198.
(6) ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، المصدر السابق، ص27.

يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية فاتخن فيهم- وقاتل[1] مسوفة من وراء الوسوس وتسبى منهم وقفل راجعاً).

يتضح مما سبق أن الصلات العربية الإسلامية بهذه المناطق قد بدأت بعد الفتح وظل الإسلام والثقافة العربية ينتشران بين سكان تلك الجهات وأسلمت كثير من القبائل الملثمين الضاربيين في مناطق ماوراء الصحراء الذين لهم صله ببلاد السودان. كما تتجه بعض الآراء التاريخية إلى أن عقبة بن نافع أوغل في بلاد السودان وفتح التكرور وغانة[2] . واستمرت الفتوحات الإسلامية في بلاد السودان حتى بعد استشهاد عقبة بن نافع 63هـ، 683 م. ولعل من أشهر هؤلاء القادة الذين أرسلوا العديد من حملات الفتح بتلك الديار[3] ونشر الإسلام فيها كحملة موسى بن نصير 86هـ، 705م وحبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع عام 91هـ/735م، وكذلك حملة عبدالرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع (137هـ/775م[4]). والذي قام في جانب نشر الإسلام لحفر العديد من الآبار على الطريق العابر للصحراء فقد ذكر البكري هذه الآبار حيث قال(إنها أقيمت على الطريق الموصل بين المغرب والأقصى وأدوغست)[5] ذات أهمية في التواصل مع بلاد السودان الغربي.

لقد عرفت الممالك السودانية جنوب الصحراء الإسلام سواء كان في القرن الأول أو الخامس الهجريين السابع والحادي عشر الميلاديين.

إن المتتبع لمسار انتشار الإسلام في تلك الممالك هناك سؤال يطرح نفسه لماذا انتشر الإسلام في فترة قصيرة من الشمال الأفريقي بينما تعثر انتشاره ما وراء

---

(1) ابن خلدون العبر: ج6، المصدر السابق/ 217.
(2) البكري: في ذكر بلاد المغرب وأفريقيا، المصدر السابق، ص179.
(3) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، المصدر السابق، ص43.
(4) ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، المصدر السابق، ص217. ابن خلدون: العبر، ج6، المصدر السابق،ص404.
(5) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقياوالمغرب ، المصدر السابق، ص156.

الصحراء؟ وما هي الوسائل التي ساعدت في انتشار الإسلام والثقافة العربية في تلك الممالك السودانية؟

وللإجابة عن هذا السؤال لعل من الأسباب التي جعلت تأثير انتشار الإسلام في تلك الممالك السودانية القديمة غير قوي حيث أنها أصبحت في مأمن من التغيرات السياسية الجارية في الشمال الأفريقي والمغرب، الأمر الذي جعل الإسلام ينتشر ببطئ فيها كما ساهمت عدة وسائل في نشر الإسلام والثقافة في السودان الأوسط والغربي منذ ظهور الإسلام في القرن الأول الهجري السابع الميلادي، مما زاد في توطيد علاقة العرب بالأفارقة أكثر من ذي قبل. لا شك أن العرب الذين واصلوا زحفهم على شكل هجرات متتالية حملوا معهم إلى جانب تجارتهم ديناً وعقيدة [1]. قد منح هذا التواصل معنى حضارياً وانسانياً أكثر من ذي قبل وقد انتشر الإسلام في البلاد في وقت مبكر [2]. كما عرف سابقاً وقد شكل دخوله إلى هذه المناطق حجر الأساس في توثيق وتطوير الروابط القائمة بين العرب وشعوب جنوب الصحراء.

أصبحت طرابلس والمدن والواحات الداخلية كجادو بجبل نفوسة وغدامس وزويلة وجرمة والتي شهدت وصول الإسلام إليها مبكراً صارت مراكز حيوية ذات أهمية ودور ليس في نشر الإسلام في مناطق جنوب الصحراء بل قيام ممالك إفريقية إسلامية مثل كانم وبرنو ووادای وتنمبكتو وجاو وغانا وكانو......إلخ[3].

أما عن الوسائل التي ساعدت في انتشار الإسلام واللغة والثقافة العربية كانت تتمثل في الدعاة والمعلمين والأئمة والتجار والهجرات العربية الإسلامية وقوافل الحج التي كثيراً ما رافقت حركة القوافل التجارية بين مناطق الشمال الأفريقي وجنوب

(1) المسعودي: أبو عبدالله: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المصدر السابق، ص339.
(2) المصدر نفسه:339.
(3) محمد المبروك يونس: دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الأفريقية، المرجع السابق، ص49.

الصحراء حيث تعتبر فزان والواحات الداخلية معبر لتلك القوافل المارة بين تلك المناطق[1].

الدعاة والمعلمون والأئمة:-

قام الدعاة والمعلمون والأئمة بدور هام في نشر الإسلام والثقافة العربية، ذلك منذ الفتح الإسلامي إلى الشمال الأفريقي، وقد سار هؤلاء الدعاة على نفس الدروب التي عبرتها سنابك خيول جيوش الفتح، حتى تجاوزتها جنوباً.

تشير المصادر التاريخية إلى توغل الدعاة في بلاد السودان الغربي عندما وصف البكري مملكة غانا(..فيها فقهاء وحملة علم)[2] يبدو أن هؤلاء الدعاة كانوا يقومون بنشر تعاليم الإسلام ومبادئ الإخاء والمساواة ومحاربة الطبقية وقد كان لهؤلاء الدعاة مكانة مرموقة بين حكام وسلاطين كما تولوا العديد من المناصب القضائه في تلك المجتمعات[3].

ولعل الأدلة على ذلك أن آل كعت[*] الذين خرج منهم القاضي محمود كعت مؤلف تاريخ الفتاش قد وصل إلى وظيفة المستشار الخاص للأسكيا محمد. كما تولى من بعده أفراد عائلته العديد من المناصب القيادية في سنغى[4] وكذلك الفقيه موسى الأموي حظي بمنصب المستشار الخاص للأسكيا محمد الكبير[5]. ويظهر أن هؤلاء الدعاة مارسوا دورهم الثقافي بتفاني وجد وذلك نتيجه التشجيع والمكافآت المجزية من قبل الأثرياء والحكام كما أن هؤلاء الدعاة استمر دورهم كمعلمين ووعاظ وانتشرت مراكز التعليم وقد ذكر حسن الوزان خلال زيارته لبعض مدن السودان

([1]) في الوقت الذي لا يمكن أن نتجاهل الدور المهم الذي قامت به مناطق شرق القارة وشمالها أثر نشر الإسلام إلى مناطق غرب أفريقيا ووسطها- حسين مؤمن: فزان ودورها في انتشار الإسلام في أفريقيا، المرجع السابق، ص87.

([2]) البكرى: المسالك والممالك، المصدر السابق، ص175.

([3]) توماس أرنولد: الدعوة الإسلامية، المرجع السابق، ص211-121.

([*]) آل كعت : هذه الاسرة منها محمود كعت التمبكتي كان عالما فقيها اديباً قاضياً عادلاً زاهداً ورعاً من أشهر علماء تمبكت الاجلاء وهو مؤرخ عاش في عهد (اسيكا محمد الكبير) وشارك في السياسة وادي فريضة الحج مع (الحاج اسيكا محمد) سنة 902 هـ / 1497 م وله كتاب عرف بتاريخ الفتاشى في اخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وهذا الكتاب يؤرخ لمنطقة السودان الغربي . ولم يقتصر عمل محمود كعت على التاليف ، بل اشتغل بمهنة التدريس في تمبكتو ، فقام بتدريس العلوم الفقهيه والدينية . محمود كعت : تاريخ الفتاش ، المصدر السابق ، ص16-54 .

([4]) أحمد فؤاد يلبع: عبدالرحمن السعدي، عصره وكتابة، المجلة التاريخية، القاهرة، 1973م، ص99.

([5]) عبدالرحمن السعدي: تاريخ السودان، المصدر السابق، ص68.

الغربي مثل تمبكتو، وجنى، حيث قال: (....ولهم مساجد كثيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد)[1] كما تحدث عن مكانه هؤلاء العلماء بقوله: (...يدفع الملك إليهم جميعاً مرتباً حسناً ويعظم الأدباء كثيراً)[2]، كما سافر كثير من العلماء من طرابلس وفزان للسودان الغربي واستقروا فيها من خلال التبادل والتعاون العلمي والديني والثقافي والذي كان له بالغ الأثر على تلك المجتمعات ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال سنى عون الهادي[3] والوداني الذي تولى إمامه مسجد سنكرى ومن ثم منصب قاضي وكذلك عبدالله الغرياني[4] وبركان بن محمد ابن عبدالرحمن الطرابلسي[5] والطيب بن أبي بكر الغدامس[6] وغيرهم.

أما عن وصول الدعاة والعلماء إلى كانم برنو في السودان الأوسط، سبق وأن عرف أن الإسلام إنتقل إلى كانم بحكم اتصالها بفزان منذ فترة مبكرة على يد عقبة بن نافع عام 46هـ/665م، وقد ازداد انتشار الإسلام نتيجة جهود دولة ابن الخطاب التي حكمت فزان منذ عام306 هـ / 918م واتخذت من زويلة عاصمة لها وبالتالي أصبحت هذه المدينة المركز التجاري الأكثر أهمية في المنطقة آنذاك، بالإضافة إلى قدوم العديد من الجماعات الإسلامية المهاجرة والفرار من بطش العباسيين فقد استقروا في فزان وساهموا في نشر الإسلام في السودان الأوسط[7]. وعلى الرغم اعتناق كانم الإسلام إلا أنها لم يصبح دين الدولة الرسمي إلا في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حيث اندفع خلال هذه الفترة كثير من العلماء والدعاة لنشر الإسلام وترسيخه في السودان الأوسط . ومن أمثال هؤلاء الشيخ

---

(1) حسن الوزان: وصف أفريقيا، المصدر السابق، ص164.
(2) نفس المصدر، ص167.
(3) أحمد بابيرالأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكت البهية، دراسة وتحقق الهادي المبروك الوالي، تقديم عبدالحميد عبدالله الهرامة، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2001م، ص132.
(4) أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج لتطريز الديباج، المصدر السابق، ص231.
(5) المصدر نفسه، ص204.
(6) أحمد بابيرالأرواني: السعادة الأبدية، المصدر السابق، ص85.
(7) -Abdullahi smith The early states of the fedtral sudan in the history of West Africa, edited by Ajayiand crowder, vol, 2,2ondn1974,p,174.

المغيلي[*]، والشيخ فتح الله أبوراس القيرواني الذي تتلمذ على يد الشيخ الدوكالي وتعلم على يده الشيخ عبدالسلام الأسمر الفيتوري الذي لا تزال زاويته بمدينة زليطن شرق طرابلس يتقاطر عليها طلاب العلم من مختلف البلدان وخاصة الأفريقية إلى يومنا هذا. [1]

لقد كان للطرق والمسالك التي تربط وتصل طرابلس والواحات الداخلية الليبية مع السودان الأوسط تأثير واضح على شعوب كانم برنو لا سيما عندما نجد خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي . وجود العديد من العلاقات بين الشيوخ والأئمة في ليبيا مع بلاد السودان الأوسط، كالشيخ أحمد الزروق[*)1] في مصراته والشيخ يوسف[*)2] في طرابلس[2] وكان هؤلاء الشيوخ يمنحون الإجازات العلمية في مختلف العلوم الدينية لعديد من شيوخ وأئمة بلاد السودان. ويظهر أن هذه العلاقات ظلت قائمة بين البلدين بهذه الأساليب إلى القرن الثاني عشر الهجري الثامن/ عشر الميلادي[3].

وهكذا أصبح لبعض الشيوخ من العلماء والقضاء مساهمات فعالة في نشر الإسلام واللغة العربية في مناطق السودان الغربي والأوسط حيث أن كثيراً من هؤلاء العلماء تم عن طريقهم نقل الإسلام لتلك الديار وخلال نشرهم لهذا الدين في هذه المناطق لم يستعملوا العنف أو الترهيب أو القوة ولعل السماحة والمرونة التي اتصف بها الدين الإسلامي قد ساهمت في نشره في هذه المناطق وقال تعالى: {ادْعُ إِلى

(*) هو الشيخ محمد عبدالكريم المغيلي القادري: من أعلام القرن التاسع الهجري، تلقى مبادئ علومه في المغرب الأقصى ثم انتقل إلى بلاد السودان وله عدة ملفات دينية وأسهم مساهمة فاعلة في نشر الإسلام في الممالك السودانية وأستقر به المقام في البلاد الهاوسية، وأسرته معروفة في مدينة كانم، قريب الله محمد الناصر الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية، ص38.

(1) أحمد النائب الانصاري : المنهل العذب في تارخ طرابلس الغرب ، المصدر السابق ، ص81-82 .

(*)1 الشيخ أحمد الزروق : هو الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي ، عرف بالزروق ولد يوم الخميس عام 846 هـ/1442 م ، وتوفي في صفر عام 899هـ / 1494 م ببلدة مصراته وله مؤلفات دينية عديدة . أحمد النائب الانصاري : المنهل العذب بتاريخ طرابلس الغرب : المصدر السابق ص 181

(*)2 الشيخ يوسف الجعراني المسلاتي : كان إماماً في علوم القرآن واللسان وله عدة تاليف منها شرح القرطبية ، وشرح الاجرومية التى نظمها تنظيما دقيقا كان حياً سنة 820 هـ /1417 م وهو مدفون ببلدة القصبات إحدى مدن مسلاته المصدر نفسه،ص177-178.

(2) مالم آما: فائدة الأولياء الذين كانوا في وقت واحد، مخطوط، مكتبة الشيخ مالم آما، أغاديس (د.ت) ورقة محمد مخلوف: مواهب الرحيم في مناقب مولانا الشيخ عبدالسلام بن سليم، مكتبة النجاح، طرابلس، ص94-95.

(3) نصر بن محمد الغميس: وثيقة اجازة للشيخ سعد بن أحمد البليلي في كانو من الشيخ نصر بن محمد الغميس بطرابلس، 1318هـ، ورقة1.

سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}[1] وقوله تعالى: {لَآإِكْرَاه ◌َفِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[2].

التجارة:-

لقد كان للتجار والتجارة دور هام في نشر الإسلام والثقافة العربية في مناطق ما وراء الصحراء وذلك لوجود صلات تجارية تربط بين العرب في المشرق وشمال أفريقيا والمغرب وبين شعوب بلاد السودان الغربي والأوسط، كما هو الحال مع غيرها من شعوب شرق القارة الأفريقية ويبدو أنها اتسعت هذه الصلات التجارية منذ توطيد الإسلام في الشمال الأفريقي، عن طريق الحركة التجارية التي ساهمت في نشر الثقافة العربية الإسلامية . يذكر توماس آرنولد حيث قال (إن التجارة والثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا مرتبطان كل الارتباط[3]) يتضح من هذا النص أن للعرب المسلمين صلات مع بلاد ما وراء الصحراء سواء السودان الغربي أو الأوسط، وكان للتجار والحركة التجارية دوراً مميزاً في نقل الثقافة العربية الإسلامية إلى دول الجوار بالرغم من قسوة العوامل الطبيعية. فقد ساهمت الطرق والدروب التجارية والتجار الليبيين بدور متميز في تجارة القوافل التي عرفتها الصحراء الكبرى منذ زمن مبكر عبر إقليم فزان[4]. لا شك أن العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين مناطق الشمال الأفريقي والجنوب عبر فزان اكسبها علاقات ثقافية ودينية، إذا تجلت في مناطق السودان الغربي والأوسط، مظاهر الحضارة العربية الإسلامية مما أعطت دفعة قوية لهذه العلائق لا سيما روح الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة تدعو إلى الألفة والمحبة والمساواة بين كافة الشعوب[5]. لقد ساهم التجار العرب في توطيد العلاقات الطيبة مع أهالي بلاد السودان حيث كان دور التجار العرب لم يقتصر على التجارة

---

(1) القرآن الكريم: سورة النحل الآية: 125.

(2) القرآن الكريم: سورة البقرة الآية: 265.

(3) سير توماس ارنولد: الدعوة الإسلامية، المرجع السابق، ص371، 376.

(4) جون رايت: تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، المرجع السابق، ص87.

(5) المرجع نفسه، ص87.

والمناشط الاقتصادية فحسب، بل قاموا بنشر اللغة العربية وبناء المساجد لتعليم القرآن الكريم، فقد أصبح التجار العرب المسلمون يقومون بمهمة الدعاة المسلمين فإلى جانب نشاطهم التجاري حملوا معهم العقيدة الإسلامية والحضارة العربية وذلك من خلال احتكاكهم واختلاطهم بأهالي تلك البلاد وحدوث التصاهر بينهم[1] فكان التاجر المسلم يجمع بين مزاولة التجارة والدعوة إلى الإسلام، إذ يتحلى بالأخلاق الحميدة والمعاملة الحسنة والصدق في القول وكان إلى جانب عمله يتفرغ في بعض الأوقات لإقامة حلقات الدرس التي ساعدت على نشر الإسلام والثقافة العربية في تلك المناطق[2] الأمر الذي جذب إليهم الناس وجعلهم يدخلون الإسلام.

ويبدو أن دور التجارة في نشر الإسلام والثقافة العربية قد تعاظم خلال الفترة التي تغطيها هذه الدراسة وذلك حينما نالت كثير من المدن الليبية حظاً وافراً ومكانة عالية بإعتبارها معابر ومداخل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب كما أنها أداة وصل وتواصل للتجارة والثقافة الإسلامية هذا ونجد أن مدينة طرابلس وغدامس ارتبطتا تجارياً بمدن السودان الغربي كمدينة تمبكت وجنى واقدز[*] وتادمكة، وكذلك عبر فزان وزويلة ومرزق بكانم وبرنو في السودان الأوسط[3]. خاصة حينما شهدت مناطق جنوب الصحراء قيام سلطة مركزية قوية في العديد من هذه الممالك السودانية التي وفرت الأمن والاطمئنان كما زادت العلاقات الدبلوماسية مع مناطق الشمال الإفريقي كالدولة الحفصية في تونس التي كانت طرابلس والمدن الليبية خاضعة لها. لقد إزدهرت الممالك الإسلامية في كل من مالي وسنغاي وكانم وبرنو وقد بسطوا نفوذهم على معظم الطرق التجارية الوافدة من أقصى الشمال الإفريقي والمتجهة صوب

([1]) يوسف فضل: الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، المرجع السابق، ص39.

([2]) أحمد شبلي: موسوعة تاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص265.

(*) اقدز : بلدة قريبة من السودان تسكنها قبائل صنهاجة البربرية ، تقع شمال دولة النيجر في منطقة أهير ، كانت ملتقى للقوافل التجارية العابرة للصحراء الكبرى والواصلة الى طرابلس وواحاتها ومملكة كانم – برنو مما ادى الى استقرار كثير من التجار بها ، كما انها نقطة انطلاق الكثير من القوافل المحملة بالبضائع اتجاه واحة غات وزويلة ، . محمد سعيد القشاط : صحراء العرب الكبرى ، المرجع السابق ، ص28 .

([3]) ابن خلدون: العبر،ج6، المصدر السابق، ص338.

السودان الغربي والأوسط في الحصول على المنتوجات الأوروبية ومنتوجات المشرق العربي مقابل الذهب والرقيق والعاج .

وهكذا كان للتواصل بين الشمال والجنوب دوراً في نقل الإسلام والثقافة العربية إلى تلك المناطق عن طريق التجار والحركة التجارية كما تعاظم دورهم التبشيري من خلال ازدياد نفوذهم السياسي في الأوساط الحاكمة وأتصالاتهم بمختلف طبقات السكان الأمر الذي جعل الإسلام كما يقال بمثابة تصريح مرور لمن يريد الاتجار بنجاح مع بلاد السودان[1] .

الهجرات العربيـة:

لقد كان للهجرات العربية القبلية المتجه الى بلاد السودان الغربي والأوسط عبر فزان واستيطانهم في المدن وحول أحواض الأنهار في المراعي والسهول، واندماجهم ومصاهرتهم لأهل البلاد بالغ الأثر في نشر الإسلام والثقافة العربية وذلك امتثالاً لقوله تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ}[2] .

بعد انتشار الإسلام في المناطق الشمالية جاءت أولى المؤثرات العربية إلى كانم مع الحملة الثانية لعقبة بن نافع عام 46هـ/666م إلى إقليم كاوار[3] . وذلك لوجود إتصالات قوياً بين طرابلس وبلاد السودان عبر فزان – كوار قبل دخول الإسلام للشمال الأفريقي[4]. وباعتناق هذه المناطق الإسلام منذ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي أخذ الإسلام ينتشر في السودان الأوسط، حيث ظلت فزان بعد الفتح الإسلامي مقراً لكثير من القادة والجنود الفاتحين في واحاتها ومدنها الصحراوية وقد اختلطوا بالعنصر الإفريقي مما كان له بالغ الأثر في نشر الإسلام في بلاد السودان.

(1) شوقي الجمل: تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 162 .
(2) سورة الروم، الآية : 20 .
(3) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، المصدر السابق، ص 136 .
(4)Martin, B.G: Kanem , Bornu & Fczzan, Notcs on the political history of atrade routc", J.A.II . vol .X.L. 1969. P18 .

وهذا ما أكدته روايات الكانميين المحلية التي ذكرت وصول العديد من الأمويين للمنطقة في نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي [1].

كما يبدو أنه بحلول القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كان الإسلام قد وصل بلاد السودان عن طريق كوار، فضلاً عن الهجرة السياسية التي حدثت في بلاد المغرب كانت هي الأخرى لها تأثير في هجرة العديد من الجماعات التي قامت بنشر الإسلام والثقافة العربية في السودان الأوسط .

حيث أعتنق البربر المذاهب الخارجية مما أدى إلى نزوحهم إلى الصحراء وأطراف بلاد السودان لتفادي ملاحقة العباسيين فاستقروا في جبل نفوسة وزويلة وغدامس وبلاد الجريد[*] وتوغلوا جنوب الصحراء[2]،ونزلوا بلاد السودان الأوسط من قبائل هوارة ولواته[*1] ومزاته[*2] فضلاً عن وصول جماعات من بني هلال وبني سليم أنفسهم نحو تلك المناطق لنشر الإسلام[3]، وأصبحوا أصحاب السيادة في كل من دارفور وودّاي، وكانم وبرنو لقد وصل هؤلاء البربر العرب المسلمين وقد حملوا معهم جزءاً كبيراً من الثقافة العربية الإسلامية، فأنشأوا المساجد في المناطق التي نزلوا بها وساهموا في نشر العقيدة الإسلامية بين السودانيين[4] .

لقد أصبح الإسلام ينتشر رويداً رويداً في السودان الأوسط عن طريق الجاليات المهاجرة والتجار المسلمين الذين وجدوا المعاملة الطيبة التي شملهم بها حكام وسلاطين تلك البلاد، وقد اختلط أولئك المهاجرين بالسكان المحليين، وذلك من

([1]) البكري : في ذكر بلاد المغرب وإفريقيا، المصدر السابق، ص 179 .

([*]) بلاد الجريد : يمتد هذا الاقليم من تخوم بسكره في الجزائر الى اطراف جزيرة جربه بتونس ويبعد جزء كبير منه عن البحر المتوسط مثل مدينتى قفصة وتوزر نحو ثلاثمائة ميل بالداخل ، وكذلك الجامة وقابس ، حسن الوزان : وصف افريقيا ، المصدر السابق ، ص142 .

([2]) ابن الفقيه : مختصر كتاب البدان، المصدر السابق، ص 345 – ابن عذارى : البيان المغرب، ج1، المصدر السابق، ص 70 ، 73 – ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج3، المصدر لسابق، ص 313 .

([*]1) لواته : من القبائل البربرية الهامة تنقسم الى فرعين : احدهما كان يقيم في برقة ويتقدم نحو طرابلس حتى لبدة والاخر باسم نفزاوه كان يعيش جنوب قابس وقفصه ، اسماعيل كمالي : سكان طرابلس الغرب ، المرجع السابق ، ص24

([*]2) مزاته : هي احد القبائل البربرية التى كانت تسكن ودان والمناطق التى حولها ذكرت في حروب الرده حيث امتنعت عن دفع الجزية التى فرضها عليه بسر بن ارطاه (23 هـ-643 م) بعد فتح مدينة ودان ، محمد سليمان ايوب : جرمة من تاريخ الحضارة الليبية ، المرجع السابق ، ص230 .

([3])Palmcr, Sir R: The Bornu Sahara & Sudan London , 1936, P5 .

([4]) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 221 .

خلال المعاملة والمعايشة والمصاهرة، فامتزجت الدماء وتداخلت الثقافات، فكان دورهم كبيراً في نشر الإسلام. كما انتشر الإسلام في مناطق السودان الغربي بفضل هجرات العديد من الجماعات القبلية حيث أخذت تهاجر إلى غرب أفريقيا وتبسط نفوذها هنالك، وهي قبائل صنهاجة(*) ومسوفة(*)1 ولمتونة(*)2 وجداله(*)3 وهي أولى القبائل العربية التي هاجرت إلى السودان الغربي منذ وقت مبكر وساهمت في نقل المؤثرات العربية الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ويبدو أن هذه القبائل كانت حلقة الاتصال بين الشمال والمغرب العربي وبلاد السودان الغربي(1) .

وهذا يعني أن الهجرات الجماعية أخذ الإسلام عن طريقها يصل رويدا رويداً إلى ممالك ما وراء الصحراء، كما نقلت هذه الجماعات الكثير من المؤثرات العربية إلى تلك المنطقة وصارت رقعة الإسلام في امتداد متواصل لاسيما عقب سقوط مملكة غانا على أيدي المرابطين عام 468 هـ / 1076م .

لا شك أن هذه الهجرات العربية ساهمت في قيام ممالك إفريقية إسلامية وأصبحت على درجة من التقدم الحضاري، وذلك بفضل اعتناقها الإسلام(2).

يبدو أن معظم هذه الهجرات المختلفة إلى بلاد السودان الغربي كانت هي الأخرى لها أسبابها السياسية والاقتصادية والدينية، في الوقت الذي لا توجد كتابات تحدد تاريخ وصول جميع هذه الهجرات. وقد اورد البكري : "... عن وفود قوم

(*) صنهاجة : وهم من بطن البرانس وكان لهم عدة دول في المغرب الاسلامي منها : دولة آل زيري بنى مناد ، دولة بلكين بن زيرى دولة المنصور بن بلكين ، وباديس بن منصور والمعز بن باديس وتميم بن المعز ويحي بن تميم وبنو خراسان . ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 179-202 .

(*)1 مسوفة : قبيلة عربية من بقاية دولة المرابطين وتنتمي الى صنهاجة وتمتد من منطقة كيفا جنوب مورتيانا على نهر صنهاجة الى منطقة الحوض شرق مورتانيا على الحدود مع مالي وتتفرع الى مجموعة قبائل واشتهرت بالعلم ونشر الدين واقامة المدارس العلمية . محمد سعيد القشاط ، صحراء العرب الكبرى ، المرجع السابق ، ص103 .

(*)2 لمتونه: هي قبيلة العربية الشهيره التي كونت نواة دولة المرابطين في الصحراء الكبرى والمغرب والاندلس وقبيلة لمتونه تنتمي الى قبيلة حمير اليمينية . ويعد قسم كبير منها حاليا في قبائل عرب الطوارق . المرجع نفسه ، ص102 .

(*)3 جداله : احد فروع قبيلة صنهاجة البربرية والتى لها عدة دول في المغرب الاسلامي وساهمت في نشر الاسلام في بلاد السودان . ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق ، ص202 -203 .

(1) عبد الله عبد الرزاق : المسلمون والغزو لإمبرطورية الفولاني، مجلة عالم المعرفة، العدد 139، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1989م، ص 37 .

(2) جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية، المرجع السابق، ص 156 .

يسمون بالهنيهيين والغامان [*] وهم من نسل الجيش الذي أنفذه بنو اميه في صدر الاسلام الى غانا "[1].

كما هاجرت العديد من الجماعات من قبيلة مسوفة الصنهاجية إلى ولاته وأصبحوا غالبية سكانها وكذلك هاجرت العديد من الأسر والجماعات الليبية إلى مناطق السودان الغربي وكان لها دوراً في نشر الإسلام في تلك المناطق ولقد زادت هيبة تلك الجماعات في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وخاصة في فترة منسي موسى، حيث كانت لهم أحياء خاصة بهم في تلك البلاد.[2]

لقد ذكر ابن بطوطة حيث قال: "... وصلت مدينة مالي حاضرة ملك السودان فنزلت عند مقبرتها ووصلت إلى محله البيض" كما ذكر أيضاً أن منسي موسى كان كريماً فاضلاً يحب البيض "ويحسن إليهم"[3] .

كان بتمبكتو العديد من الجماعات الليبية ومنها جالية الغدامسية التي كان لأفرادها حي خاص بهم وهو من أرقى الأحياء في المدينة وذلك نتيجة الثراء الكبير الذي يتمتع به تجار غدامس[4]. في الوقت الذي كانت علاقات الغدامسية لا تقتصر على مدينة تمبكتو بل كانت لهم علاقات ومعاملات مع مدن السودان الغربي الأخرى، مثل تادمكة وجاو وغيرها من الأماكن الأخرى، ومن الهجرات العربية التي أدت دوراً مهماً هي الأخرى في تاريخ المنطقة من خلال دفعها للمؤثرات العربية الإسلامية قبائل بني هلال وبني سليم التي أخذت التوغل في جنوب الصحراء سواء في السودان الغربي أو الأوسط منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي والتي لها أثر في تلك البلاد [5].

(*) الهنيهيين والغامان : هم الجيش او الجيوش الذين تم ارسالهم في فترة بني امية للمغرب العربي . البكري : في ذكر بلاد المغرب وافريقيا ، المصدر السابق ، ص179 .

(1) المصدر نفسه، ص 179 .

(2) جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية، مرجع سابق، ص 158.

(3) ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة، المصدر السابق، ص 452 .

(4)عبد الرحمن السعدي: تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 142 .

(5) بول مارتن (البرابيشي) بنو حسان، ترجمة محمد محمود ولد دادي، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، 1985م، ص 2 .

وكذلك من الهجرات التي وصلت إلى بلاد السودان خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي نتيجة الاضطهاد التي تعرض له المسلمون بالأندلس من جراء ضغط الممالك المسيحية عليهم خاصة بعد سقوط آخر معاقلهم (غرناطة)897 هـ/1492م. فقد أندفع كثير من منهم نحو الساحل الشمال الإفريقي وكذلك نحو بلاد السودان الغربي واستقروا فيه وذلك نتيجة المعاملة الطيبة من سلاطين السودان الغربي[1]، بل حتى من أهالي تلك البلاد سواء السودان الغربي أو الأوسط . فقد شهدت الباحثة أن الاباء والاجداد الذين هاجروا إلى بلاد السودان في فترة حكم الأتراك وسيطرة إيطاليا على ليبيا فمنهم من بقى وهاجر الكثير منهم وعند تناول أطراف الحديث معهم عن هجرتهم إلى بلاد السودان فيجيبون دائماً لك ياريتنا بقينا في تلك الديار وذلك لما تلقوا من معاملة حسنة واحترام من قبل سكان تلك البلاد إضافة إلى وفرة الخيرات وكذلك الطبيعة الرائعة لبعض البلدان هنالك. لقد شهدت هذه المناطق سيلاً من هجرات البدو المنطلقين من الشمال الإفريقي والباحثين عن المرعى والماء لحيواناتهم التي هي أساس ثروتهم، وهكذا كان لهذه الهجرات مساهمة فعالة مع غيرها من العوامل في إرساء دعائم الإسلام في بلاد السودان .

قوافل الحج:

إن تاريخ بدء أداء الحج من بلاد السودان الأوسط والغربي كما هو في بقية بلدان العالم الإسلامي، يرجع إلى بدايات انتشار هذه الفريضة باعتبارها ركن أساسي من أركان الاسلام فقد زاد ارتباط شعوب هذه الممالك ببلاد العرب وأصبحت قوافل الحج المتجهة للأراضي المقدسة عبر المراكز التجارية الليبية[2] .

(1) محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، والترجمة والنشر، 1964 م، ص 127 .
(2) حبيب وداعة الحسناوي: الحج وأثره في دعم الصلات العربية الإفريقية، وأعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، مراجعة عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1999م، ص 83 .

وسيلة أخرى في نقل كثير من المؤشرات الاقتصادية والدينية والثقافية من وإلى بلاد السودان حيث ساهمت في تبادل التجارة في المدن والمناطق لتي تمر بها تلك القوافل كما أنها قامت بنقل اللغة العربية وانتقال العلماء والدعاة والكُتاب والمهندسين كالشاعر المهندس أبو إسحاق الساحلي الذي أحضره منسي موسى وكلفه ببناء الجامع الكبير بمالي وقد أدخل البناء بالأجر في السودان الغربي[1] .

لقد أصبحت هذه المؤثرات أكثر وضوحاً عندما أخذ حكام وسلاطين بلاد السودان الأوسط والغربي بتنظيم قوافل الحج المتجهة سنوياً إلى الأراضي المقدسة وصار لقب الحاج من الألقاب التي يفضلها مايات كانم وبرنو وأمراء الهاوسا وذلك بعد أن قيامهم بأداء فريضة الحج[2] .

ففي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، قام حكام وأهل كانم وبرنو بالسودان الأوسط بأداء فريضة الحج . لاشك أن هذه الرحلات قد ساهمت في نقل العديد من المؤثرات الثقافية بين الشمال والجنوب وقد ازدادت وفود السودان الأوسط في مناطق الشمال وخاصة مصر في طريقهم للأراضي المقدسة مما أسفر عن تأسيس مدرسة في فسطاط[(*)] مصر عرفت باسم مدرسة ابن رشيق[*] لتدرس المذهب المالكي وتعليم الطلاب الوافدين إلى مصر من كانم وبرنو، فضلاً عن استخدامها نزلاً للوفود أو الحجيج[1].

([1]) أمين الطيبي : الحضارة الإسلامية وأثرها في السودان الغربي في القرون الوسطى وممالك غانا مالي سنغاي، المرجع السابق، ص 269 .

([2]) ابن خلدون :المقدمة ، المصدر السابق، ص 219 .

[(*)] فسطاط : معناه هو بيت من أدم او شعر ، وقال صاحب معجم العين : هو ضرب من الابنية ، وهو مابني او شيد لعمرو بن العاص بعد فتح مصر وأطلقت التسمية على ذلك الموضع ، ياقوت الحموي : معجم البلدان الليبية ، ج4 ، ص497 .

[*] مدرسة ابن رشيق : علم الدين بن رشيق ، من قضاة مصر ومن اهل البر والاحسان ، قام ببناء مدرسة لتدريس المذهب المالكي وعرفت باسمه ، ودرس بها ، وهي مدرسة خاصة الحقت بها نزله لطلبة بلاد التكرور واقامة حجاج برنو ، وقد بنيت ما بين عامي 694 - 648 هـ / 1245 – 1251م . أي في عهد الصالح نجم الدين ايوب في اواخر العهد الايوبي . ابراهيم علي طرخان : امبروطرية برنو الاسلامية ، المرجع السابق ، ص 73 .

[1] أمين توفيق الطيبي : وصول الاسلام وانتشاره في كانم – برنو في السودان الاوسط ، المرجع السابق ، ص 182 .

حيث ذكر القلقشندي: " أن أهل كانم بنوا مدرسة في الفسطاط ينزل بها وفودهم[2]" وكذلك أنشأ في هذه الفترة حكام بلاد السودان الأوسط علاقات ثقافية مع طرابلس ودول المغرب، الأمر الذي جعل تدفق كثير من طلاب بلاد السودان الغربي والأوسط إلى الشمال الإفريقي لطلب العلم[3].

ويظهر أن قوافل الحج القادم من بلاد السودان إرتبطت بقوافل التجارة عبر الطرق التي تمر بالمدن والواحات الليبية فقد كانت مدينة غات حلقة وصل هامة لقوافل الحج القادمة من السودان الأوسط[4] .

وكذلك مدينة طرابلس البوابة الهامة لعبور قوافل الحجيج القادم من المغرب الأقصى والسودان الغربي ليمر للمشرق باعتبارها حلقة وصل ورابط بين المشرق والمغرب . فكانت ولاتزال طريق عبور وملتقى للعديد من الجماعات فكانت كثيراً ما تعبرها القوافل التجارية وقوافل الحج القادم من بلاد السودان[5]، الأمر الذي ساهم في نقل العديد من المؤثرات الثقافية والحضارية إلى بلاد السودان والعكس. وكذلك مدينة غدامس التي تعتبر البوابة الهامة لوصول قوافل الحجيج القادم من السودان الغربي ليمر داخل المدن الليبية في طريقه إلى مصر ومن ثم إلى الأرضي المقدسة . فقد شهدت هذه المدينة خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي مرور رحلة سلطان مالي منسي موسى ، ومن بعده منسي سليمان[*] للأراضي المقدسة في الحجاز[1]. ولعل من رحلات الحج كان لها صيت في الأراضي المقدسة في مكة والمدنية. تلك الرحلات التي قام بها سلاطين سنغاي وأشهرها رحلة أسكيا محمد الكبير. في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي حيث اصطحب معه عدداً

(2) القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص 8 ، 9 .
(3) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في أفريقيا، المرجع السابق، ص 160 .
(4) رجب نصير الابيض : مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ، المرجع السابق ، ص226 -227 .
(5) زاهر رياض : شمال إفريقيا العصور الوسطى، القاهرة، 1981م، ص 51 .
(*) منسي سليمان بن أبي بكر أحد ملوك دولة مالي في الفترة 242 هـ / 856 م . وقد عمل طوال حياته على تشجيع العلم والعلماء وبناء المساجد والمنارات – القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، 285 .
(1) محمود كعت : تاريخ الفتاشي، باريس نشر هوداس ، 1913م، ص 219 .

كبيراً من الحجاج ما يقارب بثمانمائة حاج [1]. غير أن بعض الكتابات ذكرت أن عدد الحجيج المرافقين للسلطان اسكيا محمد الكبير في تلك الرحلة قد يصل إلى ألف وخمسمائة حاج وأنه تصدق بمائة دينار من الذهب كما قام بشراء نُزل للحجاج السودانيين في مصر [2].

لقد كانت رحلات الحج المتجهة إلى الأراضي المقدسة من بلاد السودان الغربي أو الأوسط في حركة دائمة ومنظمة دون انقطاع ومن الأدلة على ذلك لعل الخطاب الذي بعث من قبل الماي عثمان بن إدريس[(*)1] مع ابن عمه إدريس بن محمد ومعه هدية إلى السلطان برقوق في مصر مع رفقة الحجيج المتجهين إلى مكة المكرمة، وقد جاء الرد من قبل السلطان برقوق[(*)2] بعد عامين مع رفقة الحجيج أيضاً[3] .

لقد أصبحت لرحلات قوافل الحج لبلاد السودان الغربي والأوسط دوراً هاماً في نقل العديد من المؤثرات الثقافية العربية لتلك الممالك السودانية . حيث أن هذه القوافل التي تعبر الصحراء رغم ظروفها الطبيعية الوعرة وبساطة وسائل النقل في تلك الفترة، فكان الحجاج يقطعون هذه المسافة على مراحل، حيث يقيمون في العديد من المراكز الليبية التي تقع في طريقهم مما ساهم في التبادل والتعاون ونقل الكثير من الثقافات والتعايش والتصاهر من هذه المناطق التي يمرون بها [4].

وبهذا نجد في طرابلس وبعض المدن والواحات التي تقع على طريق القوافل أصولهم سودانية حيث جاء إلى هذه الواحات للحج أو العلم أو غيرها .

([1]) المصدر نفسه ، ص 19 .

([2])عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان، المصدر السابق، ص 64 .

[(*)1] عثمان بن إدريس وهو أحد مايات للأسرة السيفية في كانم، وأمتد حكمه في الفترة من 792 – 825 هـ / 1390 – 1422م . وفي عهده انتقلت الأسرة السيفية من انجيمي إلى كوكا بعد قيام مملكة برنو. ج ت نياني: تاريخ إفريقية العام، ج4، ص 264 – أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي، المرجع السابق، ص 390.

[(*)2] سلطان برقوق : هو الظاهر برقوق أول السلاطين المؤسسين لدولة المماليك الجراكسة وامتدت فترة حكمة من (784 – 801 هـ / 1382 – 1399 م) واشتهر عصره بتشجيع الادب ومجالس العلم ، كما واجهت مصر في عهد خط موجة المغولية الثانية بقيادة تيمورلنك سنة 797 هـ / 1394 م ، أبو المحاسن بن ثغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج11 ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، 1967 ، ص 223 .

([3]) القلقشندي : صبح العشى،ج5، المصدر السابق، ص 8 .

([4]) زاهر رياض : شمال إفريقيا في العصور الوسطى، المرجع السابق، ص 51 .

كما ساهمت قوافل الحجاج في جلب الكثير من المخطوطات والكتب والمؤلفات، من المناطق العربية الإسلامية التي كانوا يمرون عليها كمصر وطرابلس وفأس وتونس ومكة إلى جانب توطيد علاقاتهم بالعلماء المسلمين ودعوتهم للقدوم والإقامة بينهم[1] في مناطقهم .

وهكذا أصبح لقوافل الحجاج أثراً ودوراً بارزاً في كافة الجوانب الروحية والعلمية والثقافية والفكرية ويبدو أن دورها كان أحد الوسائل في توثيق عرى الوشائح بين شمال طرابلس ومدن فزان الداخلية، ومناطق جنوب الصحراء والسودان الغربي والأوسط .

أما عن انتشار اللغة العربية في بلاد السودان:

كان وصول الإسلام وانتشاره في بلاد السودان على أيدي التجار البربر والعرب الذين عملوا على نشر اللغة العربية في تلك الممالك السودانية [2]. وذلك لاستخدامهم اللغة العربية في معاملاتهم التجارية في تلك البلاد، فضلاً عن الحاجة إليها لمعرفة أهالي السودان أداء الشعائر الإسلامية . فالدخول في الإسلام يعني بالضرورة معرفة لغة القرآن وتعاليمه والسنة النبوية[3]. وكانت لديهم الرغبة في معرفة الثقافة العربية والإلمام بها وذلك لما تميزا به من خصائص جذبت شعوب بلاد السودان إليها، وذلك لمرونتها وثراء ألفاظها وهي كجرس فيه جمال ورقه، وكذلك قدرتها على التعبير لكثرة مفرداتها وقد شجع حكام وسلاطين بلاد السودان الغربي والأوسط خلال القرن الثامن والتاسع الهجري/الرابع والخامس عشر الميلادي على قيام العديد من الزيارات للعلماء ليقوموا بمهمة التعليم في هذه الممالك السودانية [4].

(1) السيد فليفل : الخلفية التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية عبر الصحراء، ندوة العلاقات العربية الإفريقية، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م، ص 69 .
(2) رينيه باسية: دار المعارف الإسلامية، ج3، المرجع السابق، ص 513 ، 518 .
(3) أحمد إبراهيم دياب: علاقة اللغة العربية باللغات الإفريقية، دراسات إفريقية، عدد7، 1990م، ص 71 .
(4) أحمد إبراهيم دياب: علاقة اللغة العربية باللغات الإفريقية، المرجع السابق ، ص 518 .

ويظهر أن سبب اهتمام هؤلاء الحكام باللغة العربية أن كثيراً من قبائلهم تدّعى أنهم من أصول عربية مما جعلهم أن يكونوا على الملم باللغة العربية، وأن انتشار اللغة العربية في مناطق جنوب الصحراء أدى إلى ازدهار الممالك الإسلامية في السودان الغربي والأوسط والتي غلبت عليها مظاهر الحضارة الإسلامية الإفريقية التي جمعت في نظمها الإدارية نظماً إسلامية وأنماط إفريقية سادت فيها الثقافة العربية وذلك نتيجة التأثير الإسلامي في تلك المجتمعات التي ساد فيها التسامح والاستقرار فقد ظلت اللغة العربية لغة القيادة والتجارة والعلوم الدبلوماسية[1] .

بعد انتشار اللغة العربية في بلاد السودان أصبحت لغة التخاطب بين العديد من القبائل فقد تركت أثراً واضحاً في اللغات المحلية الإفريقية بالسودان الأوسط والغربي[2] .

ذكر هوبير ديشان (Hober Dechan) عندما قال: " ولم تكتف بلاد السودان الغربي بدخول الإسلام بل صبغت بطابع عربي بسب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد" [3].

كان للغة العربية تأثير على مختلف اللغات فقد تركت أثارها في لغات شعوب أوروبا الجنوبية وحتى الشمالية، كما في الإيطالية والفرنسية والبرتغالية، والإنجليزية والالمانية بل أن مالطا أصولها عربية [4]، ويبدو أن هذا التأثير الذي حدث في المجتمعات الأوروبية رغم قصر أمد الإسلام واللغة العربية فيها، يرجع الى التأثير العربي في بلاد السودان هنالك العديد من الكلمات العربية المستخدمة في بلاد السودان الغربي في مختلف مظاهر الحياة ومن أمثلة ذلك ففي الحياة الدينية توجد كلمات عربية مثل الله: صارت (يالّلا) أو يالف عند الولوف والسنغاي والفلانيين

([1])Trimingham. J.S, Islam In West Africa, Oxford University Press, 1959, P126 .

([2]) إبراهيم طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، المرجع السابق، ص 72 .

([3]) هوبيرد يسان: الديانات في إفريقيا السوداء، ترجمة أحمد الصادق، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1956 م، ص 132 .

([4]) إبراهيم طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط ، المرجع السابق، ص 73 . المقصود بالوجود العربي بالذات في جنوب أوروبا وجزر البحر الأبيض المتوسط، أما الوجود العربي الإسلامي في اسبانيا فقد امتد حوالي ثمانية قرون (711م – 1492م) وذلك كما هو معروف .

والديولا والبامبارا والصوصو والحمد لله : صارت (هاندا اللايا) في السنغال وفي أسماء الأعلام : النبي محمد : (آمادو) أو (دودو) ومحمد (مامدو) والحسين : أو (سينو) وعائشة (ايساتو) وفاطمة (فاتيماتو) .... إلخ [1].

كما أطلق أسماء المدن العربية على مدن السودان الغربي مثل الطائف : تايفا في غينيا وتايف في سنغال وكذلك مصر التي تنطق ماسيرا وغيرها[2].

أما في السودان الأوسط فقد تأثرت ممالكها باللغة العربية وكانت لغة الهوسا من أكثر اللغات الإفريقية تأثيراً بها حيث عرف علماؤها الكتابة بالحرف العربي وانتشر عندهم فقد أشار القلقشندي عندما قال : " وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة"[3] .

وكذلك من التأثيرات الواضحة في الممالك السودانية من خلال انتشار اللغة العربية، وجود بعض الأسماء الليبية في تلك المناطق مثل أسماء العلماء أحمد الزروق، وعبد السلام الأسمر، والبخاري والأنصاري، والزويلي والغاتي، والفزاني بحيث ظلت هذه الأسماء مألوفة لدى أهالي المنطقتين[5] .

كما يتضح هذا الأثر كذلك في كتابة العديد المخطوطات لبلاد السودان الأوسط حيث كان سلاطين وحكام كانم وبرنو كانوا على درجة كبيرة من الفهم لمفردات اللغة العربية ويظهر ذلك في الأسلوب من خلال الخطاب الذي بعث به الماي عمر بن إدريس، أحد مايات كانم إلى سلطان برقوق في مصر بتاريخ 744هـ / 1425م يشكو فيها من غارات عرب جذام[*] على مملكته[4] .

([1])المرجع نفسه ، ص 74 .

([2]) المرجع نفسه، ص 74 .

([3]) القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص 298 .

[5] محمد البخاري بن احمد : تاسيى الاخوان باخبار الخلفاء في السودان ، مخطوط ، جامعة ساى ، رقم التصنيف 82 ، ورقة 28-29.

[*] جدام : هم جذام بن صدف وهم بطن من حضر موت ويعرف بالاجذوم ، اما جذام بن عدي ، فهى بطن من كهلان من القحطانية ، ومنهم بنو حرام وبنو حشم ومنهم تفرقت كانت جذام تنزل بجبال حسمي ومساكنها بين مدين الى تبوك ، وجذام أول من سكن مصر من العرب المسلمين حين جاءوا مع عمرو بن العاص وسكنوا كذلك الاسكندرية ويبدوا انهم دخلوا الى ليبيا بعد ذلك الوقت بقليل اليعقوبي : البلدان ، المصدر السابق ، ص 96 -98 - 99 .

([4]) القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، المصدر السابق، ص 279.

إن طرابلس وفزان وغيرها من المدن الليبية هي الأخرى ساهمت في نقل الثقافة العربية الإسلامية إلى مناطق جنوب الصحراء كما أن هذه المدن تأثرت هي الأخرى من الناحية اللغوية بالمجتمعات الهاوسية والبرنوية والزغاوية ويعود هذا الأثر اللغوي إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ففي هذه الحقبة كان ولي جبل نفوسه غرب مدينة طرابلس، أبو عبيد عبد الحميد الجناوي[(*)1] يتحدث اللغة الكانمية السودانية إضافة إلى اللغة العربية عندما كانت مدينة جادو المجاورة لبلدته تمثل نقطة للقوافل التجارية القادمة من الشمال والمتجهة إلى زويلة ومنها إلى بلاد السودان الأوسط [(1)].

كما توجد العديد من التأثيرات السودانية الكانمية في إقليم فزان لدى أهالي تراغن والقطرون ومرزق وغدامس وغات وزويلة والتي تعتبر أهم المراكز التجارية الليبية الصحرواية والتي تعتبر معابر وحلقات وصل بين الشمال والجنوب وتتمثل تلك التأثيرات في انتقال الأسماء البرنوية كأسماء الأفراد مثل آب كوراكياي، وتعني أمي الكبيرة (نانا كورا) وتعني المرأة الصغيرة (آباني) وتعني الكبير[(1)] .

كما يظهر الأثر الهوساوي بوضوح داخل المجتمع الغدامسي والغاتي حيث نجد إلى يومنا هذا نسبة كبيرة من أهالي هذه المدن يجيدون اللغة الهوسية وعدم وجود صعوبة في التحدث بهذه اللغة[(2)].

[(*)1] أبو عبد الحميد الجناوي : هو احد علماء نفوسه الموصوفين بالاخلاق النبيلة ويسمى الجناوي نسبة الى قرية اجناون إحدى قرى الجبل وقد تولى ابو عبيدة ولاية جبل نفوسة بعد مهلك ابى الحسن ايوب فانه تمت توليته برضاء الامام عبد الوهاب الذي لبى طلب نفوسه الجبل ومن حولها من نواحي طرابلس بتوليته على اعمالهم والنظر في اموراهم . أبو العباس احمد سعيد الدرجيني : طبقات المشائخ بالمغرب ، المصدر السابق ، ص 291 .

([1]) البكري : في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، المصدر السابق، ص 10 .

[(1)] نجمي ضياف : مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية ، المرجع السابق ، ص271 .- امطير سعد غيث احمد : التاثير العربي الاسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الملاديين ، المرجع السابق ، ص147 .

[(2)] مؤلف مجهول : تذكير الناس وتلين قلب القاس، بذكر شيء من مثاقب الشيخ سيدي عبد الله أبي بكر الغدامسي- مخطوط مركز جهاد الليبيين ، مك 59 – 23 ، ورقة 10 .

الخاتـــمة

لا شك أن للتجارة الدور الفاعل في الجوانب الاقتصادية بين كل من طرابلس والمناطق التي تتبادل معها في المشرق العربي أو السودان الغربي شمالاً دول حوض البحر الأبيض المتوسط وبعض دول أوروبا الأخرى وجنوباً وجنوب شرق، السودان الحالي – تحدياً دارفور – وكانم – برنو ووداي . لم يتوقف هذا الدور في الجانب الاقتصادي فحسب، بل تعداه ليشمل كافة جوانب الحياة الأخرى إجتماعية كانت أم ثقافية – أم سياسية – أم فكرية – فكان عامل التأثير والتأثر شاخصاً في هذه الجوانب سواء كانت في طرابلس أو فزان أو حتى بلاد السودان كافة . وعليه فإن ولاية طرابلس كان لها دور هام حيث تعتبر البوابة الشمالية للقارة الأفريقية وحلقة وصل بين الشرق والغرب والشمال وجنوب الصحراء، فكان لها تأثير وربط صلات بين الشمال والجنوب في كافة جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والثقافية .

وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج تتخلص فيما يلي:-

1. تفيد هذه الدراسة أن طرابلس بموقعها الذي تتمتع به قد أهلها باكراً أن يكون لها دور في تقوية الروابط بين شمال القارة وجنوبها، وذلك لعدم وجود حواجز طبيعية كالمستنقعات أو الجبال بين طرابلس وجنوب الصحراء. فالصحراء لم تكن حاجز بين الشمال والجنوب فقد تمت أول محاولة لاختراق الصحراء على أيدي مجموعة من شباب قبيلة النسامونيين في عام 50ق.م. كما عرفت قبائل الجرمنت سكان فزان بنشاطها وسيطرتها على الصحراء الكبرى وعلاقاتها بالشعوب المجاورة، ودورها الوسيط في عملية التبادل التجاري بمنتوجات أواسط أفريقيا والسلع والبضائع الشمالية والأوروبية.

2. برزت طرابلس كمدينة اقتصادية هامة في منطقة الشمال الأفريقي من الأرض الليبية حيث أنها تتمتع بموقع جغرافي واستراتيجي هام، ساعدها على أن تلعب دوراً بارزاً في تجارة الصحراء خاصة ساحلها عند سرت حيث يعرج إلى الداخل مما قصر المسافة للاتصال ببلاد السودان.

3. أوضحت الدراسة: أن للعرب علاقة بمناطق جنوب الصحراء قبل الإسلام. فقد جذبت هذه المناطق التي تتمتع بثروات طبيعية مجموعات عربية من التجار والبدو منذ وقت مبكر من الشمال إلى الصحراء التي لم تكن في أي وقت منطقة طرد بل كانت منطقة جذب وإنتاج فما استغلال مناجم الملح في تفازا وتاودنى ومعدن الذهب في غانا والنحاس والزراعة في التكرور إلا دليل على ذلك خاصة بعد الفتح الإسلامي العربي لإفريقيا.

4. أكدت هذه الدراسة أن للطرق التجارية أهمية في العلاقات والصلات التجارية بين طرابلس ومدنها وواحاتها وبين الممالك السودانية جنوب الصحراء (السودان الشرقي والأوسط والغربي) فقد لعبت الدور البارز في نمو وازدهار النشاط التجاري بين الجانبيين كما كان للصراع الدائر بين السلطات الحاكمة والمسيطرة على هذه الطرق في تلك المناطق دور في ازدهار وظهور طرق أخرى في الصحراء الأمر الذي ساهم في زيادة وإنشاء العديد من المراكز التجارية كما أدى إلى زيادة حجم التبادل التجاري وتطوير نظم التجارة فوضعت اللوائح والقوانين لضبط العمليات التجارية وأنشئت الشراكات التجارية وتطورت وسائل التعامل وتنوعت.

5. أوضحت لنا هذه الدراسة بيانات عن المجال التجاري الواسع الذي كان ينطلق فيه التجار من سوق لأخر دون قيود تذكر لاسيما فيما يتعلق أحياناً في استخدام العملات التي تجد فيها اختلاف بين مناطق الشمال الأفريقي وجنوب الصحراء (السودان الأوسط والغربي).

6. ازدادت أهمية طرابلس وواحاتها الداخلية كفزان منذ الفتح الإسلامي المبكر على يد القادة عمرو بن العاص الذي فتح طرابلس سنة 23هـ- 643م وحملة عقبة ابن نافع إلى فزان سنة 22هـ-642م لمدينة زويلة وكذلك حملة عقبة ابن نافع الثانية سنة 49هـ-665م التي وصلت إلى كوار على مشارف السودان الأوسط (كانم برنو).

7. أظهرت الدراسة أن البيوت التجارية في طرابلس والمدن والواحات الداخلية كغدامس ومرزق لعبت دوراً بارزاً في العملية التجارية وذلك بإسهامهم في إعداد

القوافل وتجهيزها بوسيلة النقل (الجمل) سواء بشرائها أو تأجيرها وكذلك تأمين بعض مراحل الطريق التجاري بين طرابلس والمدن الداخلية (فزان) وحفر الآبار وتأمينها وضع علامات لتكون مأوى للقوافل العابرة لهذا الطريق كما قامت هذه البيوت بتأمين الحماية للقافلة من جهة ورفع الهدايا و الأتاوات لزعماء القبائل التي تمر بهم تلك القوافل التجارية.

8. أظهرت هذه الدراسة أن التجارة الداخلية قد غطت كافة المتطلبات والسلع الاستهلاكية اليومية لسكان البلاد ضمن عمليات المقايضة والبيع والشراء التي كانت تتم داخل أسوق طرابلس والمدن والواحات من يومية وأسبوعية وموسمية. ولا شك أن تبادل هذه المنتوجات ساهم في سد نقص السلع الغذائية والمنتوجات الصناعية في المدن والأقاليم الليبية.

9. أثبتت هذه الدراسة: أن التجارة الخارجية مثلث أهمية خاصة للدولة الحفصية ومن ثم الأتراك والقرمانليين الذين سيطروا بنفوذهم على طرابلس والمدن الليبية، فكانت القوافل التجارية التي تعبر الطرق الصحراوية وتحمل الرقيق والعاج والذهب والجلود وريش النعام تمر بفزان التي كانت في بعض الأوقات في فراغ سياسي خاصة في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي. ثم سيطر أولاد محمد عليها واتخاذهم مرزق عاصمة لهم في القرن العاشر الهجري/ السادس الميلادي . لقد أخذت القوافل تمر لتصل إلى طرابلس ليتم تصدير جزء منها إلى شعوب ما وراء البحر فيقوم الحكام بتحصيل مبالغ طائلة كمكوس وجبايات وضرائب من تلك القوافل والسفن التجارية فضلاً عن انتعاش اقتصادها وأسواقها وإقبال سكانها على مظاهر الترف والرفاهية.

10. أكدت الدراسة أن وصول الإسلام إلى طرابلس وواحاتها الداخلية أتاح إمكانية نشر الإسلام دينا وثقافة وساعد على قيام ممالك أفريقية إسلامية قوية في مناطق السودان الأوسط والغربي (كانم، برنو، غانا، جاو، تمبكتو، أو داغست وغيرها) والتي ساهمت في توطيد العلاقات العربية الأفريقية في الوقت الذي لم تعط المصادر التاريخية والجغرافية أو حتى كتب الرحالة حق هذه المناطق ودورها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي الذي قامت به. ولذا كانت كافة البيانات عن هذه

المناطق جاءت على شكل إشارات ومقاطع مقتضبة حتى وأن أولي اهتمام العرب الفاتحين بهذه الأقاليم في فترة مبكرة بوصول الإسلام واللغة العربية إلى بلاد السودان الأوسط والغربي وصلت عناصر سكانية من قبائل الطوارق والتبو وصنهاجة وهوارة ومزاته ولواته القاطنة في الشمال الأفريقي إلى هذه المناطق لغرض التجارة أو الإقامة وانتشر الدين الإسلامي. ولا شك كان لها تأثيرها على تلك المجتمعات وساهمت في توطيد العلاقات العربية الأفريقية. وكان من الطبيعي أن تكون هذه الممالك الإسلامية الأفريقية على قدر كبير من التقارب والتلاقي في المناطق الليبية بحكم التصاهر والتمازج الاجتماعي الذي حدث نتيجة هذه الهجرات.

11. أكدت الدراسة أن الإسلام انتشر من الشمال الأفريقي إلى مناطق جنوب الصحراء في الفترة التي سبقت جهاد المرابطين وخاصة بين الطبقات الحاكمة والمجموعات الأفريقية الأخرى التي شاركت الأهالي وخالطتهم.

12. أثبتت الدراسة أن المراكز التجارية كطرابلس وغدامس وجادو بجبل نفوسة ومصراته وزويلة ومرزق وتراغن وغيرها كان لها دوراً مميزاً في الجانب الاقتصادي والسياسي والحضاري والثقافي. لعل مدينة طرابلس وغدامس ومرزق وغات تعد من أهم المدن الليبية التي كانت على تواصل مع بلاد السودان حيث استقطبت هذه المدن العديد من العلماء والفقهاء الذين كان لهم دور بارز في نقل العديد من المؤثرات الثقافية العربية الإسلامية إلى بلاد السودان كما قامت هذه المدن بتقديم المساعدة لأفراد القوافل من التجار والحجاج والعلماء وطلاب العلم وكذلك كان لسكان هذه المدن والمراكز نشاط ثقافي وتجاري حيث كون سكان هذه المراكز جاليات كبيرة في حواضر السودان الأوسط والغربي.

13. إن حاجة مناطق الحزام الصحراوي الماسة إلى سلع الشمال المفتقرة لديه- والعكس كذلك حاجة مناطق الشمال إلى سلع مناطق الجنوب أدى إلى استمرارية انسياب الحركة التجارية بين طرابلس وكافة مناطق التبادل التجاري بينهما ومناطق الجنوب خاصة وأن بعض السلع كالذهب والملح والعبيد وريش النعام- إلى حد ما- ظلت محتفظة بمكانتها كسلع هامة طيلة فترة الدراسة.

14. كما بينت الدراسة أنه كان لرحلات وقوافل الحج دور مهم في انتقال المؤثرات العربية الإسلامية وأيضاً دورها في ربط العلاقات بين السودان الأوسط والغربي والشمال الأفريقي عبر الأراضي الليبية فقد كانت قوافل الحج تمر سنوياً عبر طرابلس بالطريق الساحلي أو عبر المدن وواحات فزان لتتزود بالماء والغذاء والراحة، ولا شك أن هذا المرور ترك أثاره على كافة الأصعدة بين تلك المناطق المجاورة.

15. أثبتت الدراسة أن مدن غدامس ومرزق وكانو وكانم وبرنو وتمبكتو وجادو واداغست كانت المدن الأساسية التي تتعامل مع تجارة القوافل الطرابلسية وقد ركز التجار على السلع التي كانت تلقى رواجاً في مناطق الجنوب لها الأقمشة والمنسوجات والكتب والمخطوطات وأدوات الزينة ومبادلتها بالسلع التي تحتاجها كالعاج والذهب وريش النعام.

16. أوضحت الدراسة أن انتشار الإسلام عبر المراكز التجارية الليبية في بلاد السودان الغربي والأوسط كان له تأثير على كافة الجوانب الاجتماعية في تلك البلدان. حيث ظهر في الطبقة الحاكمة- سلاطين وملوك، ثم انتشر بين الفئات الاجتماعية الأخرى . هذا وكان لطرابلس والمدن والواحات الجنوبية دوراً في نشر الإسلام لشعوب ما وراء الصحراء بالإقناع إلى رسوخ الإيمان والعقيدة الصحيحة ومبادئه وتعاليمه السمحاء بدل المعتقدات الوثنية السائدة والذي أخذ تدريجياً القضاء على هذه العادات والتقاليد وانتشرت اللغة العربية والحضارة الإسلامية كما انتشرت المدارس لتعليم القرآن وأصول الدين والفقه.

وكان للإسلام دوراً بارزاً في تغيير سلوكيات الأفراد في الملبس والأكل وآداب الحديث ومساعدة الفقراء والضعفاء والمحتاجين .

التوصيـــات:

من خلال الدراسة اتضح أن طرابلس تحتاج إلى المزيد من الدراسات لتوضيح واستجلاء الكثير من البيانات التي تخصها في تلك الفترة وكذلك ضرورة إحياء التواصل التجاري بين شمال وجنوب الصحراء الذي له دور في تقوية الصلات والروابط التي تمثل وحدة اقتصادية متكاملة لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر.

وعليه اقترحت الباحثة النقاط التالية:-

1. ضرورة القراءة العميقة لتاريخ العلاقات التجارية بين طرابلس وواحاتها والممالك السودانية جنوب الصحراء، ولذلك فهي بحاجة للمزيد من البحوث والدراسات لمعرفة تاريخ العلاقات التجارية بينها.

2. تحتاج طرابلس لمزيد من الدراسة خاصة في الفترة الوسيطة والحديثة وعليه يتوجب لدارسي التاريخ لهذه المنطقة التركيز في هذه الفترة.

3. إن أغلب الدراسات أغفلت الجانب الاقتصادي وكان تركيزها على الجوانب السياسية والاجتماعية وعليه توصي الباحثة المهتمين بدراسة هذه المنطقة أن يولوا هذه المنطقة جانباً كبير من اهتماماتهم وذلك لكشف كثير من البيانات التي تغطي العديد من الثغرات في هذا الصدد. وذلك لما للجوانب الإقتصادية الدور الحيوي في حياة الشعوب وأيضاً في إثارة الكثير من القضايا الخلافية والنزاعات بين الشعوب كما قيل إن الجانب الاقتصادي هو المحرك للتاريخ .

4. البحث عن العديد من البيانات والوثائق والتي قد تكون في بعض المدن والمراكز التجارية التي تتعامل معها أو كذلك ببعض الدول التي استعمرت ليبيا كتركيا وإيطاليا وغيرها من الدول الأوروبية وأنها مفيدة في هذا الجانب.

5. لابد من إعادة الإطلاع وكتابة وتصحيح التاريخ الأفريقي سواء في الشمال أو الجنوب وتنقيته من الشوائب.

6. العمل على تنشيط تجارة العبور مرة أخرى وذلك بإحياء طرق القوافل القديمة بالوسائل الحديثة .

7. ربط مناطق الشمال بمناطق جنوب الصحراء وذلك بطرق معبدة أو سكك حديدية ليسهل التنقل بين المنقطتين.

8. الاهتمام أكثر لبعض المراكز التجارية القديمة على أطراف الصحراء سواء في الشمال أو الجنوب وذلك بعمل استراحات ومحطات وقود وتزويدها بكل ما تحتاج إليه لتساعد في عملية التواصل بين أبناء القارة الواحدة.

9. فتح المعابر وتسهيل الإجراءات الجمركية وذلك يساعد في عملية تنقل الأفراد والسلع بين المنطقتين.

10. التشجيع والتحفيز على التبادل التجاري في المنتوجات المحلية بين الطرفيين.

المصـــادر والمراجـع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أولاً: الوثائق والمخطوطات:

1. أحمد بابيرالأرواني: الجواهر الحسان في أخبار السودان: مخطوط ورقة 13.
2. أحمد سعيد الفيتوري : ليبيا وتجارة القوافل، الجمهورية العربية الليبية، وزارة التعليم والتربية والإدارة العامة للآثار، 1972م .
3. أحمد القادري : نسمة الأسر : مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 1418 ورقة 117، الناصري: الرحلة الناصرية مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1093 ورقة 166،167 .
4. بشير قاسم يوشع: غدامس : وثائق تجارية تاريخية أجتماعية، 1228-1310هـ، الجزء الأول، منشورات مركز الجهاد الليبيين، ضد الغزو الإيطالي،1982م .
5. التمبكتي : مخطوطة، أهمية التاريخ رقم 1430 ، تمبكتو، مركز أحمد بابا ورقة5.
6. حمدو الشأن الفاسي : ليبعث برسالة تجارية إلى وكيلة في السودان الغربي، شريف حامد مخطوط، مركز الشيخ المختار الكنتي، دون تصنيف، ورقة واحدة تاريخها 1106هـ .
7. سالم آما فائدة الأولياء الذين كانوا في وقت واحد، مخطوط، مكتبة الشيخ سالم آما، أغاديس، (د.ت) ورقة 1 .
8. سجلات المحكمة الشرعية، سجل المحكمة الشرعية لسنوات 1722- 1727م، سجل المحكمة الشرعية رقم (1) سجل المحكمة الشرعية رقم (2) .
9. عبد الحميد الهرامة، من الرسائل الليبية بين مخطوطات تنبكتو، مجلة الوثائق والمحفوظات، ع 1988م ، مج3 ، ص 112 ، 113 .

10. عبد القادر محمد أبو القاسم العاشوري . براك وثائق دولة أولاد محمد بفزان، المجلد الأول ، جمع وتحقيق حبيب وداعة الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1994م .
11. عثمان محمد فودى: تنبيه الأخوان على أحوال أرض السودان، مخطوط، مخطوط مكتبة، الشيخ محمد علي كوساس، كانو، ورقة 8 .
12. قريب الله محمد الناصر : الرسالة الجليلة لمكانة نيجريا العلمية مكتبة نيجريا العلمية، قبرص، 1993م .
13. محمد بابير الأرواني : مخطوطة الترجمان في تاريخ الصحراء السودان وبلد تمبكت وشنقيط وأروان ونبذة من تاريخ الزمان في جميع البلدان رقم 7600، تمبكتو– مالي – مركز أحمد بابا ورقة 4 .
14. محمد البخاري بن أحمد: تأسيس الأخوان بأخبار الخلفاء في السودان، مخطوط، جامعة ساي، رقم التصنيف، 82 ، ورقة 28 ، 29 .
15. محمد مخلوف: مواهب الرحيم في مناقب مولانا الشيخ عبد السلام بن سليم، مكتبة النجاح ، طرابلس، د.ت .
16. مؤلف مجهول: تذكير الناس وتليين قلب الناس بذكر شيء من مناقب الشيخ سيدي عبد الله أبي بكر القدامسي، مخطوط مركز جهاد الليبيين مل 23–59 ورقة10 .
17. نصر بن محمد الخميس: وثيقة إجازة للشيخ سعد بن أحمد الليلى في كانو من الشيخ نصر بن محمد الخميس، بطرابلس ، 1318م، وثيقة 1 .
18. وثائق تاريخ ليبيا: الوثائق العثمانية 1881– 1911م، ترتيب ومراجعة وجمع أحمد صدقي الدجاني، جمع وترجمة عبد السلام أدم، بنغازي، 1974م .
19. وثيقة غير منشورة بتاريخ 1870م، شعبة الوثائق والمحفوظات وثيقة 187، مركز جهاد الليبيين، طرابلس .

ثانياً: المصـــادر العربيــة:

1. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، (ت 658هـ) الكامل في التاريخ، بيروت- دار الصادر ودار بيروت، 1967م .

2. ابن الصغير: (مولى بني تميم القرطبي)،أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر، دار الغرب الإسلامية ، بيروت - لبنان، 1986م .

3. ابن القنفذ القسنطيني: (أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب أبو العباس القسنطيني)، كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1403 - 1983م .

4.ابن بطوطة: محمد بن عبد الله اللواتي ويكنى بأبي عبد الله (ابن بطوطة) (ت 779هـ) رحلة ابن بطوطة : (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) تعليق وتقديم علي المنتصر الكتاني، دار صعب مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ج2، 1979م .

5.ابن تغري بردي: (ابو المحاسن) النجوم الزاهرة، وزارة الثقافة، القاهرة، مصر، 1967 م .

6.ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) : (ت 380هـ) ، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، 1992م

7.ابن خرداذبة (أبو القاسم عبدين أحمد) : (ت 300هـ) المسالك والممالك، تعليق الحاج الصادق، الجزائر، 1949م .

8.ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد): (ت 808هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 7 أجزاء، 1968م .

9.ابن خلكان (شمس الدين) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محي الدين، دار النهضة ، القاهرة - مصر، 1948م .

10. ابن سعيد المغربي (أبو الحسن بن سعيد) (ت 685هـ- 1226م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1970م.

11. ابن عبد الحكم : فتوح إفريقية والأندلس، ترجمة البيرجاتو، الجزائر، 1947م .
12. ابن عبد الحكم: (عبد الرحمن بن عبد الله)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد الحجري، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1996م .
13. ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، نشر وطبع لجنة البيان العربي، مصر ، د.ت .
14. ابن غلبون: (أبو عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي): التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها الأخبار، تعليق وتصحيح الطاهر أحمد الزاوي، المدار الإسلامي، بيروت، ليبيا، 2004م .
15. ابن مليح : آنس الساري والسارب، تحقيق، محمد الفاسي، وزارة الشؤون الثقافية، فاس ، المملكة المغربية، 1986م .
16. ابن منظور: (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم)، لسان العرب، د .ت .
17. أبو أسامة (شهاب الدين أبو محمد): الروضتين في أخبار الدولتين، القاهرة – مصر، 1870م.
18. أبو الفداء :(ت 732هـ) : تقويم البلدان، باريس، 1984م .
19. أبو زكريا أحمد ابن أبي بكر : تاريخ ابي زكريا ، مسيرة الأئمة وأخبارهم، تحقيق عبد الرحمن أيوب، تونس، الدار التونسية، 1985م .
20. أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر التكروري: دراسة في أداب الرحلات عند علماء أفريقيا فما وراء الصحراء، تحقيق وتقديم الهادي المبروك الدالي، ط1، 2004م.
21. أحمد بك النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، القاهرة – مصر 1961م .
22. الأدريسى (محمد بن محمد بن عبد الله– ت 558هـ) : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت، دار عالم الكتب، د.ت .
23. الباروني: (عبد الله بن يحي النفوسي) : رسالة سلم العامة المبتدئين إلى معرفة أئمة الدين، 290هـ/ 867م .

24. البكري : المسالك والممالك، تحقيق وتقديم أوربان فأن ليوفن ندرى فيرى، تونس ، ليبيا ،الدار العربية لكتاب، د. ت.
25. البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، الأندلس (ت 487هـ) المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، طبعة الجزائر، 1957م .
26. البلاذرى: (ت 279هـ) (الإمام العباسي أحمد بن يحي جابر البلاذرى): فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت- لبنان، 1987م .
27. التجاني (ت 706- 707هـ) : (عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أبي القاسم، أبو محمد التونسي)، رحلة التجاني ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، المطبعة العربية، 1958م .
28. التمبكتي: (أحمد بابا)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع فهارسه وهوامشه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس1989م .
29. التونسي (محمد بن عمر) : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، مراجعة محمد مصطفى زيادة، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965م .
30. التونسي: (محمد بن مصطفى)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار، دار الانصار، ط1، مصر، 1303 هـ، منشورات دار الصادر، بيروت – لبنان، د.ت .
31. حسن الفقيه حسن : اليوميات الليبية، 958- 1248هـ/ 1551- 1832م ، تحقيق محمدالأسطى وعمار الجيدر، ليبيا د.ت .
32. الحميرى (محمد عبد المنعم) : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، مؤسس ناصر للثقافة، ط1، 1975م .
33. الدرجيني : (أبو العباس أحمد بن سعيد): طبقات المشايخ في المغرب، تحقيق وطبع إبراهيم صلاى، الجزائر، 1974م .

34. الزهري، أبو عبد الله حمد بن أبي بكر، كتاب جغرافية ما ذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافي كل جزء من الغرائب والعجائب، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر ، د . ت .
35. السعدي: (موسى بن أحمد)، زهور البساتين في تاريخ السودانيين، مخطوط 320.
36. الطبري: (محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت ، 1968م .
37. عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان، طبعة هوادس، 1998م .
38. عبد القادر جامي : من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، دار المصراتي للطباعة– طرابلس، 1974م .
39. العمري: (شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمرى) (ت 749هـ – 1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تعليق أيمن فؤاد السيد، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، 1985م .
40. العياشي : (عبد الله بن محمد) : الرحلة العياشية ، (1661– 1663م)، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، منشورات دار الويدى، للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ، د.ت.
41. القزويني : (زكريا بن محمد بن محمود) : أثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ، دار الصادر، (د.ت) .
42. القلقشندي: (أبو العباس أحمد بن عبد الله): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القاهرة، دار الكتب الخديوية، دار الكتب السلطانية ، 1919م .
43. القيرواني: (محمد بن صالح): تكميل الصلحاء الأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيرواني، تحقيق محمد العتابي، تونس المكتبة العتيقة، 1970م .
44. كعت: (محمود بن الحاج المتوكل)، الفتاش في أخبار الجيوش وأكابر الناس، نشر هوادس، 1994م .

45. المراكشي: (ابن عذارى) (ت أواخر القرن السابع) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة. ج.س كولان وآليفيبروفنسال، دار الثقافة العربية، بيروت، لبنان، 1980م .
46. المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط1، القاهرة، 1948م .
47. المقدسي: (شمس الدين ابن عبد الله محمد أحمد): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة لين ، ج2، د.ت .
48. المقزيزي : (تقى الدين أحمد علي) (ت 874هـ) : المواعظ والاعتبار، دار إحياء العلوم، دار الصادر ، بيروت– لبنان، د.ت .
49. مؤلف مجهول من القرن السادس الهجري: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول، الدار البيضاء، دار النشر العرب، 1958م .
50. الهمداني، ابن الفقيه: (أحمد بن محمد) (290هـ –902م) : مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن، 1302هـ .
51. الوزان: (الحسن محمد الوزان الفاسي) ليو الأفريقي : وصف أفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار العربي الإسلامي، بيروت، 1983م .
52. ياقوت الحموي: (شهاب الدين بن عبد الله ياقوت الحموى البغدادي): معجم البلدان، دار الصادر، بيروت للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 1977م.
53. اليعقوبي : (ت 284هـ) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر واضح اليعقوبي: كتاب البلدان ، المطبعة الحيدرية بالنجف، ط3، 1957م .

ثالثـاً: المراجــع العربيــة:

1. ابتسـام مرعـي خلـف الله : العلاقـات بـين الخلافـة الموحديـة والمشـرق الإسـلامي 524 – 936 هـ / 1136 – 1529م ، منشورات دار المعارف، طرابلس، ليبيا، 1985م .
2. إبراهيم أحمد زرقانة : جغرافيا الوطن العربي (ليبيا) ، مطبعة لجنة البيان العربي، الناشر دار النهضة العربية، القاهرة، 1964م .
3. إبـراهيم بحـاز بكيـر: الدولـة الرسـتمية مـن 160– 276هـ، دراسـة فـي الأوضـاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، بغداد ، العراق.
4. إبراهيم حلمي الغوري وآخرون، أطلس التاريخ القديم، دار الشرق، ط1، بيروت، لبنان ،2004م .
5. إبراهيم طرخان علي: إمبراطورية برنو الإسلامية، الهيئة العامة لتأليف، القاهرة، مصر ، 1970م .
6. إبراهيم طرخان علي: الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة لتأليف القاهرة، د.ت .
7. إبراهيم مختار: تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى، بغداد، 1984م .
8. أبو بكر عثمان القاضي: فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، دار المحيط العربي – بيروت، 1989م .
9. أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الأفريقي الحديث– الرياض، 1981م.
10. أحمـد إليـاس حسـين : سـلع التجـارة الصـحراوية الكبـرى، مركـز جهـاد الليبيـين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م .
11. أحمـد شـلبي : موسـوعة التـاريخ الإسـلامي، ط النهضــة المصـرية، القـاهرة، مصر ،1983م .

12. أحمد صدقي الدجاني: ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، مصر، 1971م .
13. أم الهنا المدني : حضارة الجرمنت، بحث غير منشور، كلية الآداب ، جامعة سبها، د، ت .
14. أمين توفيق الطيبي: الحضارة الإسلامية وأثرها الإيجابي في السودان الغربي في القرون الوسطى، ممالك غانا ومالي وسنغاي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد يونيو 1980م .
15. الأمين عوض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، تجارة القوافل ودورها الحضاري في نهاية القرن التاسع عشر، بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، 1989م .
16. إنعام محمد سالم شرف الدين : تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي (دراسة في مؤسسات المدينة التجارية (1711- 1835م) ، طرابلس، ليبيا، 1989م .
17. بدوي محمد فهد : صلات العرب وافريقيا الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط1، 2002 م .
18. التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المحمدية مطابع فضالة، 1988م .
19. تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، 1988م .
20. جبريل أبوبكر : طرق القوافل وأثرها في تقوية العلاقات الثقافية بين ليبيا وجيرانها في جنوب الصحراء "ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي خلال الفترة من 20- 23/ 12 -1995م، (مراجعة عبد الحميدالهرامة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1998م) .
21. جعفر عباس حميدي: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الفكر، عمان، 2002م.

22. جلال يحي : تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م .
23. جمال الدين الديناصوري: جغرافيا فزان، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1967م .
24. جمال الدين الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1966م .
25. جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية العربية الأفريقية ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ، 1975م .
26. جميلة أمحمد التكتيك: مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسيكا محمد الكبير، ط1، دار الكتب الوطنية، طرابلس – ليبيا، 1998م .
27. الجندي الشيخ عثمان، تاريخ وأصول سكان مره وكردفان وما جاورهما، دار العلم ، بيروت، لبنان، 1987 م .
28. جنكان محمد خير : المعضل في أسماء صفات الأبل، مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان – الأردن، ط1، 2002م .
29. جهاد السيد أحمد : الإبل العربية إنتاج وتراث، ط1، الشركة العربية للنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة ، 1995م .
30. حبيب وداعة الحسناوي : التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، مراجعة عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، (د.ت) .
31. حبيب وداعة الحسناوي : الحج وأثره في دعم الصلات العربية الأفريقية ودور فزان في تسهيل قوافل حجاج السودان الأوسط حتى القرن الثامن، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء، تنقلات العلماء والكتب، مراجعة وتقديم عبد الحميد عبدالله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس– ليبيا، 1995م .
32. حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط3، 1984م .

33. حسن عيسى عبد الطاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام الدولة الفولاني، الزهراء للإعلام العربي،القاهرة ، 1991 .
34. حسين مسعود أبو مدينة: جغرافية طرابلس الغرب، ط1، دار الشعب للطباعة والنشر والتوزيع، مصراته، ليبيا ، 2005م .
35. حسين مؤنس : فزان ودورها في نشر الإسلام في أفريقيا، مجلة كلية الآداب، العدد الثالث، جامعة قاريونس، بنغازي – ليبيا، 1969م .
36. خديجة عبد الله أبوسدرية : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية في المغرب الأدنى خلال العهد الحفصي (603- 932 هـ/ 1207 – 1526م) ، دار الكتب الوطنية، بنغازي – ليبيا ،2010 م .
37. خليفة محمد التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والاجانب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس- 1985م .
38. دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، منشورات الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1997م .
39. رأفت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث، ط2، دار الثقافة، 1996م .
40. رأفت غنيمي الشيخ: دراسات أفريقية في التاريخ الحديث المعاصر، القاهرة، 2011م .
41. رجب نصير الأبيض: مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، مركز الجهاد الليبيين، طرابلس – ليبيا، 1988م.
42. رينيهباسيه: دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد ثابت وآخرين، د.ت.
43. زاهر رياض : شمال إفريقيا في العصور الوسطى، القاهرة، مصر، 1981م.
44. زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تحقيق أحمد بن سودة، منشورات دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، 1995م .
45. سالم سالم الشلابي : معالم المدينة البيضاء مدينة طرابلس القديمة، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، د.ت .
46. سالم علي الحجاجي: ليبيا الجديدة، ط1، طرابلس، ليبيا، 1989م .

47. سعيد عبد الفتاح عاشور: القطر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر 1965م .
48. سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، د . ت .
49. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان، 1981م .
50. سيد عبد المجيد بكر، الأقليات المسلمة في أوروبا، دار النشر والتوزيع، القاهرة، ط1، مصر، د.ت .
51. شوقي ضيف : تاريخ الآداب العربي، عصر الدول والأمارات، ليبيا– تونس– صقلية، القاهرة ، مطابع دار المعارف، 1992م .
52. شوقي عطا الله الجمل : تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، 1998م .
53. شوقي عطا الله الجمل: تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة – القاهرة، 1984م .
54. الصادق النيهوب وآخرون : تاريخنا، دار التراث جنيف، 1977م .
55. صالح السباني الصادق : ليبيا اثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، من القرن 6–10هـ/ 12–16م، جامعة السابع من ابرايل، كلية الآداب ، الزاوية– ليبيا، 2006م .
56. صالح مصطفى مفتاح : ليبيا منذ الفتح حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، الدار العربية للنشر والتوزيع، جامعة المسيرة الكبرى، طبرق– ليبيا، 2002م.
57. صلاح أحمد البهنسي : طرابلس الغرب، دراسة في التراث المعماري الفني، ط1 ، دار الأفاق العربية ، القاهرة –مصر، 2004 م .
58. الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، 1968م .
59. الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس: مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د. ت .

60. الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط4، طرابلس– ليبيا، 2004م .
61. عامر النجار: الأباضية ومدى صلتها بالخوارج ، القاهرة، دار المعارف ، جودان ستار للطباعة، ط1، بيروت، لبنان ، 1993م .
62. عبد الحفيظ فضيل الميار: الحضارة الفنيقية في ليبيا، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2001 م.
63. عبد الفتاح حسين مقلد: سلطنة البرنو حتى عام 1808م، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة ، 1978م.
64. عبد اللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا الإسلامي منذ الفتح حتى بداية العهد العثماني، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر بيروت، لبنان، د.ت .
65. عبد اللطيف البرغوثي: التاريخ الليبي القديم، منشورات الجامعة الليبية، ط1، دار الصادر، بيروت، لبنان ، 1971 م .
66. عبد الله إنبيه المعلوم : التواصل الثقافي بين مدن إفريقية خلال الدولة الحفصية في الفترة ما بين (634 – 1236هـ/ 981 – 1573م) ، طرابلس، تونس، بجاية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2010م .
67. عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ط1، د،ت
68. عبدالرحمن البدوي: مؤلفات إبن خلدون ، تونس ، ط2 ، 1399هـ/ 1979م.
69. عبدالعزيز عبدالله :الموسوعة المغربية للإعلام التبشرية والحضارية معلمة الصحراء، الرباط، مطبعة فضالة، 1976م .
70. عبدالفتاح مقلد العتمي: الإسلام وحضارته في وسط إفريقيا ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، 1996م.
71. عبدالقادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي – دراسات ونصوص ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989م .
72. عثمان السعدي : البربر الأمازيغ عرب عاربة (وعروبة شمال الإفريقي عبر التاريخ)، بيروت – لبنان، دار الملتقى للطباعة ، 1981م.

73. عثمان محمد عبدالستار : المدينة الإسلامية المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة (128)، 1988م .
74. عزالدين بن موسى : النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، القاهرة– مصر ، 1983م .
75. عزيز سوريال عطية : الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فليبي صابر يوسف، منشورات الثقافة، ط2، القاهرة، مصر ، (د.ت) .
76. عصمت عبداللطيف دندش : دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، 1038– 1121 م. بيروت دار الغرب الإسلامي ، 1988م .
77. عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء ، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، 1998م .
78. علي أبوبكر : الثقافة العربية في نيجريا (1950–1960م) عام الإستقلال، مؤسسة عبد الحفيظ البصاط، بيروت، لبنان، 1962م .
79. علي حامد خليفة الطيف: المراكز التجارية الليبية وعلاقاتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري، الرابع عشر والخامس عشر الميلادي، جامعة السابع من أبريل، كلية الآداب– قسم التاريخ ، 2003م.
80. علي عبد الهادي الحوات: التواصل الثقافي بين ضفتى الصحراء الكبرى في أفريقيا ، الجامعة المغاربية – جامعة المغرب العربي، ط1، دار الوليد للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، 2004 م .
81. علي محمد عبداللطيف : تمبكتو أسطورة التاريخ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس – ليبيا، 2001م .
82. عمر أحمد سعيد : دور حركات التجديد الإفريقي في غرب أفريقيا، دراسات إفريقية، 1990م .
83. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، منشورات دار مكتبة الأندلس، بنغازي، ليبيا، (د.ت) .

84. عمر علي بن إسماعيل : انهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795– 1835م، مكتبة الفرجاني ، طرابلس، ليبيا ، 1966م .
85. فرج محمد فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادين، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1977م .
86. فضل كلود : الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي للإمبراطورية كانم، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس – ليبيا، 1998م .
87. فيصل على أسعد : الفينيقون في ليبيا من 1100ق.م حتى القرن الثاني الميلادي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، (د.ت) .
88. فيصل محمد موسى : مؤجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة النيلين، 1999م .
89. قريب الله محمد الناصر : الرسالة الجليلة لمكانية نيجريا العلمية، قبرص، 1993م.
90. القمص ميخائيل جرجس: اليوبيل الفضي: السجل التاريخي لقداسة البابا شنودة الثالث، 1986م .
91. مابل لومس جودة : أسرار طرابلس، ط1، طرابلس – ليبيا، 1968م .
92. محمد الجراري عبد السلام: ليبيا عبر كتابات الرحالين المغاربة في القرن السادس والسابع، رصده الكتاب، دار ليبيا، ط1، 1998م .
93. محمد سليمان أيوب: جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، طرابلس، دار المصراتي للطباعة والنشر، 1969م.
94. محمد الطالبي: دراسات تاريخ أفريقيا في الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، الجامعة التونسية، 1982م .
95. محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، لبنان، دار المغرب الإسلامي، مؤسسة نزيه كركي، 1986م .
96. محمد المبروك المهدوي: جغرافيا ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، ط3، بنغازي ،1998م .

97. محمد المبروك يونس: دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الأفريقية، 1969-1977م، ط1، دار الكتاب طرابلس، ليبيا، 2007م .
98. محمد سعيد القشاط : صحراء العرب الكبرى ، دار الرواد ، ط1 ، طرابلس – ليبيا ، 1994 .
99. محمد سعيد القشاط، الطوارق عرب الصحراء، دار الرواد، ط1، طرابلس، ليبيا، د.ت .
100. محمد سليمان أيوب : مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 1911م، المطبعة الليبية، طرابلس الغرب، 1967م .
101. محمد سليمان أيوب : معالم أثرية من جنوب ليبيا، طرابلس – ليبيا، د.ت .
102. محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، مصر ،1964م .
103. محمد عبدالرزاق النقر : الحج في غرب إفريقيا دراسة تاريخية بإشارة خاصة القرن التاسع عشر، ترجمة صفية صالح عيسى، الخرطوم، السودان 1989م.
104. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، دار احياء الكتب العربية، ط1، 1963م .
105. محمد عمران: الأشراف العمرانيون وأثرهم في فزان، مطابع سبها، ليبيا، ط1،2002م .
106. محمد فرج دغيم : التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية الواقعة على جانبي الصحراء ودور ليبيا في هذا التواصل الثقافي والاجتماعي في الفترة، من 12- 14/ 5- 1998م، مكتبة الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس، 1999م .
107. محمد ناجي ومحمد نوري : طرابلس الغرب، ترجمة كمال الدين محمد إحسان، طرابلس، دار الفكر، 1973م .
108. محمد ناصر : دور الأباضية في نشر الإسلام بغرب أفريقيا، مكتبة الضامري، مسقط عمان، د.ت .

109. محمود الصديق أبو حامد : محمود عبد العزيز النمش، مدينة طرابلس، منذ الإستيطان الفينيقي حتى العهد البزنطي، مصلحة الأثار، أمانة التعليم، ليبيا،1978م.
110. محمود ناجي : تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبد السلام أدهم، محمد الأسطى، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، 1970م .
111. المختار عثمان العفيف: مدينة سوكنه، دراسة تاريخية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، (1835- 1911هـ) جامعة الزاوية، كلية الآداب، ط1، 2002م .
112. مراجع محمد الخجخاج، نمو المدن الصغيرة في ليبيا، دار الساقية، ط1، للنشر، بنغازي، 2008م .
113. مصطفى عبد العزيز الطرابلسي: درنة الزاهرة قديماً وحديثاً، بنغازي، ليبيا، 1999م .
114. مصطفى عبد الله بعيو : دراسات في تاريخ اللوبي ، مطبعة عابدين، الإسكندرية، 1972م .
115. مصطفى عبد الله بعيو: المختار في مراجع تاريخ ليبيا: بيروت، دار الطليعة، 1972م .
116. منصور محمد البابور: مرزق التحضر والقاعدة الأقتصادية، ط2، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1995م .
117. موسوعة العالم الإسلامي: مركز الأبحاث والدراسات الدولية في العالم، 1979م .
118. نجاة باشا : التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري، الجامعة التونسية، 1976م .
119. نجمي رجب ضياف: مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، منشورات مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 1999م.

120. نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975م .
121. نعيم قداح : أفريقيا الغربية في الإسلام، عمر الحكم كونا كرى، 1969م .
122. نقولا زيادة : الطرق التجارية في العصور الوسطى، تاريخ العرب والعالم، 1983م .
123. الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية، القاهرة، ط1 ،1999م.
124. الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية، بدون جهة ومكان نشر، ط2، 1999م
125. يحيى بو عزيز: طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى، ندوة تجارة ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، بغداد، معهد البحوث الدراسات العربية، 1984م .
126. يوسف فضل حسن: الجذور التاريخية العامة الأفريقية العرب وأفريقيا، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1989م .
127. يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك في السودان الشرقي، ط2، الدار السودانية، 1992م .

رابعـاً: المصادر الأجنبية :

1. Herodotus: Trans, By A.D. Godley , Venture de Paradis "Ville et Rogaume de Tripoli" (1783) TextePresente par Joseph Cuoglin IBLA. N. 147. 44 eme. 7Annee. 1981, P154.
2. lbnokhaldon : kitabalibar , daralkitab , 1968.

خامســاً: المصــادر الأجنبية المترجمة:

1. جون فرانسيس ليون: من طرابلس إلى فزان 1818م– 1820م، ترجمة مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1976م .

2. ريتشادتوللى: عشر سنوات في بلاد طرابلس، ترجمة عمر الديراوي أبو حجة، دار– ف المحدودة، لندن، 1984م .

3. ع. ن لايون: مدخل إلى الصحراء، ترجمة الهادي أبو لقمة، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 1995م .

4. غير هارد رولفس: رحلة عبر أفريقيا، مشاهدات الرحالة الألماني في ليبيا وبرنو وخليج غينيا، 1856م– 1867م، ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين، طرابلس،ليبيا، 1996م .

5. فريدريك هورنمان: رحلتان عبر ليبيا من القاهرة إلى مرزق (1797– 1798م)، رحلة ورسائل الإكسندرجوردون لينج (1824– 1826م) ، دار الفرجاني، مكتبة الفرجاني طرابلس،ليبيا، 1974م .

6. فلفيوسيكريسكو وبنوس كود ييوس: ملحمة الحروب الليبية الرومانية، ترجمة محمد الطاهر الجراري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م.

7. هنري دوفيريه: مغامرة في الصحراء، (1840– 1892م) ترجمة خليل كفلت،د.ت .

8. هيرودوت : تاريخ هيرودوت : الكتاب الرابع، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،ليبيا ، د.ت .

سادساً: المراجع الأجنبية المترجمة :

1. أ– ب غوتية : ماضي شمال إفريقيا ترجمة هاشم الحسين ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس – ليبيا ، د.ت .

2. أدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد الهادي أبو ريدة، فهرسة رفعت البدراوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، (د.ت) .

3. أدوارد راي: المغرب العربي، ترجمة مصطفى محمد جودة، دار مكتبة الفكر، ليبيا، 1977 م .
4. ألن ثيوبولد : علي دينار أخر سلاطين دارفور ، ترجمة فؤاد عكود، الشركة العالمية للنشر والطباعة، 1426 هـ– 2005م .
5. أ– ل هنز: أثار طرابلس الغرب، ترجمة عديلة، حسن مياسي، الناشر مصلحة الأثار والسياحة، (د. ت)
6. أ –ن بروشن ف : تاريخ ليبيا في العهد الحديث، منتصف القرن السادس مطلع القرن العشرين، ترجمة عماد الدين غانم، ط1، 1991م .
7. أنتوني جوزيف كاكيا : ليبيا خلال الإحتلال العثماني الثاني 1835 – 1911م طرابلس ، ليبيا . دارالفرجاني، 1975م .
8. أوليفر رولاند جون فينج : مؤجز تاريخ إفريقية ، ترجمة أحمد الصادق، مراجعة، حمد السيد غلاب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت .
9. إيتوري روسي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، ترجمة خليفة التليسي، طرابلس، تونس، الدار العربية للكتاب، 1991م .
10. بازل ديفوسن: إفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد أحمد ، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت،لبنان ، د.ت .
11. بريان بلوية: قصة مالطا، ترجمة مصطفى محمد جودة، مكتبة الفرجاني، بيروت، لبنان، 1969م .
12. بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة الهادي أبو لقمة وحمد عزيز ، بنغازي، ليبيا ، 1988م ، رسالة دكتوراه .
13. بول مارتن: (البرابيش) بنو حسان ، ترجمة محمد محمود ولد وادي، دمشق ، مطبعة زيد بن ثابت، 1985م .
14. تاديوزليفيتكس: دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو ، لبنان ، إفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، ط2، 1997م .

15. تـوللى ريتشـارد ولانسـة : عشـرة أعـوام فـي طـرابلس، ت عبـد الجليـل، دار ليبيـا للنشر ، بنغازي،ليبيا ، 1973.
16. جاك تيري : تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة عقيل الشيخ حسين، دار ليبيا للنشر والتوزيع والإعلام ، مصراتة، ط1، 2001م .
17. جان كلود زليتر : طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا (1500–1795) دار الجماهيرية، للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة ، ليبيا، ط1، 2001م.
18. جبريل ت نياني : مالي والتوسع الثاني للماندليغ، تاريخ إفريقيا العام، إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى السادس عشر ميلادي، إشراف جبريل ت نياني، اللجنة الدولية العلمية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، ط21، 1995م .
19. جوتيـه : الصـحراء، ترجمـة أحمـد كمـال يـونس، دار الثقافـة العامـة، القـاهرة، مصر ، 1957م .
20. جيرار ب – س : الحياة الإقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر ميلادي (وصف مصر)، ترجمة زهير الشايب، مكتبة مدبولي، القاهرة،مصر ، 1978م.
21. جي مانيعانو : الحلفاء في طرابلس، فلورانس –ملانو : أخوان تريفس 1913م، ترجمة مركز الجهاد للدراسات التاريخية، غير منشور .
22. جيمس ريتشارد سون : ترحال في الصحراء، ترجمة الهادي مصطفى أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا 1993م .
23. دفيس يولم : الحضارات الإفريقية، ترجمة على شاهين، مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان، 1974م .
24. ديرك لانجي : بالتعاون مع باواروربار كندو : منطقة تشاد عند مفترق الطرق، تـاريخ أفريقيـا العـام، المجلد الثالث، المشرف علـى المجلد محمد الفاسـي وإيفان هنريك، أفريقيا من القرن الحادي عشرالميلادي ، اليونسكو، اللجنة الدولية لتحرير تاريخ أفريقيا العام، ط1، 1997م .
25. رايـت جـون: تـاريخ ليبيـا منـذ أقـدم العصـور، ترجمـة عبـد الحفيـظ الميـار، أحمـد اليازورى، دار الفرجاني ، طرابلس، ليبيا، 1972م .

26. روباربرنشفيك : تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان ، 1988م .
27. رود لفو غريساني : إعادة احتلال فزان، ترجمة عبد السلام باش إمام طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1993م .
28. سير توماس أرنولد: الدعوة الإسلامية، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون، القاهرة – مصر، 1958م .
29. شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، تحقيق وترجمة محمد عبد الكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس1983م .
30. فابريشو موري: تادرارتأكاكوس الفني الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ الكعبازي، مراجعة عبد الرحمن عجيلي، طرابلس، ليبيا، 1988م .
31. فرانسسكو كورو : ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، ترجمة، خليفة التليسي، طرابلس، دار الفرجاني، ليبيا، د.ت .
32. فيج جي دي : تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة السيد يوسف، القاهرة، دارالمعارف، 1982م .
33. كاربره– سي : مرتفع الآهات الجمال، ترجمة انيس زكي حسن، ط مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، د.ت .
34. كوستانزيو برنيا : طرابلس 1015 – 1850م، ت محمد التليسي، ط1، الدار الليبية بنغازي، ليبيا، 1985م .
35. كولا فوليان : ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ترجمة عبد القادر المحيشى، مراجعة صلاح الدين السوري، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م .
36. مارمول كربخال : أفريقيا، ت، محمد مجي، محمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، الرباط، مطابع المعارف الجديدة ، 1989م .

37. موري اتيليور: الرسالة والكشف الجغرافي في ليبيا، منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي حتى الاحتلال الإيطالي، ترجمة خليفة محمد التليسي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1971م .
38. هوبير ديشان: الديانات في أفريقيا السوداء، ترجمة أحمد الصادق، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1956م .
39. هنري حبيب: ليبيا بين الماضي والحاضر، ترجمة شاكر إبراهيم، دار النشر والتوزيع ، طرابلس –ليبيا ، 1981م .

سابعاً: المراجع الأجنبية غير المترجمة:

1. Abdullahi : Smith , The early state in the tehrra , Sudan in the History of West Africa , Ajayiondcrowdr , london 1974
2. Bertom: le eygbtr et la symie . paris .1814.
3. Bohem: The Sahara and Sudan (1886- 1868) Clarehdesr press, Oxford Press Oxford, 1964 .
4. Britain: The both Sahara and Western Sudan (1788 - 1861) .
5. Coitein : from the Mediterraen to India, documents on the rade to India.1954.
6. Coitein : the Cairo Geiza a source for the history muslim civilization. v 111.1955.
7. Delaronciere . Ch: La Decavente de La Fralue au Moyehage, 1934.
8. Denham Dirm : Narravtive of travels and discoveries in Northern and Central Africa, LAMDAR, MAURY, 1826.
9. E. levi Provencal : Ahmed Bdoa in encylopedie de islam , novvelle edition .
10. Hanes .D. E.L : Antiquities to Tripolitania, Trinity press.The Antiquities deparments Of Libya. 1959 .
11. Haynes, Del: Antiauities of Tripolitania, The Trinity press published by The Antiquites Department at Libya, 1959 .
12. Joseph, Recueil des sources Arabe concernant 1, Afrique occidental , paris .1975 .
13. Levtzion H: the Sahara Sudan from the Arabs Conquest to the Megrit to the rise of almoravids , cambridge history of Africa , voll,1.
14. Lientre Fonton : Historie de Tambucts de se Fondatiomal, Francaise, paris, 1942 .
15. Machel Abitobol : Tombocta et les Arma . Paris , 1980 .
16. Martin , B , J : Kanem Bornu and fazzan Notes political history of a trade route , J .A , ll , vol ..x, 1969.
17. Maury: Taleau Geographic de L'Africaine am , mayen ageouapres Les Course ecrites Le tradition est Larchea La giememaires, Amesterdam, 1967 .
18. Palmer, Sir R:The Bornu Sahara and Sudan, London, 1936 .
19. PekkaMasonen : The Transite Trade and the West African Discovery at Meditiarranean, 2006.
20. R. C.C.L : The Germants Trans Sahara, Maury The Trans Sahara Comtacs And the early age in The west Africa .

21. Robert Brunschvig: La dynastic hafcide Les Hafcides aux xiii ct XIV Siecles La Tunisie Lexveme Siecle" in , Initiation IaTunisie, p. 95, paris, 1950 .
22. Trimingham Spencer : Von Grrunebaum, The uninersity of Chicago Press, (chicagollignui) [u .s. A]1955.
23. Trimingham, J.S: lslam in west ot Africa, Oxford University Press, 1959 .

ثامنــاً : الرسائل العلمية

1. أحمد فتوح عابدين: الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 1989م، رسالة دكتوراه غير منشورة .

2.أمطير سعيد غيث : التأثير الإسلامي في بلاد السودان الغربي، فما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلادي، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العلاقات العربية الأفريقية، جامعة طرابلس ،1994م، رسالة ماجستير غير منشورة .

3.بشير أحمد طروم: مدينة زويلة منذ الفتح العربي الإسلامي حتى سقوط دولة بن الخطاب، دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة السابع من أبريل، كلية الآداب والعلوم ، يفرن ، ليبيا، 2001م ، رسالة ماجستير غير منشورة.

4. جميلة مبطى المسعودي : المظاهر الحضارية في عصر دولة بن حفص منذ قيامها سنة 621هـ، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية المملكة العربية السعودية، 2000م ، رسالة ماجستير غير منشورة .

5. الحافظ عبد الكريم سليمان: الدور السياسي والحضاري لفزان في القرن الثامن الهجري واثره على دول الجوار، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2009م ، رسالة ماجستير غير منشورة

6. زين العابدين السراج : دولة كانم الإسلامية ، كلية الآداب – جامعة القاهرة ، مصر، 1977م، رسالة ماجستير غير منشورة .

7. سالم أحمد ميهوب: البنية الاقتصادية لمدينة غدامس وأثرها على تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، جامعة سبها، كلية الأداب – قسم التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، 2012م .
8. سعيد عبد الرحمن الحنيدري، تطور الحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية تمبلباي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 1998م، رسالة ماجستير غير منشورة .
9. صالح السباني الصادق : مملكة كانم برنو وعلاقاتها بأقطار الشمال الأفريقي من الثالث إلى العاشر الهجري، جامعة محمد الخامس كلية الآداب، الرباط، المغرب، 1995م، رسالة دكتوراه غير منشورة .
10. صالح معيوف مفتاح : جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الأنسانية، الرباط ، المغرب، 2000– 2001م ، رسالة دكتوراه غير منشورة .
11. عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد : الأوروبيون وأثرهم على تجارة القوافل الصحراوية في ولاية طرابلس الغرب في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، جامعة أم درمان، السودان، رسالة ماجستير غير منشورة .
12. عبد الله محمد الحواس : التجارة بين شمال أفريقيا وبلاد جنوب الصحراء وأثرها في نشر الإسلام، جامعة طرابلس ، كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة .
13. غباشي عامر العليمي : مسألة الرق وتجارته في ممتلكات مصر الإفريقية 1820– 1863م، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 2001، رسالة ماجستير غير منشورة .
14. فوزية عبد الكريم بالقاسم : تجارة الصحراء في عهد الأسرة القرمانلية من 1711 – 1835م، جامعة عمر المختار، كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة.
15. نعمة عبد السلام حسن: علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، 1426– 1999م ، رسالة دكتوراه غير منشورة .

16. نوري عبد السلام أحمد: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مدينتي غدامس وزويلة خلال الفترة ما بين (306 – 710هـ/ 918 – 1310م)، كلية الآداب ، جامعة سبها، رسالة ماجستير غير منشورة .

تاسعاً: الدوريات العربية :

1. إبراهيم حركات :دور الصحراء الأفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة الثالثة، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،1981م .
2. أحمد إبراهيم دياب : علاقة اللغة العربية باللغات الأفريقية، مجلة دراسات أفريقية، عدد 7، 1990م .
3. أحمد فؤاد يلبع:عبدالرحمن السعدي، عصره وكتابه، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة- مصر، 1973م .
4. إدريس الحرير: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء (مجلة البحوث التاريخية) ، العدد الأول ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس- ليبيا، 1984م .
5. إسماعيل كمالي : سكان طرابلس الغرب، تعريب وتعليق: حسن الهادي بن يونس، طرابلس ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الدار الوطنية للكتب، 1997م .
6. أ. م كاني : مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال أفريقيا وسط السودان، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، 1981م .
7. تيرنس والاسى : تجارة القوافل بين ليبيا ومصر- دور عبد الله الكحال، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، السنة الثالثة، العدد الأول ، 1981 م .
8. حبيب وداعة الحسناوي : الهجرة الأفريقية بين الماضي والحاضر- مجلة الجديد للعلوم الإنسانية- المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية، العدد الرابع ، 1994م .

9. حسين مؤنس : فزان ودورها في نشر الإسلام في أفريقيا، مجلة كلية الآداب، جامعة بنغازي، العدد الثالث، 1964م .
10. حنان صويد محمد : ليبيا خلال العهد الحفصي (625- 916هـ/ 1229- 1510م) منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2010م.
11. دريد عبدالقادر نوري: ازدهار الصناعة والزراعة في بلاد السودان الغربي، بعد القرن الخامس الهجري (مجلة الكويت العدد الأول) ، 1996م .
12. الروزنامة: الحولية المصرية للوثائق، العدد الخامس، 2007م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر ،2008م .
13. ريموند موني : طرق التجارة عبر الصحراء بين ليبيا ومناطق السافانا في النيجر وتشاد وقبل الفتح العربي، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد الأول، 1981م .
14. سعيد حامد : مجلة التراث الشعبي (مجلة متخصصة في طرابلس عبر التاريخ) ، العدد 4، سنة 1992م .
15. سعيد عبد الرحمن الحنيدرى: العلاقات الليبية التشادية 1883- 1970م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1983م .
16. سلفاتور برنو: العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط، ترجمة عمر محمد الباروني، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1981م .
17. سليمان أحمد حسين: تجار المدن والواحات الليبية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، د.ت.
18. السيد فليفل: الخلفية التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية عبر الصحراء "ندوة العلاقات العربية الأفريقية" ، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م .
19. عبد الجليل مغتاظ التميمي : الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وسط وغرب أفريقيا، خلال العصر الحديث، المنشورات التاريخية المغربية، تونس، 1981م.

20. عبد القادر عثمان جاد الرب: مجلة كلية الآداب المحمدية والعلوم الإنسانية، جامعة الملك الحسن الخامس، الدار البيضاء، المملكة المغربية، العدد الأول، 1999م .
21. عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والغزو لإمبراطورية الفولاني، مجلة عالم المعرفة، العدد 139، الكويت، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، يوليو 1989م .
22. عز الدين عمر موسى : طريق عبر الصحراء الليبية من المغرب الأقصى إلى مصر، مجلة البحوث التاريخية، عدد يناير، 1983م .
23. العظيم صادق مؤيد: رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا، ترجمة عبد الكريم أبوشويرب، م: صلاح الدين حسن السوري، منشورات مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، دار المحيط العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م .
24. عيسى رمضان القبلاوي : بدايات التخلف في الوطن العربي، (أمثلة تطبيقية من ليبيا) ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2005م .
25. قمر الدين محمد فضل الله : لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية، (1468- 1519م)، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس – ليبيا، 1987م .
26. كاملومنغروني : إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، ترجمة عمر الباروني ، مركز جهادالليبيين للدراسات التاريخية ضد الغزو الإيطالي، 1988م.
27. كاى آور نبري : سلالة فاطمة الزهراء ومواقهم وفروعهم، مجلة الدراسات الشرقية – جمعية الدراسات الشرقية الفلندية، هلسنكي الجزء الرابع والخمسون ، 1983م .
28. لومبار موريس : الإسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى 5هـ (8-11م) ، ترجمة إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة المغرب، ط3، 1996م.
29. مجلة الشهيد: إصدار مركز جهاد الليبيين ، طرابلس، ليبيا، العددان 18- 19، 1997م- 1998م .

30. محمد رزق : العلاقات الأفريقية في القرن السادس عشرالميلادي ، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني ، مركز الجهاد الليبيين، طرابلس، 1995م .
31. محمد الشريف : الغرب الإسلامي نصوص دفينة ودراسات، ط2، منشورات الجمعية للدراسات الأندلسية، 1999م .
32. محمد عمر مروان: سجلات محكمة طرابلس الشرعية 1174- 1271هـ/ 1760- 1854م، دراسة في مصدر تاريخي، منشورات مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة طرابلس- د.ت .
33. محمد المدني الحضيري: الطريق من طرابلس إلى فزان، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس – يناير 1979م .
34. محمد مصطفى التركي: صك وتداول النقود في طرابلس الغرب 1951 – 1911 م ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، طرابلس: 1991م.
35. محمود أبو صوه : (رؤية جديدة للفتح الإسلامي) ، ليبيا، مجلة البحوث للدراسات التاريخية: 1996م .
36. مراجع عقيلة الغناي: قيام دولة الموحدين، جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1988م .
37. مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي، طرابلس- مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1996م .

عاشــراً: الدوريات الأجنبية غير المترجمة

1. Baoth, Herery: Vouages and Discoveries, Afrigue, VoL.paris, 1860 .
2. B. G. Marrin : Kanem Bornu and The Fezzan, Notes on The Political History OF atrade route, JouenalAtricamHis tory, Xl, 1969.

Brett, M: lfnigiya as amarket For Sahara trade, The ten to The elenenthCentary AD, Jourrad of Africa History. VoL . X, 1969 . .3

Fisher H.J : The Eastern Maghrib and Sudan, Cambridge History Of Africa, VoL. III, 1977 . .4

Venture de parodis : Ville et Royeume de Tripoli, 1983. .5

الملاحـــــق

ملحق رقم (1)

وثيقة رقم (٦)

قافلة من تجارة المجابرة وفزان تتوجه للاتجـار في وادى فيقـابلهم غزى واداى يصطدمون به ومن سلم نكل به حاكم وادى كانت القـافلة سافرت في حيـاة حسن باشـا البلعزى وبعـد أن توفي وحل مكانـه القـائمقـام مصطفى كتب للولاية الأخبــار التاليــة

عزتلو أفندم

المنهى إلى مقام عاياكم أنه في زمن ولاية سلفنا المرحوم حسن باشا قدمت قافلة من وادى لمرزق وعند رجوعها وجه معهم قافلة جسيمة تجار من أهالى القايمقامية ومجابرة وغيرهم وجعل فيها مأمور أحد أعيان أهالى مرزق الحاج عبد الله أفندي بن يوسف ورسل معه هدية لحاكم واداى وتوجهوا وعند وصولهم لنواحيها غار عنهم نجع من عربان واداى بالقتل وسلمهم الله وبلغوا البلد لاكن أعرض عنهم الحاكم إعراض كلى وأخذ أموالهم البعض مجاناً والبعض بثمن بخس وقتل المأمور المذكور ومعه غلامه ورجل شريف من ودان ظلماً وعدوانا وأخذ عايهم على كل بعير أربعة مقاطع محمودى والحاصل أفعاله معهم كلها مغايرة للشرع والقانون ومسك أناس — منعهم عن القدوم لوطنهم من أهالى القايمقامية ومعهم خمسين ستين راص عبدوكم من قنطار سن الفيل والحاكم المذكور وجه مراسيل بأموال عديدة لنفسه مع هاذه القافلة عبيد وسن وغيره وأهالى القافلة قدموا على بلد جالوا وعند وصولهم لنواحيها عارضوهم زويه بالقتل في حاشية البلد يريدون أخذها لاكن فزعوا لهم المجابرة وفكوها منهم ووجهوا لنا مضبطة مع رقاص مخصوص ببيان ماوقع عايهم من الظلم من حاكم واداى والتجار الذى بهذا الطرف قدموا لنا عرضحال طالبين من عدالة معدلة الدولة العايه وهمة حضرة ولى النعم استيفاء حقوقهم ممن ظلمهم ونحن قدمنا العرضحال المرقوم والمضبطة الذى من القافلة مع مضبطة من المجلس إلى أعتاب حضرة ولى النعم نرغب من جناب عزتكم من غير مامور أن يكن نظركم العالى شامل لرعايا الدولة العاية وعرفنا وكيلنا فقيركم شيخ بلد على أفندى بذالك وكتبنا تحريراً على طريق جالوا إلى قائمقام بنغازى بالتوصية ورد البال من تجار أوطان القائمقامية يكن في شريف علمكم وباقي إرادتكم أفندم . ٥ ربيع الثاني ١٢٧٢

قائمقام فزان
مصطفى

نقلا عن أحمد سعيد الفيتوري : ليبيا وتجارة القوافل، المرجع السابق، ص 35 .

ملحق رقم (2)



[illegible]
واثنا عشر من ثانية المادتين سنة ١٣٢٥ وبلغنا [illegible]
يوم الجمعة وثلاثة من رجب
وشرعنا من مرزه يوم الاثنين وثامنة وعشرون من رجب
بعد العصر وبتنا [illegible] بعد العشا وقمنا منه [illegible]
عند الطلوع وقيلنا القليب عند الزوال ورحنا منه بعد
ثلاثة ايام يوم السبت بعد الطلوع وقيلنا [illegible] عند الزوال
وقمنا فيه اربعة ايام ورفعنا منه يوم الخميس بعد الظهر [illegible]
[illegible] وبتنا ورفعنا عند الطلوع وقيلنا [illegible] ضحى
ورفعنا منها بعد يوم [illegible] الزوال واخذنا الليل كله
[illegible] بلغنا [illegible] الطلوع الفجر وقمنا فيه يوم ورفعنا
منه سروة دخلنا القطرون ضحى يوم الاثنين وقمنا فيه
يومين تامين ورفعنا منه بكرة وقيلنا [illegible] بعد
ما قمنا قربه [illegible] وقت القيلولة يوم الخميس ورفعنا
سروة وبتنا السبع وقيلنا [illegible] ورفعنا منه سروة
وقيلنا [illegible] يوم السبت وقمنا فيها ايام ورفعنا منه
يوم السبت المقابل روحة وبتنا في [illegible] ورفعنا
منه صبح جئنا [illegible] صلاة الظهر [illegible] وبتنا فيه
وقمنا فيه يوم واحد ورفعنا منه المغرب بتنا قريب
[illegible] ثم رفعنا صبح [illegible]
وسرنا الى الليل ورفعنا صبح وبتنا في [illegible]
[illegible] ثم رفعنا وجئنا [illegible] رفعنا
روحة بتنا ورفعنا صبح الى الليل [illegible] العصر
وبتنا في الطلح كل ذلك [illegible]
ورفعنا منه صبح جئنا [illegible] ضحى يوم [illegible]
[illegible] في رمضان ثم رفعنا منه صبح
[illegible] بيومين [illegible]
وبتنا في [illegible] ثم رفعنا منه وواطينا في [illegible]
وقت العصر وقمنا فيه يوم ورفعنا منه [illegible]
وبتنا وراء الجبال بعد [illegible] في [illegible] ورفعنا
منه صبح وجئنا [illegible] الزوال و[illegible]
فيه يوم الجمعة ورفعنا منه صبح السبت بتنا [illegible]
[illegible] الصغيرة ورفعنا سروة واطينا [illegible] عند الزوال
[illegible] وبتنا فيه ورفعنا منه روحة بتنا [illegible]
[illegible] ورفعنا صبح جئنا لبلاد [illegible] اول
يوم الثلاثا وبتنا فيها وقمنا فيها يوم الاربعا والخميس
ورفعنا في الجمعة واطينا بلد [illegible] بعد الزوال [illegible]

من كتاب مدينة سوكنة دراسة تاريخية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية 1835 – 1911، المرجع السابق، ص 289 .

ملحق رقم (3)

رسالة من محمد الكبير إلى إخوانه محمد الصغير وامحمد وعبد الله ومحمد بن أحمد وابنه علي. أرسلت ربما إلى كانو في جمادى الأولى 1289 هـ 1872 م، تشير إلى غزوة الهقار لأوراغن.

الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من أخيكم سيدي محمد الكبير إلى إخواننا محمد الصغير وأخينا امحمد وعبد الله ومحمد بن أحمد وابننا علي وجملة عيالكم كافة. فإن سألتم عنا فنحن في خير وعافية وأنتم مثل ذلك إن شاء الله ولا نسأل إلا عنكم وعن أحوالكم أجراها الله على وفق مرادكم. وقد أتنا رقاص من غات وخبروا أنه جاؤوا تراسين من كيل نقر وأتوا بحملي ناب فيل للحاج أحمد خاف الله فقط من غير جوابات، وخبروا بالقافلة وراءهم سبعين حمل من كيل تنالكمت وغيرهم ظنيناهم خرجوا من نحوكم الله اسلمهم واحنا خائفين عليها باسر وجاءنا خبر قام الغزي من هقّار منغساتن وهقّار وأخذوا جمال أوراغن نحو مائة وخمسين ناقة. وأوراغن غزيين لأرض هقّار ومنغساتن[1] وظنينا بصير الشر بينهم، وحين التاريخ جئنا بجمالنا نحب أن نسقدوا الحمول لغات وهم حملين سلع وحمل سيوف واستأخرنا حتّى يأتي رقّاص من غات لا يمش حد ولا يأتي حد حتى يرجع الرصّاص، إن شاء الله يأتي الخبر امليح يأتوكم الحمول، وظنينا اخنوخن ماخلاّ من يقدم لآير، وأنت يا محمد نعلمك أني وصيت الحبيب هيبه أن يشري لنا زوز جمال، واحد شراه وأرسله لنا. أراه عندي واحد ما زال.

ونعلمكم على عيالك أنه مدة ثلاثة شهور نشروا لهم فطور النهار من غير الليل لأن التمر معدوم الآن، غالي وهو من الخريف غالي، والحوايج الذي ترسل لهم ما يستوفي حتى اللحم والحطب والبزار، والمدايس والجلود الذي

نقلا عن بشير قاسم يوشع: وثائق غدامس. وثائق تجارية تاريخية اجتماعية 949 هـ 1542م – 1343 هـ - 1924م. المصدر السابق، ص 72، 73.

ترسل لهم لا بيع لا شرا كاسدين ياسر، وهذا ما تعلم، والناب الذي أرسلت رقيق امكسر واحنا نكيلوا بالغلاء من غدامس. والآن في طرابلس ما يقضي حاجة كان الريش وأما غيره ما يقضي حتى فطور بنادم، ما يتباع . ناب الفيل إلا بالديش، السلعة بالسلعة، واحنا احتاجنا بالفلوس، ما يتباع إلا ناب برنوح الغليظ وسالم وهذا ما تسمع واحنا نرجو جواباتكم إمتاع الصيف نسمعوا خبركم.

وأنت يا امحمد ثمن الخادم الذي لك وصيت يقضوه لنا من طرابلس ما زال ما جاء شيء، والجمل إمتاعك بخير زين، وهذا غير تفكير، خط العاجل، وأنت يا علي إياك وإياك الريش هو الفايدة، أراه ما يقضي الحاجة كان الريش، وهذا ما تسمع، وبلغوا سلامنا إلى محمد الساسي والصالح ومحمد بن الفقيه والحاج أحمد خاف الله ومحمد درفو وجملة من يسأل عنا، والسلام إليكم من الفقيه محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر كثير السلام أواسط جمادى الأولى 1289 هـ.

والسلام إليكم من عند محمد بن أحمد بن زنقينه، الله يجمعنا وإياكم في ساعة سعيدة وأنتم لا تستحق الوصيّ على جمع أمرنا وعلى الديار بارك الله فيكم، والسلام إليك كثير ألف سلام.

ملحق رقم (4)

رسالة من السنوسي بن الحاج سالم كتلي إلى الحاج صالح بن علي أرسلت من غات إلى غدامس في 24 ربيع الأول 1300 هـ 1882 م. تنعي الحاج سالم كتلى

بإذن[1] السنوسي بن المرحوم المنعم الحاج سالم بن حمد بن كتلي، إلى والدنا سيدي الحاج صالح بن علي[3] وأخينا الحاج أحمد بن سالم ومحمد ابن عمتنا، السلام عليكم ورحمة الله، أما بعد إن والدنا تمرض تسعة أيام وتوفي رحمة الله علينا وعليه آمين، وبكينا على فقده وما ينفعنا إلا الصبر، وأنتم أيضاً اصبروا واحتسبوا (إنا لله وإنا إليه راجعون) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو رحمة الله تعالى في غاية العقل، قام وصلى الظهر ومعي واحد شريف، وتوفي رحمه الله قبل العصر من يوم الثالث والعشرون[4] في ربيع الأول، وأمنت[5] المفاتيح عند الحاج ابراهيم بن سليمان قبل دفنه ومن غدويته جبنا الشهود وقيدنا ما في وسط الدار من حمول الناس إحدى عشر ورسلناهم لمواليهم في هذه الخطرة الكبيرة، وأما ما وجدنا للمرحوم في وسط الدار جلعناه في تلك المخازن وغلقناهم بالمفاتيح وليسنا عليهم[6] والمفاتيح عند الحاج ابراهيم المذكور ورسلناكم

(1) في الأصل من أذن.
(2) في الأصل كتل.
(3) سماه والدنا مجازاً.
(4) في الأصل الثلاث عشرون.
(5) في الأصل وومنت.
(6) ليسنا: بنينا.

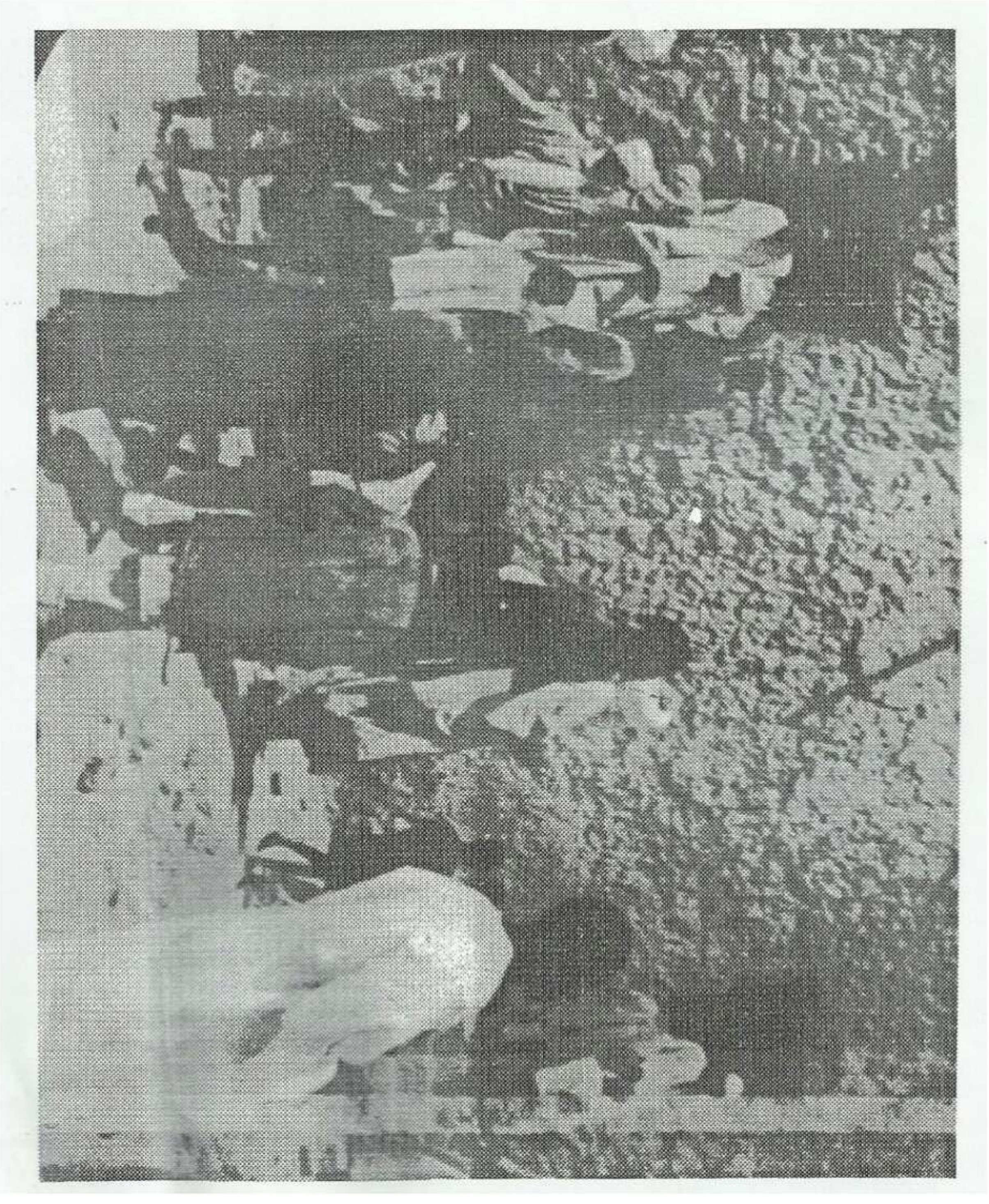
نقلا عن بشير قاسم يوشع : وثائق غدامس . وثائق تجارية تاريخية اجتماعية 949 هـ 1542م – 1343 هـ - 1924م . المصدر السابق، ص 138 ، 139 .

هـذا السيار[7] لأجـل العجلة، ولا بد فـانتظروا أنتم وأولاد هيبـه فشاوروهم واعملوا لنا تأويل[8] الذي يصلح، لأنه هذا أمر صعيب وخلطات كثيرة وديون عند الناس وحدي ما نقدر عليهم. أما حمولكم يا سيدي الصالح الذي خلف سيدي عبد الله ثلاثة حمول، يوصلكم حمل عند الخير أق أكاريس، وحمل عند أكنان افرقني، وعديلة رفيقتها للبشير بن يوشع توصلكم عند سلامن[9]، وعديلة أختها لأخينا الحاج أحمد على جمل قاسم باشـا[10] عند فـرج، وما تستحق التأكيد في الصبر. والسلام من كاتبه بإذنه محمد بوزماله، عظم الله أجركم وعليكم بالصبر والسلام عليكم ورحمة الله. تاريخ أربعة وعشرون في ربيع الأول سنة 1300.

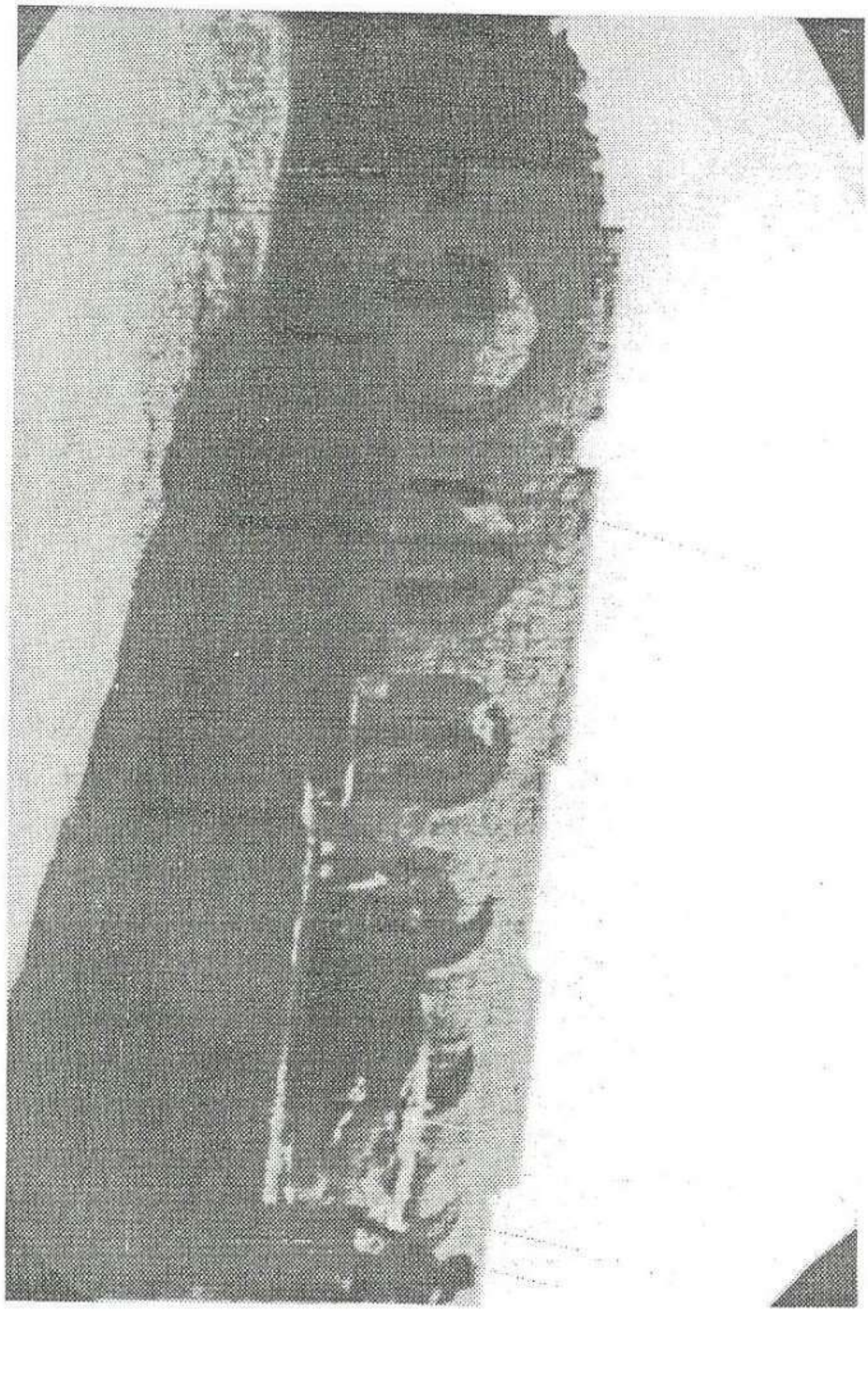
---

(7) السيار هو الرقاص: حامل البريد السريع.
(8) إن المتوفي وكيلا لأبناء هيبة، تأويل: إيجاد حل سريع.
(9) في الأصل إسلاماً.
(10) في الأصل باش.

ملحق رقم (5)



نقلا عن الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا، المرجع السابق، ص 200 .



حي الغدامسية بمدينة تنبكتو

ملحق رقم (6)

نقلا عن الهادي المبروك الدالي : مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا، المرجع السابق، ص 200 .